هدية من المؤلف [illegible]

كتاب

سِفْرُ السَّفَر

الى

معرض الحَضَر

تأليف

ديمتري بن نعمة الله خلاط الطرابلسي

السوري باسكندرية

طبع في مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٨٩١


Princeton University Library
32101 077793154

Khallat, Dimitri

Sifr al-safar

كتاب

سِفْر السَّفَر

الى

معرض الحَضَر

تأليف

ديمتري بن نعمة الله خلاط الطرابلسي

السوري باسكندرية

طبع في مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٨٩١

هدية الكتاب

سيدي العم وهبة الله خلاط بطرابلس الشام

اراني بين نقيضين موجب وسالب احدهما (فضل تربيتك) يدفعني الى نشر عرفك و بيان مآثرك والثاني (قرابتي منك) يجزرني عن اشهار مناقبك ونقضي عليَّ حشمة النسب بحبس النفس عن نشر الطاية وكشف العواطف بهذا الشان ولولا هذا المانع لكنت اؤلف مجلدًا عن سيرتك وسريرتك فانت خير اخٍ عرف حقوق الاخاء — ظللت شريكًا لوالدي في حياتهِ اليفًا رفيقًا لهُ في سكناتهِ وحركاتهِ مربيًا اطفالهُ مدبرًا ميراثهم بعد مماتهِ واشتركت مع والدتي بالعناية بي و باخوتي الصغار فنمونا تحت ظلال اجنحتكما واستلمنا ميراث والدنا اضعاف ما كان ولبثت ساكنًا معنا كما كنت في حياة والدنا رحمة الله عليهِ محبًا حنونًا قائمًا مقامهُ في النفقة علينا ونحن احداث شان الآباء مع الابناء فاسمح لي ان اقول لك بلسان الريب لا القريب انك مثال الاخوة وقدوة العمومة فلتبارككَ الانسانيَّة

وكم تهتزُّ جوارحي سرورًا حين اسمع اسمك هنا بين بني الوطن النازحين مذكورًا بالخير مصحوبًا بالحمد كما هو سائر على شفاه بني الوطن الطرابلسيين الّذين لما بلغ احد افاضلهم صديقي المصنف البارع جرجي افندي يني اني عازم على اهدائك هذا الكتاب تذكارًا لفضلك عليَّ بعث اليَّ بالرقيم الآتي فانشرهُ مختلسًا من جوهر عقدهِ ما طوقني بهِ من حسن الظن وابدلت العبارات المسروقة بنقط ... فالتمس منهُ العفو ان الاعتراف يهدم الاقتراف قال اعزهُ الله

... صديقي ...

أكتب اليك ... مسرورًا بما علمت من انك لم ترضَ لنفسك الاستئثار بما احرزت من الفوائد وما سنح لك من الخواطر اثناء رحلتك الى الديار الاوربيَّة في العام الماضي بل انك رغبت في مشاركة مواطنيك بنتاج افكارك وان تسهل لمن استطاع منهم الى السياحة سبيلاً منهاج السفر بوضعك كتابًا ....

وعرفت ان اعباء التجارة لم تشغلك عن التماس الفائدة الادبيَّة ونشرها بل

....

حتَّى شارفت على النجاز ....

وبلغني من الصديق العزيز اخيك انك عازم على اهداء الكتاب الى عمك الجليل الخواجه وهبة الله خلاط فسررت بذلك ايما سرور ....

. . . . وعلمت ان ذلك

يقع من الناس موقع القبول لما يعرفون من شأن المُهدى اليهِ في عالم الفضل وانهُ كان قيمًا على تربيتك وتربية اخوتك الاحداث بعد وفاة اخيهِ المرحوم ابيك وكيف توفر على حسن النهضة في تلك المهمة بما عُرف فيهِ من الصلاح والكمال وكرامة الاخلاق وطيب العنصر

وانك لتعلم ولا ازيدك علمًا ان الناس يتشوفون للاخلاق الجليلة والخلال الحميدة ويرتاحون الى تعظيمها وحسبك في ذلك ثبتًا اجماع الطرابلسيين على اعزاز شأن عمك الجليل واجلال مقامهِ وانزالهِ من انفسهم منزلة الاب الابرّ ذلك لانهم شهدوا لهُ في كل مكرمة يدًا بل رأوهُ يجود على الفقراء ويعطي العطايا الوافرة لعضد المدارس وقيام الاوقاف وترميم الكنائس وكل مشروع مفيد وعمل خيري فضلاً عن امانتهِ واستقامتهِ في تجارتهِ مدى سبعين عامًا حتَّى اصبح مثالاً يتحداهُ كثيرون ونموذجًا ينسج اهل الاعمال على منوالهِ

فليس بدعًا ان يؤدّى اليهِ الاحترام وتحدّى اليهِ أبتق الفضل وهو لهذا اليوم شيخ جليل اقعدتهُ الشيخوخة ولكن لم تقعد منهُ الرغبة في اسداء المعروف ومّما اراهُ حريًّا بالذكر والشيء بالشيء يذكر اني كلما زرت بيتكم .... رأيت ذلك الشيخ الوقور مقعدًا في فراشهِ تكتنفهُ عناية .. .. والدتكم و .... اخيكم وامرأتهُ جزاء لما قدم لكم من سابق معروفهِ وما جزاء الاحسان الاّ الاحسان

فاهداؤُك .... كتاب سفر السفَر اليهِ يفصح عن فضل المُهدى ويصبح مثالاً يحتذاهُ الالبا في تخير المعروف والشكر عليهِ ناهيك ما في ذلك من لذة المهدى اليهِ باجتناء ثمرة عنايتهِ بتربية ربيبهِ .... عن طرابلوس الى اسكندريّة في ٧ ت ١ سنة ٩٠

وقد ضننت بذكرك هنا ياسيدي ان يكون عاريًا من كساء البر الذي تعوّدهُ فاوقفت قيم ما يباع من هذا الكتاب اسعافًا لمن احببتهم جدًّا اخوتنا المحتاجين بطرابلس شام (البلد والمينا)

عن اسكندريّة في ١١ اكتوبر سنة ١٨٩٠ ديمتري خلاط

بداءة سفرنا

غادرت الاسكندرية برفقة اخي قيصر وامرأته لليلتين خلتا من شهر حزيران سنة ١٨٨٩ راكبين متن نعامة البحار او الفابور النمساوي الراسي على شاطئ البحر لصق الرصيف ولما انذر فلك الساعة الدوّار بحلول برج المنزلة الثامنة من منازل الصباح جأر الفابور خوارهُ المعتاد حين نهوضهِ للرحيل واذن صفير الآلة الى المودعين حيّ الى الفراق حيّ الى البراح فهرولَ اهلنا وصحبنا المشيعون الى سلّم الخروج ووقفوا على الرصيف امامنا يودعوننا و يستودعون حنين القلوب الى حين اللقاء

ولما انتهى الفابور من فك قيد المرساة طفق يسير الهوينا و يطأ سهل المرفإ بمنسم التأني ونحن جلوسٌ على كراسي طويلة مريحة نتأمل طورًا بالبحر فنرى رأس النعامة (مقدم الفابور) كيف يشق العباب وذنبها (المؤخر) كيف يلطم الماء وهذا يزبدُ ويرغي من جور اللطم وتارةً بالافق فتعاين الغزالةَ المنيرةَ مشتغلةً في غزل خيوطها الذهبيّة ونسجها وشاحًا وضيًّا على جسم الفضاء ثم نجيل الطرف نحو معالم الاسكندريّة فنشاهد بنيانها المرصوص متلاحمًا كلما شطّ بنا النوى وظللنا مسترسلين هذه المناظر حتّى خرج الفابور من البوغاز وأفلت القارب الدليل (هو قارب البيلوت دليل الفابورات وقائدها في بوغاز اسكندريّة وقايةً لها من الصخور الناشئة بالبحر عند مدخل المرفإ) وحينئذٍ شدّد العزم واطلق العنان وجاراهُ الهواء في الشدة فتموّج البحر على نفراتهِ ورقص الفابور بنا فانست دنوّ النوبة (نوبة الدوخة وليس الطرب) وتمنيت لو اغنانا البحر عن نقرات طربهِ والفابور عن تمايل رقصهِ ولكن ما كلّما

يتمنى المرء يدركهُ فيأتيك الطرب حيثما لا ترغب

ولما اشعرتُ بقدوم ضيف الدوّار الى منزل معدتي استعوذتُ بالله من هٰذَا الضيف الثقيل غير المحتشم والتمستُ بعادهُ كما التمس ابو الطيب بعاد الشيب الملمّ برأسهِ ولكن هيهات ان يبعد ضيف الدوّار اذا المّ بالمعدة كما لا يبعد الشيب اذا المّ بالرأس انما الفرق بينهما قد يحتال على الشيب بصبغةٍ تخضبهُ ولا حيلة على مداواة داء الدوّار ٠

ولما علمتُ تشبثهُ بعدم الفراق انسليتُ الى غرفتي وغيرتُ ثيابي استعدادًا لحكم هٰذَا الظالم الغاشم وتمطيتُ بفراشي طريحًا أئنُّ من الم الدوخة وافرّغ ما خزنتهُ بمعدتي من غذاء المآكل وهٰذَا السيد الجائر يرتاح بان يبيت عبيدهُ على الطوى ولذلك رفضتُ اضطرارًا كلما عرض عليَّ من المآكل

لا تلمني ايها القارئ العزيز اذ أسهبتُ عن الدوار فانك اما لم تسافر بحرًا او سافرتَ وعصيت على سلطة جورهِ فاجارك الله منهُ ولو كنت ذا مزاج صفراوي لعذرتني ان المصاب بالدوار يشعر بانقلاب في المعدة وبخضة في الجسم وانحطاط في القوى و باهتزاز في الاعصاب وبمرارة في الفم ولا غرو فالجماد اذا توالى اهتزازهُ يتأثرُ تركيبهُ أشهدت الرعاء تمخض زق اللبن لاستخراج الزبدة وكيف بمخضِ الزق واهتزازهِ يتغير تركيب اللبن و ينفصل الى زبدة وجبن وهكذا اهتزاز البحر يهيج الصفراء بجسم الانسان و يغيرُ من راحتهِ

ما زال الفابور ينجد تارةً و يغور أخرى و يتمايل ذات اليمين وذات الشمال حتّى الساعة ١ ١/٢ بعد ظهر الاثنين في ٣ حزيران حينما اطلّت علينا جزيرة كريد فنهضتُ من فراشي لانظر عن بعد شبح هذه الجزيرة المشهورة بالقدم وكنتُ ارمقُ اطوادها الباسقة في بسيطة البحر واتذكرُ ما قرأتهُ في الميتولوجيا عن جبل ايدا حيثما دبَّ وشبَّ معبود القدم

الاكبر جوبيتر المشتري مغتذيًا من عسل هذا الجبل المشهور واين سنّ مينوس شرائع العدل التي ضرب بذكرها الركبان في سالف الزمان وخلدها التاريخ حيّة ممجدًا اسم واضعها حافظًا ذكرهُ رغمًا عن فناء العصور واي امرىء احق بالذكر من الملوك الباذلين كنائنَ جهدهم لا في الفتوح وهدر دماء العالمين بل في القسط بين الخلق وسن الشرائع العادلة والانصاف بين عموم التبعة على خطة سويّة ومنهج واحد

بقيت سارح الفكرة في فيافي التاريخ حتّى دق جرس العشاء وقد راق البحر من هياجهِ وصفت زرقة لونه وسالت زبدة موجهِ من فترة الهواء فخف تمايل الفابور وارتجاج الجسم ودوخة الراس ونزلت الى المائدة اغتذي بالخفيف من الطعام واحسن شيء للمسافر القابل لدوخة البحر ان يجتنب الطعام الثقيل والمرق واللحم اللين المشوي والفاكهة اوفق الاطعمة لهُ وبعد العشا تمشيت قليلاً على ظهر الفابور ثم اشعرت باقبال الدوار فقصدت الاحتماء منهُ بالالتجاء الى الفراش ودرجت الى عش غرفتي اقول لمعدتي هذا محلكِ مكانكِ تحمدي اوتستريحي

نهضت الساعة ٧ ١/٢ صباح الثلثا واطليت من نافذة الغرفة فنظرت بالبحر جزيرة صغيرة اسمها ستامفوني فلبست ثيابي وخرجت الى ظهر الفابور لا تفرّج عليها فوجدتها صخرة قاحلة لا تستحق العناء انما بعد ساعتين قابلنا جزيرة زانتي احدى الجزائر السبع وهي جزيرة كبرى ومهمة وكان اسمها قديمًا ذاسنتي مساحتها ١٦١ ميلاً مربعًا وعدد سكانها ينوف عن خمسين الفًا وطولها ٣٦ كيلومترًا ضعف عرضها وسكانها من الاغريق يخالطهم بعض اليهود في عاصمة الجزيرة ذانتي وقد حافظ الاهلون على اخلاق سلفائهم القدما واستمسكوا بعرى عوائدهم وازيائهم اكثر من سائر اليونان اخوانهم وجل حاصلاتها من العنب والزيت والخمر ويوجد بها نبع من القار

ما كادت تغيب هذه الجزيرة عن الابصار حتّى بانت شقيقتها
سفالونيا جالسة على البحر المحيط بها يغسل قدميها بامواجهِ وبدنها ابدًا
مرتفع عنهُ يأبى الاستحمام بماء البحر ويقتنع برش الغيث وهذهِ الجزيرة
اجسم من اخواتها السبع قدا واوفرها حشمًا ولها ثغر مرفاءٍ عذب المورد
يؤمن اللاجي اليهِ من غدر العواصف ويمتدُّ بين عاصمتها ارغوستولي
وبلدة لوكزوري مساحتها ٣٤٨ ميلاً مربعًا وعدد سكانها يقارب مئة الف
والمشهور عنهم انهم شجعان واذكياء وذوو خداع بالتحيل على المعاش
يلجون الابواب الموصلة اليهِ ولو كانت غير نظيفة تربتها وعرية وفيها
الشعاب نادرة السهول وينتج منها العنب والزيت والخمر وفيما كنت
جالسًا متأملاً في عقيق جبالها المداني ياقوت البحر ولؤلؤ الموج دنا
مني طبيب الفابور وكنت حينئذٍ كالبحر على غاية ما يرام من الصحو
التام وقال لي بلغني من الخواجه اوط (تاجر سويسي من ركبان
الفابور وصاحب لي) انك تلعب الشطرنج فهل لك في منازلة نقصر بها
طويل النهار ونبحو من الملل فاجبتهُ سمعًا وطاعة الى بعد الغذاء فنزلنا
سويّة الى المائدة واكلنا ما تيسر ثم عدنا الى مكاننا الاول وافترشنا
الرقعة مضمار النزال وبدأنا باللعب فتكأكأ الركبان علينا متفرجين
وكنا بدرجة متساوية بالقوة كلما بادر احدنا الآخر برمية دفعها الثاني
بدرع الفكرة وكانت جنود البيض والسود تتقاتل حتّى تجندل سويّة
ولم يبقَ للكفاح غير الملكين فتصافحنا اكفَّ الاكفاء وطوينا الرقعة
المنشورة ثم استأذنت الطبيب ونزلت الى غرفتي مشعرًا بخطائي في
اذعاني للعب الشطرنج لاني اضطررت الى اعمال الفكرة بعد الطعام فقلَّ
توارد الدم الى المعدة وعسر الهضم ناهيك عن وجودي بالبحر فزدت
الطين بلّة وانقضَّ عليَّ الدوار بعنف يذيقني كاس العذاب اثناء الليل
وحرمني من رؤيا جزيرة كرفو التي مررنا عليها عن بعدٍ . وكم وجدت

الليل طويلاً اذ بتُّ ارعى نجومهُ من نافذة الغرفة واستنجد بالفلك الدوار من ثبوت الدراري في مواضعها واوهمني طول السهد وجاش النفس مدى الزمان اضعاف حقيقتهِ فتذكرتُ قول امرىء القيس لما تولّى عليهِ السهاد مرّةً والتمس من الليل الطويل انجلاءهُ وقد توهم من ثبوت نجومهِ انها قيِّدَت بالحبال في الصخور المكينة

فيالك من ليل كأنَّ نجومهُ بامراس كتان الى صمّ جندلِ

ما كاد يولي نجاشي الظلام امام قيصر الصباح حتَّى ابتسم لنا ثغر برندزي فدخلنا مرفأها الساعة ٥ من يوم الاربعاء في ٥ حزيران وكانت مسافة السفر ثلاثة ايام كاملة العدة واجرة السفر من اسكندريَّة اليها بالطبقة الاولى تسع ليرات انكليزيّة مع فابورات الشراكة الشرقيَّة ومثلها مع فابورات اللويد انما هذه الشراكة تخصم ١٠ في المائة لذي العائلة ان بلغ عددها الثلاثة فما فوق وقد اسقطت لنا من الاجرة ٢٠ في المائة انقيادًا للمنافسة مع زميلاتها اثناء المعرض

مرفأ برندزي صغير ولكنهُ امين وترسو المراكب بجانب الرصيف على مرمى حجر منهُ مثل بورسعيد فاستأجرنا قاربًا بافرنكين ونزلنا بهِ مع عفشنا وسرنا من الرصيف بعفشنا الى مخزن الجمرك المقابل لمحط الركاب وهناك فتحنا الصناديق (فاليجات) ورأى مستخدمو الجمرك ان ليس بها من المحظورات كالدخان والاشربة الروحيَّة فوضعوا عليها علامة التسريح وحمل العتالون صناديقنا الى الفندق المجاور المدعو Grand Hôtel Bagliani حيثما ذهبنا للراحة والفطور

بعد ان افطرنا وارتحنا نوعًا من دوخة البحر نزلنا الى غرفة الاستعلام نستنسر عن مواقيت سفر القطار الحديدي الى نابولي فوجدنا ان قطار الاكسبرس يسير من محطة برندزي الساعة ٩ صباحًا و يبلغ نابولي الساعة ٩ ١/٢ ليلاً ففضلناهُ عن غيرهِ لانهُ اخف قدمًا ومسيرهُ بالنهار فننظر

بطاح ايطاليا الجنوبيّة ومروجها وجبالها وننعم النظر في مناظرها
الشهيرة بالحسن فلما دنت الساعة ٤/١ ٨ عدنا للاوتيل بعد الفرجة على
البلدة وسرنا باومنيبس الاوتل الى المحطة وهناك دلنا سائق الاومنيبس
عن محل مشترى تذاكر السفر وسار بعفشنا الى قاعة الانتظار غير
معارض من خدمة السكة لان صناديقنا صغيرة من نوع الاجربة (فاليجات)
التي تدخل في حجرات القطار ولا يزيد طولها عن ثلثي المتر وعلوها
عن ربع متر وعرضها عن ثلث متر فعلى المسافر ان ينتبه الى هذه المسئلة
ويستطيع ان يأخذ معهُ جرابين عوضًا عن صندوق كبير وهكذا يوفر
عنهُ عناء تسجيل العفش ودفع اجورهِ وانتظار استلامهِ في محطة الوصول .
قطعنا تذاكر السفر وهي ٣١ فرنك للطبقة الاولى ونقل خدمة السكة
عفشنا الى حجرتنا وهي معدة لستة اشخاص ولكن لحسن الحظ لم يكن
خلافنا بها لان عدد الركبان اقل من عدد الامكنة المعدة لهم وقلّما تغصّ
الحجرات بسكانها فاعطينا العتالين افرنكًا اجرة المشال وجلسنا ننتظر
اقبال الساعة التاسعة ميعاد السفر . وقبل الرحيل من هذه المدينة اكتب
شيئًا عما شاهدتهُ بها وقرأتهُ عنها . برندزي واسمها القديم بروندوزيوم مدينة
صغيرة يبلغ عدد سكانها عشرة آلاف وهي مبنيّة على جون امين للسفن
اضرّ بحسنهِ امبرطارانت لما رغب في سدّهِ لمنع عمارة البندقيّة عن ولوجهِ
فغرّق كم سفينة بوسط مدخلهِ فسدّت الطريق دون مجال الرمال وتجمعت
ركامًا فوق السفن فصارت الفرضة نعصًا وبيئًا تكثر فيها الحميات
لاسيما زمن الصيف وقد اضرّت بسكانها واودت بهم قبل اصلاح مرفإها
الجديد ولا يزال مناخها غير مشكور وترى بالمدينة خرابات ناطقة عن
الزلازل التي دكّت بعض جوانب البلدة وتتباهى برندزي بوفاة فرجيل
شاعر الرومان بها وتذكر بالحصار الذي شدّدهُ يوليوس قيصر على غريمهِ
البطل الروماني بومبايوس وكيف افلت هذا من التضييق المحيق بهِ ببسالة

ندر مثالها اذ اخترق صفوف اخصامهِ وفرّ الى بلاد اليونان

ولا يوجد بها شيء جدير بالذكر واهم اثارها عمود شبه مأذنةٍ شاده الامبراطور الجرماني برباروسا واعظم شوارعها كرسوغار يبالدي وشارع المينا

الساعة ٩ سار بنا القطار رسيا يجاري في عدوهِ السحاب وكانت الغياض والرياض تمر علينا كالبرق لا نكاد تبان حتَّى تختطف عن البصر والاجم ملتفة الاشجار من كروم وزيتون وتين ودراق وجوز اشتبكت ببعضها اشتباك الحابل بالنابل والمروج مكسوة الوجوه بسنابل الحبوب القائمة على سوقها كأن هذه الارض الخصيبة تأنف من الاجرود فاقسمت ان لا تظهر الاَّ ملتحية مخضبة باللون الزمردي لون النباتات وظللنا نستأنس بهذه المناظر اللطيفة مجتازين محطات قرى مزانية ولاسيانو واوريا وفرنكافيلا وغروتوتاليا ومونتي ايزولا وتتفاوت الابعاد بينها ارباع وانصاف ساعات كان يقف بها القطار نحو دقيقة لتبادل البريد وبعد ان اجتزنا مونتي ايزولا تحلت الارض واجردت والساعة ١١ اشرفنا على بحيرة صغيرة اشبه بحوض كبير او بنعص وغالبًا انهُ خليج صغير من بحر طارانتو التي وصلناها الساعة ١١ و١٠ دقائق وهي مدينة صغيرة يبلغ عدد سكانها خمسة عشر الف نفس وكانت فرضة مشهورة قديمًا بمرساها الواسع الامين للسفن وقد ذكرها استرابون مغاليًا بها فحطّها الزمان من مقامها وضيق دائرتها المنفرجة سابقًا غير مبقٍ منها سوى الجانب المبني مكان الحصن القديم الشهير بحصار الرومان وامتناعهم بهِ على جنود هنيبال القرطجي القائد الباسل. بناها الاسبرطيون سنة ٧٠٧ قبل المسيح وظلت زمنًا مديدًا عاصمة مقاطعة مسابيا مستقلة بولايتها حتَّى فتحها الرومان سنة ٢٧٢ قبل المسيح فطردهم منها هنيبال سنة ٢١٥ ثم عاودوا الكرَّة عليها سنة ٢٠٩ ودانت لهم حتَّى دالت دولتهم وهي مبنيَّة على

لسان من البحر بين جونين ينال للشرقي البحر الصغير وللغربي البحر الكبير
بارحنا محطة طارانتو بعد وقوف القطار عشر دقائق بها راحة للمسافرين فتزودنا بعض المآكل من عند بقالها والاولى للمسافر ان يشتري هنا لوازمهُ من اطعمة واشربة فضيق الوقت بالمحطات السابقة واللاحقة يحول بينهُ وبين ما يحتاجهُ من لوازم نهارهِ . وكان مرورنا من هذه المحطة الى محطة كياطونا بين غاب صنوبر مجاور لساحل البحر والارض رمليَّة جدباء لا تشرح العيون وما انتهى غاب الصنوبر حتَّى دنونا من مصب جدول اغري المجاور لمحطة متابنتو وقد وصلنا اليها الساعة ١٢ ١/٤ وهي محطة مهمة ذات شعب حديديَّة متفرعة لجهات شتى فسرنا منها بين اراضٍ ذات تربة بين بين لا تُذَمُّ ولا تمدح يتخلل زروع حبوبها جنبات مقفرة مجدبة وكنا نرى كثيرًا من الاشواك والنباتات الطفيليَّة ضاربة بين مغارس الحبوب مما يدلُّ على عدم عناية فلاح هذه الجهة . الساعة ١٢ ٣/٤ وصلنا الى محطة برنالدا وقرية برنالدا بعيدة عن المحطة ومبنيَّة على ذروة رابية تكتنفها كثبان وشعاب اقل منها علوًّا ووديان وهضاب نضيرة الخضرة تقرُّ النواظر وقد امطرت السماء وتوالى صبيب الماء فحاكت حبائل لؤلوء على بساط عقيق تدبج بالزمرد وتعاقبت الشعاب الانيقة لابسة من سوق القمح جلابيبًا مخضرة او شهباء انقيادًا لنقادمها بالعمر واختلافها في الخضرة واليبوسة فما اشبهها بشيوخ جاست القرفصاء رعدة من البرد وقد تزملت بجباب مفرَّاةٍ بفراء النمورة والسمور وحقًّا انها مناظر بهجة تسرُّ العيون وتفتح الصدور . الساعة ١ وصلنا الى محطة بسنيشي الواقعة بسهل نضير ثم محطة فرناندينا وسلاندرا وغراسانو وكلنشيانو على ابعاد متساوية (ارباع ساعة) والاراضي التي اجتزناها بين هذه القرى متفاوتة لا في التربة بل في عناية الفلَّاح فكم رأينا مطمئنًا من الارض من طينة واحدة وحزونًا من تربة ذاتية فترى بعضها ناهضًا باشجار الزيتون

حتى تكاد تغطي الاديم وبجانبها ارضًا تماثلها تربةً اهملتها يد الانسان فاشغلتها قوة الطبيعة بحشائش بريّة لا فائدة منها .

الساعة ٢ و٣٥ دقيقة طفقنا في اختراق الجبال واجتياز المعابر المثقوبة بها مارين على جسور حديديّة فوق انهار ينبو عنها النظر من شدة العكر والساعة الثالثة وصلنا الى محطة تريفينيو وعدد السراديب التي عبرناها ثمانية اكبرها سرداب كابوماجيوره اي الطود الاعظم استمر بنا بهِ ست دقائق ويبعد عن نابولي ١٩٥ كيلو مترًا ومنذ وصلنا الى هذا الجبل تغيرت تربة الارض فقد كانت من برندزي الى طارانتو دلغانيّة حمراء ومن هذه الى متابنتو رمليّة صهباء ومن متابنتو الى كابوماجيوره حوارية صفراء . فعادت عند كابوماجيوره دلغانية حمراء

انطلق بنا القطار من محطة ترفينيو المبنيّة على ذروة طود هلاليّة الشكل الى محطة بوتنذا مخترقين سردابين فبلغناها الساعة ٣ و٥٥ دقيقة وهي محطة مهمة والبلدة كبيرة ومبنيّة على قمة شعبة مشرفة على وادٍ اخضر وقد وجدنا بالمحطة بقالاً يبيع لوازم المسافرين من مآكل وغيرها فقضينا اوطارنا بها لوقوف القطار عشر دقائق نظرًا لاهميّة البلدة وبعدها سرنا بوادٍ اريض انيق حتى وصلنا الساعة ٤ و٤٠ دقيقة الى محطة طيطو ثم الساعة ٤ و٥٥ دقيقة محطة بينشرنو وهي بلدة صغيرة ظريفة جدًا تشرف من رابيتها على مرج يانع مخضر وتلتها الساعة ٥ و٢٠ دقيقة محطة براجيانو فمحطة بلامورو — والساعة ٥ و٤٥ دقيقة محطة بلفانو ثم الساعة ٦ روماسيانو مخترقين من بوتنزا حتى هنا تسعة وعشرين سردابًا في جبال كلابرا او الابنين الجنوبيّة

الساعة ٧ وصلنا الى محطة ايبولي كامبانا بعد ان وقفنا بضع ثوانٍ على محطات بوشينو وسينشينيانو وكونتورسي وبرسانو واخترقنا سبع اطواد او حلقات من سلسلة هذه الجبال . وايبولي بلدة صغيرة مبنيّة في

سهل منفرج بين شعاب محيطة بهِ احاطة السوار بالمعصم

الساعة ۷ و ۳۰ دقيقة وصلنا الى محطة بوشتي كانيانو وقد مررنا على محطتين خلافها وحينئذٍ ارخى الليل سدولهُ وحال الدجى بين تمييز الاشياء فكانت الاشجار تمرُّ علينا كالاشباح وخلنا البحر المتوسط الذي اشرفنا عليهِ قطعة من الرقيع الازرق

الساعة ۷ و٥٥ دقيقة بلغنا محطة سالرنو وهي بلدة قديمة العهد حصنها الرومان وجعلوها معقلاً لجنودهم رهبة للشعوب المجاورة مبنيَّة على شاطئ البحر ويتدرج بناؤُها حتَّى سفح الرابية لغاية معقلها على نسق مرتَّع منضد الطبقات بديع المنظر ليلاً وقد كانت فرضة مهمَّة قبل تقدم نابولي ومقرًّا لمدرسة فلسفيَّة وطبيَّة في الجيل الحادي عشر وعدد سكانها خمسة عشر الف نفس

مررنا بعدها على ثلاث او اربع محطات صغيرة ووصلنا الساعة ۹ الى محطة بومبي وقبل وصولنا اليها اطلينا على جبل فزوف وقد عرفناهُ من نهر النار المنفتق من قمتهِ والمنساب انسياب الافعى حتَّى سفحهِ ومنظرهُ ليلاً بهيج وهائل وما اشبه اندفاق هذه الساقية الناريَّة من فوهتهِ باندفاق النحاس المصهور الخارج من آتون الصب ليندفع في المجرى الترابي الموصل للقالب كفي صب اجراس النحاس او خلافها ويبان عند ذروة الطود دخان كثيف محمر اللون بالدجى متواصل الصعود ليلاً ونهارًا انما مجرى الحمم متجه نحو البروليس البحر ولو قدمنا الى نابولي بحرًا فاتنا هذا المنظر الطبيعي الشيق لسامعي اخبارهِ والموقظ الخواطر الشعريَّة بغرابة طلعتهِ فورد لذاكرتي شطر بيت لابن الفضل البغدادي ضمنتهُ هذهِ الابيات

يا سائرًا متنقلاً عرج على ... بلدٍ زهت بالحسن والاحسانِ

هي نابلي ذات المحاسن للقرى ... تهدي الضيوف وسائر الركبانِ

أنعم بها نشرت على هام الربا　　للطارقين ذوائب النيران

مررنا بعد محطة بومبي على محطات طوره ده انونزيانا (طود البشارة) فطوره دل غريكو (طود الاغريق) فطوره بورتيشي وهي من ضواحي نابولي وبجوار الفزوف لجهة الغرب اي من الجهة المعاكسة لمجراه بيد ان جوار الذئب لخير من هذا الجوار والساعة ٩ ونصف وصلنا الى محطة نابولي هذه المحطة عظيمة الانساع جميلة الترتيب وحالما ولجناها خرج قطاران آخران فجاءنا عتال مستعجل وحمل عفشنا حتى باب المحطة حيثما سلمنا تذاكر السكة لحاجب الباب وما كدنا نخرج من سياج المحطة حتى هجم علينا سرب من خدمة الفنادق وكل منهم يطرح علينا اسم فندقه واحاطوا بي احاطة السوار بالمعصم فكان هجومهم علينا كهجوم خشرم نحل على زهرة في قفر كلٌّ منهم يتمنى ان يمص ما بها من المادة الحلوة (النقود) ولسوء الحظ لم يكن بالقطار ركاب غرباء سوانا حتى يشغلوهم عنا وبعد حيرة التنقية نزلنا في اوتل رويال

هذا الفندق من أحسن فنادق نابولي موقعاً ونظاماً واغلاها قيمة بناؤهُ مكلف وثمين وقاعتهُ الكبرى مزخرفة بذوق وإتقان حتى انك ترى على دائرها الاعلى ابيات شعر عربيّة ظريفة وعلى عضد البناء آيات كريمة مثل ما شاء الله وهذا من فضل ربي ونصر من الله وفتح قريب والاجرة عن المنامة ٧ فرنك بالطابق الاول و ٥ فرنك بالطابق الثاني وقد تجد احياناً ٥ فرنك بالطابق الاول ولكن ليس على الشارع بل جهة الحوش الداخلي .

بتنا ليلة الاربعا براحة وقمنا صباح الخميس نكتب بعض اسطر لعائلتنا باسكندريّة مع فابور روباتينو المعتاد سفرهُ بهذا النهار و بعد الكتابة نزلنا الى الطريق نتمشى الهوينا الى ان وصلنا الى فسحة كبيرة بها بركة جميلة وتمثالان من برونز وامامها سرايا عظيمة وكنيسة جميلة

فجلسنا في قهوة هناك اسمها قهوة توركيا ودنا منا رجل متقدم في السن فسألناهُ عن اسم هذه الفسحة قال انها فسحة بليبشيتو والسرايا هي السرايا الملوكيّة الكبيرة في نابولي فحينئذٍ عرفنا ان التمثالين هما تمثالا شارل الثالث وفردينان الاول من ملوك نابولي السابقين واستدلينا من حديث الرجل انهُ دليل للغرباء فاستأجرناهُ بخمس فرنكات ليدلنا على مفترجات نابولي الموجودة بالمدينة وحيث كان اليوم يوم خميس وهو اليوم المسموح بهِ مع يوم الاحد لدخول المتفرجين الى السرايا الملوكيّة قمنا اولاً الى السرايا الكائنة بجانبنا ولكنها لا تفتح للمتفرجين الاّ من الساعة ١٣ الى الساعة ٤ بعد الظهر وبهذا الشهر غير مسموح للمتفرجين بالدخول لان الملكة موجودة بضواحي نابولي ومتى كان احد من العائلة المالكة بنابولي لا يسمح لمتفرج بالدخول فتكدرنا من هذهِ المصادفة وقنعنا برؤْيا التياترو الملكي وهو متناهٍ في الزخرفة والبهرجة ينار بالنور الكهربائي ويسع اربعة آلاف شخص فرشهُ من الدمقس الاحمر وخشبهُ مذهب ومفضض والغرفة الملوكيّة ثمينة جدًّا وبعلوها التاج الملوكي من الخشب النفيس المذهب انتقلنا منهُ الى ساحة البلديّة (Piazza municipale) وامامها صرح البلديّة وعلى جانبي بابهِ لوحان منقوش عليهما اسماء الّذين ساعدوا في تحرير البلاد من نير العائلة البوربونيّة الّتي كانت مالكة عليها وامام هذا الصرح جنينة ظريفة صغيرة هنا استاجرنا عربيّة بثلاث فرنكات لتذهب بنا الى الثلاث كنائس الكبرى في نابولي وتنتهي بنا الى المتحف (موزه) فسرنا اولاً الى كنيسة الثالوث (Trinita) وهي اكبر كنائس نابولي واشدهــا كلفة واتساعًا جدرانها من المرمر والفسيفساء وارضها من المرمر المخطط وقبتها شاهقة ومزخرفة بالتصاوير الجميلة والدهون المذهبة وامام هذه الكنيسة قاعدة عالية من المرمر على هيئة مسلّة وبعلوها تمثال مار يوسف ثم سرنا الى كنيسة كيارا وبجوارها دير للراهبات المتبتلات من بنات العيال وهذه

الكنيسة قديمة العهد لان بها وراء الهيكل قبر الملك فرنسوا دانجو وبجانبهِ قبر اخيهِ شارل وذلك حين قدمت هذه العائلة الفرنسوية وتبوأت اريكة المملكة النابولية بمدد انسبائها ملوك فرنسا ويوجد قبر آخر ايضًا للملكة ماريا كربسنينا من السلالة الاسبانيولية وعلى دائر الكنيسة بعلو نحوٍ من اربع قامات رواق من خشب مذهب ومشبك من نحاسٍ اصفر قريب الشبه بشعريات النساء في كنائس المشرق وغالبًا انهُ مخصوص للعذارى المتبتلات حين قدومهنَّ للكنيسة فيحتجبنَ وراءهُ عن ابصار الناس . خرجنا منها وقصدنا الكنيسة الكاتدرائيَّة المسماة عندهم دومو وهي كنيسة سان جنارو والبناؤون يصلحون واجهتها على نسق الكنائس الحديثة مع انها قديمة العهد ولها كرامة عند اهالي نابولي المتعبدين بحيث تحت هيكلها قبر القديس صاحب الكنيسة ويقال ان بالهيكل الايمن من مدخل الكنيسة قارورتين من دمهِ المسفوك في سبيل الشهادة وان دمهُ يصل او يجمد سنويًا بحسب رضاهُ عن الاهالي او كدرهُ منهم وتلك احاديث يستمسك بها الرهبان للسطوة على عقول السذج والبُلهْ . سقف الكنيسة مزخرف باحسن زينة وطلي ودهان وكذاك حيطانها وجدرانها وتستحق الزيارة

مررنا بطريقنا على كنيسة سن فنشنسو وامامها تمثال مماثل لتمثال المسلة امام كنيسة الثالوث وهو على اسم القديس مار منصور . غادرنا هذه الكنيسة قاصدين الموزة فاجتزنا شارع موريًا وهو شارع جميل بوسطهِ ساحة كافور دخلنا الموزه وهي بناية فاخرة وذخائر بومبي المنقول معظمها لنابولي جعلت هذا المتحف في مقامٍ معتبر بين متاحف اوربا واذا شئت وصف ما شاهدتهُ بالتطويل ضاق بي المقام فحدث عن البحر ولا حرج ترى بهِ تماثيل عظماء الرومان كبوليوس قيصر و بومبي وتيطس ومارك اورل ومارك انطونيوس وكارافالا ونيرون بمقربة من رواق آلهة الرومان واليونان من

جو بيتر اله الالهة حَتَّى فلورا الهة الازهار واعجبني من تماثيل الالهة تمثال
مارس اله الحرب فان هيئة وجههِ وظهور عضلاتهِ بجلاء ومجمل سيمائهِ دليل
على الفروسيَّة وحب القتال فيعرفهُ الناظر بدون ان يقرأ اسمهُ وكذلك
سررت من جرن الغطاس لمولد باكس اله الخمرة فان النقوش على ظاهر
الجرن تدلُّ عليهِ وهو نقش الحفَّار الشهير بالقدم ايبوس اليوناني ولا يزال
اسمهُ منقوشًا على الجرن • رواق الفسيفساء ملآن بانواعها واشكال طليها
غرفة السلاح جامعة انواع سلاح الرومان . غرفة الاواني النحاسيَّة اواني
نحاسهم • غرفة اواني الزجاج انواعًا كثيرة من اوانيهم الزجاجيَّة والبلوريَّة
وبمثلهِ غرفة اواني الخزف . غرفة النقود اكثر انواع نقود اليونان والرومان
واوربا بعد سقوط الدولة الرومانيَّة حَتَّى عصرنا . غرفة ملابس ومآكل
اهل بومبي من افيد ما يكون بالمتحف ترى بها خبزًا متكربنًا وكذلك تمرًا
وجوزًا ولوزًا وصنوبرًا وشعيرًا وقمحًا وزبيبًا وعنبـًا وفولاً وحمصًا
وخروبًا كلها متحجرة متكربنة وبجانبها بقايـا اقمشة وانسجة كتانيَّة وقطنيَّة
وحبالاً وخيوطًا وفتائل وقارورة بها زيت زيتون لايزال محفوظًا كما
كان وقت ردم جبل النار مدينة بومبي فهبطت الحمم على فم القارورة
وسدتها سدًّا محكمًا فحفظ الزيت بها ما ينوف عن الف وسبعمائة سنة وهو
لا يزال يجمد بالبرد ويسيـل بالحرّ ونقلتها الحكومة الى الموزه بحالتها
الاصليَّة الَّتي وجدت بها وسدادة القارورة من صفوان الحمم متحجرًا
كذلك نظرت زيتونًا متحجرًا وبعضهُ محفوظة حباتهُ في انابيب زجاجيَّة
باسفلها زيت متقطر منهُ • في غرفة الاختام المنقوشة وجدت طاسًا بديعًا
اسم الطاس فرنزه وهو من ابدع انواع النقش واحكمهُ اتقانـًا منقوش
من حجر طلي بهي اشبه ما يكون بقرن وحيد القرن ولا ازال اظن انهُ منهُ
بحيث لم اقدر امسهُ بيدي فانهُ محجوز عن اللمس ضمن دائرة زجاجيَّة ترى
منقوشًا بهذا الطاس رسم الاسكندر واقفًا على راس ابي الهول وبيدهِ القرن

وامامهٔ رمز الخصب وفوقهٔ ملاك حامل اكليل الفوز كانهٔ يقول للقطر المصري سيدرُّ لك النيل الخصب والخيرات بعد فتح الاسكندر بلادك ويقال انهُ أهدي للاسكندر زمن صبوتهِ والبعض يقول انهُ نقش في زمن خلفائهِ البطالسة وقد وجد هذا الطاس برومة بقبر الامبراطور ادريانوس.

يوجد بالموزه غرف عديدة للتصاوير من كثيرين من مشاهير مصوري الايطاليان وغرفة للمكاييل والموازين والمصابيح والمسلات والابر والطاسات النحاسيَّة والصناديق الحديديَّة . وغرفة لا يسمح للسيدات للدخول اليها ومكتوب على بابها مناظر غير اديبة وقد دخلتها للفرجة ووجدت ان انواع الخلاعة وطرق الفساد المعروفة في جيلنا الحاضر كانت رائجة السوق في زمان خراب بومبي حتَّى وجدت مرسومة بوقاحة على جدران عموميَّة بما يخجل منهُ نظر الرجل فضلاً عن ربَّات الحجال . يوجد ايضاً غرفة للقراطيس والدروج المتكربنة التي وجدت في بومبي وهركولانوم ولا يزال الحبر واضح الخطوط على الاوراق رغماً عن سوادها الفحمي

نجد تحت الطابق الاول من المتحف طابقاً سفلياً تنزل اليهِ بسلم هناك تجد رواقات لآثار المصريين والهنود والصينيين وتمثالي نابليون الاول والملك فرناند ولم يتقن هذا الرواق بعد ويستخف بهِ زائر متحف بولاق اولاً برواق الآثار الصينيَّة بيضة من الصدف والعاج كبيرة الحجم بديعة الصنع لا اظنها قديمة العهد بل حديثة

رسم الدخول للمتحف افرنك واحد عن كل شخص وهو بوسط المدينة وليس باطرافها

رجعنا من المتحف الى الاوتل وتناولنا الغذاء وارتحنا هنيهةً ثم استأجرنا عربية بثلاث فرنكات بالساعة وقصدنا قلعة سن الم وكنيسة الشارترز المبنيَّة بجانب القلعة المنظر من سطح القلعة بديع لانهُ مطلٌ على كل نابولي شرقاً وغرباً ونابولي مبنيَّة على هذه الاكمة من ذروتها حتَّى

شاطىء البحر وقد صعدنا الى القلعة من الجانب الغربي ونزلنا من الجانب الشرقي فلم تبق نقطة بنابولي وما اطلينا عليها بهذه الدورة العالية الظريفة ومن اظرف الشوارع التي مررنا بها شارع طوليدو وهو بمثابة شارع شريف باشا باسكندرية محكم الاتقان ومخازنة ملأى بالبضائع النفيسة لوازم الاثاث والملابس لذوي الثروة وبوسط الشارع تمثال لدانتي شاعر الايطاليان مشاد في فسحة على إسمه امام مدرسة عليا على اسم الملك فيكتور عمانويل وانتهينا في شارع الكيايا على رصيف البحر وهو مورد ذوي الثروة ومحبي النزاهة فيتجارون به مساء على الخيول المطهمة والمركبات النفيسة ومجرى الفرسان منفصول عن مجرى المركبات بحاجز خشبي منعاً لضرر الازدحام وعلى يمين المضمارين جنينة متسعة طولاً وبها ماش مظللة بالاشجار المحنية على بعضها كاقبية البناء فيحسب الماشي نفسه في رواق ظريف اعمدته دعائم الاشجار وعقوده الغصون والاوراق بوسط الجنينة كشك خشبي تضرب به ليلاً موسيقى الحكومة وتختلف الى فسحته الاهالي من عموم الطبقات ويسمعون آلات الطرب مشاةً حوالي الكشك ولا يدفعون شيئاً او جلوساً على كراسي ومقاعد هناك ويدفعون خمسة عشر سنتيماً رسماً للبلدية وبالجنينة كم بركة وتمثال ليست بفاخرة لتستحق الذكر والبحث عنها وبها ايضاً بيت طعام وقهوة ظريفة وصاحبها اباث ويؤمها ذوو الثروة واكابر النابوليين لحسن المركز وجودة الطبخ واسعارها اغلى فئة من سائر بيوت المآكل في نابولي واسم المحل قهوة ورستوران ده نابل وقد تعشينا هناك مرة

صباح الجمعة قصدنا بومبي وقطار السكة الحديدية اليها يسير الساعة ٨ و ١٠ دقائق والساعة ١٠ و ٢٥ دقيقة صباحاً فوصلنا المحطة الساعة ٨ و ١٢ دقيقة تماماً وما قدرنا نلحق بالقطار فاضطر بنا ان نستأجر مركبة تقودنا اليها واجرة اللاندو ١٥ افرنك فلا يوافق المسافر المنفرد

ان يذهب اليها بالمركبة لانهُ يستطيع الذهاب بسكة الحديد باربع افرنكات درجة اولى او بثلاث افرنكات درجة ثانية ويدفع اجرة مركبات للعربطة ذهاباً واياباً ٢ فرنك فيصرف ٦ افرنكات انما لثلاثة رفقاء المصروف تقريباً واحد سواء بالسكة ام بالمركبة. مسافة الطريق ساعة واحدة بسكة الحديد و٣ ساعات بالمركبة لكن يعتاض عن طول السكة ما يراهُ راكب المركبة من شوارع نابولي وبنيانها المرصوص من فندقهِ حتَّى آخر ضواحي نابولي المدعو طود البشاره وهو بجوار بومبي فيسير نيف ساعتين بالمركبة بشارع عريض منعكف والبنيان يكتنفهُ ذات اليمين وذات اليسار ويمر على هركولانوم بجانب الفزوف حتَّى يبان لنظرهِ المجرد من القمة حتَّى الحضيض ويميز عن بعد طريق المركبات المجرورة بالآلات والسلاسل المسماة فينيكولر الناهضة براغب الصعود اليهِ من سفحهِ حتَّى فوق منتصف علوهِ ويجتاز ايضاً بيوتاً مبنيَّة على الحمم الَّتي انقذفت منهُ وجمدت على تمادي الايام فصارت صخرًا صلدًا واكثر هذه الابنية في ضاحية نابولي المدعو طود الاغريق وهو متصل بهركولانوم

وصلنا الى بومبي الساعة ١١ تماماً وبحيث كان مسيرنا اليها غير يوم احد دفعنا عن كل فردٍ منا افرنكين رسم الدخول ويوم الاحد مجاني للعموم انما اظن الذهاب اليها في غير يوم احد اوفق لمحب الآثار وراغب المعرفة فالزائرون يوم الاحد عديدون ولا يتفرَّغ الى الخدمة الادلاء الواقفون هناك بامر الحكومة لمرافقة الزائر كل الوقت الراغب بهِ انما يسهل عليهم ذلك في ايام الاسبوع وكان رفيقنا انيساً وذا المام بصنعتهِ ولم يفارقنا نيف ثلاث ساعات تفقدنا بها اهمَّ آثار بومبي وسائر شوارعها المكشوفة حتَّى لم نبقِ بالنفس شيئاً منها واشترينا كتاباً يباع عند المدخل بفرنك يوضح بجلاء عن المكشوف من الآثار وها انى مورد اهم وافيد ما رأيناهُ ذاكرًا على سبيل الالماع طرفاً من تاريخها. ان اول

من اسّس هذه المدينة مهاجرون من اليونان امتزجوا بسكان ايطاليا نحو الجيل السادس قبل التاريخ المسيحي ثم في سنة ٤٢٤ قبل المسيح نزل بها صنيون سلالة من سكان جبال ايطاليا الوسطى المدعوة ابنين واستمروا بها حاكمين حتّى حرقت ستابيا المجاورة لها وصارت تابعة لرومة سياسة واخلاقًا وتمدنًا وصار يختلف اليها ويأنس للاقامة بها كثير من رجال رومة وعظمائها الّذين كانوا يهاجرون عاصمة الرومان فرارًا من حركات الخواطر وشغب الشعب الروماني فتعاظمت بومبي بهذا المدد المفيد وسلكت سبل التمدن لابسةً حلل العمران البهيّة وفيما هي تنمو عمرانًا وثروة باتساع نطاق تجارتها وازدهاء جمال موقعها حتّى صارت من المدن المعدودة في ايطاليا فاجأها زلزال هدّ اركانها وقوض بيانها في الخامس من شهر شباط سنة ٦٤ مسيحيّة فجدّ اهلها في اعادتها لرونقها والباسها حلتها السابقة وما فرغوا من صرف الهمم حتّى دهمتهم الداهية السوداء وقذفهم الفزوف بنيران حشاهُ فاحرق منها اليابس والاخضر ثم توجع عليهم ان تموت مدينتهم بلا كفن ولا ضريح فذرّ الصفوان ثلاثة ايام متوالية فغطّاها وكان رمادهُ لها كفنًا ثم جمدت فوقها الحمم فدفنها بضريح واراها به عن الابصار من سنة ٧٩ حتّى اواسط الجيل الماضي وقد وصف المؤرخ الروماني بلين الصغير هول هذه الحادثة بكلام مؤثر يمزق القلوب فتذوب اسًى على حظ بومبي التعيس

كلام عن اهم ما شاهدناهُ في بومبي

شوارع بومبي مبلطة بحجر اسود مقطعة بالفزوف وهي ليست متسعة واشدها اتساعًا الشارع المدعو شارع الخصب وبوسطهِ بركة ماء عليها تمثال نبتون على ما اذكر وبيدهِ قرن الخصب وعلى بلاط الشارع اثر مرور العجلات ويتلوهُ بالاتساع شارع الحظ ولكل شارع رصيفان عاليان عن منتصفهِ مثل مدن بر الشام المبلطة من زمان الرومان كبيروت وطرابلس

بيوت بومبي

دخلتُ بيوتًا عديدة وكلها تكاد تكون على نسقٍ واحد فاذكر للقارئ بيتًا منها مدعوًّا بيت الفسيفساء لانهُ مبلط بها فقبل ان تدوس عتبة الباب ترى كلمة الترحب مكتوبة بالفسيفساء عند المدخل وهي لفظة Have المدخل من فسيفساء وجدرانهُ مدهونة وفي صحن الدار حلقة متسعة كانت حديقة الدار وخلفها بركة ماء وعلى الجوانب الغرف وبالصدر قاعة الاستقبال تكسو جدرانها التصاوير الجميلة تمثل حوادث الالياد التي ذكرها هوميرس الشاعر وعلى احد الجوانب دهليز موصل الى مطبخ وغرفة موونة وغرفة استحمام وسلم مرصلة للطابق العلوي وعلى هذا النسق بناء اغلب البيوت انما وجود الفسيفساء والمرمر واتساع البيوت وضيقها وكثرة الرسوم وندرتها وعدمها موقوف على غناء صاحب البيت وفي احد البيوت واسم صاحبهِ ماركو الكونيكو بركة ماء جميلة يندفق اليها الماء من فم تمثال ابن الزهرة اله الحب ويتصل اليهِ من اقنية رصاصيةٌ داخلة ضمن اعمدة البيت والاقنية الرصاصيةُ وحنفياتها النحاسيةّ تشبه تمام المشابهة اقنية الرصاص بوقتنا الحاضر

مساجد بومبي هيكل الزهرة

هو اقدم معابد بومبي بني قبل قدوم صبنيين اليها وكان ضيقًا فتوسع وهو مبني امام ساحة فسيحة الارجاء فلما بنيت الفسحة المذكورة فوروم او محلاً لاجتماع الشعب اضطرّ الحال الى تغير شكل الهيكل الخارجي وتحويطهِ بحائط ودعائم جميلة المندام على النسق اليوناني وتزخرفت واجهة بيت مقدسهِ الداخلي وبنيت صومعتان على اطرافهِ لمقام كهنتهِ وعلى هذه الحالة طمرهُ الفزوف فمدخلهُ مبني من اربع دعائم ويصعد الداخل اليهِ درجتين امام الباب ودائرتهُ مؤلفة من ثمانية واربعين عمودًا يتخللها جدران مرسوم عليها حوادث من وقائع هوميرس مثل آكيلا مجرد سيفهُ

على اغامنون وهكتور موثق بعربة تجرهُ حول سور طروادة وبريام متوسل استلام جسد هكتور وغيرها من قصص الايلياد وكان في صحن الهيكل تمثال لعطارد والالهة مايا وامام بيت المقدس كتابة مبينة اسماء الذين سعوا في بناء الهيكل وعلى يسار المعراج المرتقى عليهِ لبيت المقدس عمود من المرمر يوناني بهِ ساعة شمسية نقلت مع اكثر الصور والتماثيل الى متحف نابولي . لواجهة بيت المقدس ستة اعمدة فاخرة ومبلط عند صحنهِ بالمرمر وعليهِ قاعدة من المرمر وفوقها تمثال المعبودة فنوس (الزهرة) ووجد هنالك ايضاً تمثال لابولون ونصف تمثال لديانا وتمثال رجل عريق الفضل مجهول الاسم من اهالي بومبي

هيكل المشتري

هذا الهيكل كان قبل الزلزال بديع الاتقان محكم المندام وافر العُمد والتماثيل المرمرية وكان عالي البنيان فاضرَّ بهِ الزلزال كثيراً وكان تحت الاصلاح لما طمست المدينة انما لحسن الحظ وجد كثير من زخارفهِ مجموعاً في قبوٍ تحت بيت المقدس كأن سكان بومبي جمعوها هناك من تحت ردم الزلزال ليردوها اليها بعد تمام اعادة البناء ونقلت كلها الى متحف بومبي ومنها التمثال العظيم لجوبيتر من المرمر على قاعدتهِ ببيت المقدس ونظرنا بارض بيت المقدس بقربة من محل الضحايا ثلاثة شقوق موصلة الى اقبية تحتها كان ينهدر منها دم الضحايا الى اوعية بالاقبية

هيكل ايزيس

هو هيكل صغير كان مبنيًا لالهة المصريين ايزيس فدمرهُ الزلزال ونهض رجل من سكان بومبي اسمهُ نومريو بوبيدو امبليانو واعاد بناءهُ من مال ابنهِ القاصر بوبيدو نشلسينو كما نقش ذلك على لوحٍ ملتمساً رضى الالهة لابنهِ ونسق الهيكل مخالف لنسق الهياكل السابقة في شكل البناء فلا يوجد بهِ نسق البناء العمودي اليوناني وعند صحن دارهِ حوض

وعلى جانب اليسار غرفة ودرك موصل الى غرفة سفلى يقال ان الغرفة العليا كانت لملابس كهنة هذه المعبودة والسفلى محل القاء بقايا الضحايا وكان يصل الماء الى الحوض من غدير سارنو واخبرنا الدليل الذي رافقنا ان هيكل ايزيس كان اول ما كشف من بومبي فانهم كانوا يحفرون قناة لمجرى الماء من سرنو الى طود البشارة فعند وصولهم فوق هيكل ايزيس ظهرت لهم نافذة موصلة لحوض الهيكل فتعقبوا الحفر الى ان كان ما كان من ظهور بومبي انما اورد هذا الخبر على علاته والتبعة به على الدليل المبلغ فاني لم اجد له اثرًا في كتاب فيورلي الباحث عن آثار بومبي وكان بصحن بيت مقدس هذا الهيكل تمثال للآلهة ايزيس الرأس واليدان والرجلان من المرمر والصدر والبطن من الخشب وثيابها من الجوخ وبجانبها تمثال لباكوس اله الخمر وضعه نومربو المذكور آنفًا من ماله الخاص وكان على الجانب الايمن امام معراج بيت المقدس عمود وعليه لوح من صخور مصر منقوش عليه باحرف الهروغليف صلاة للاله اوزيريس

هذه اهم الهياكل وقد تفرجنا على هياكل غيرها كهيكل عطارد وهرقل انما نسقها واحد لا اختلاف بينها سوى بالاتساع والضيق وتغير تماثيل الآلهة المكرسة لها اما البنثيون او المعبد المكرس لكبار الآلهة فنسقه مخالف لباقي المعابد وهو جميل المنظر ومدهون دهانًا احمر ضمن دائرته بالوسط اثنا عشر عمودًا لكل اله من كبار الآلهة عمود على اسمه وعلى الجانب الايمن اثنا عشر غرفة لكل اله غرفة يخدم بها كهنته وبالصدر بيت المقدس وقد رأينا قاعدة تمثال لاوغسطوس قيصر نقل تمثاله الفاخر الى المتحف بنابولي وعلى يمينه ويساره تمثالا امرأته ليفيا وابنه دروز لكن غاب عن ذاكرتي ان كنا رأينا هذه التماثيل في بيت مقدس البنثيون او هيكل عطارد والغالب اننا رأيناها في البنثيون

مراسحها

تفرجنا على المرسح المحزن او تراجيك وعلى المضحك او كوميك وهما على نسق واحد اما الاول اعظم اتساعًا ومبني على شكل دائرة منضدة الطبقات لجلوس المتفرجين باسفلها فسحة لجلوس العازفين بآلات الطرب وامام هذه الفسحة محل التمثيل وعلى جانبيهِ غرفتان لتغيير ازياء الممثلين بهما ويوجد في بومبي مرسح كبير اسمهُ امفيثياتر لكنهُ بعيد وحالت بيننا وبينهُ هاجرة الشمس وقد سمتت الرؤوس فرشقتنا بسهام اشعتها تحرق الابدان فالتمسنا من الظلّ درعًا يقينا منها وأُبنا على الاعقاب مقتنعين بما شاهدناهُ بالمرسحين المذكورين الذي يضارعهما شكلاً وبناء ويزيد عنهما اتساعًا وزخرفة

حماماتها

تفرجنا على حمّامين أُزيح الردم عنهما وهما تقريبًا على نسق واحد تدخل الى الحمام فترى فسحةً واسعة وترى على الجانب الاكبر حوضَ ماء وبجانبهِ غرفة للتنشيف وامامهُ فسحةٌ لالعاب جمنستيك تقوي العضلات ثم بالصدر مصاطبَ وفي احدى الزوايا محلات الكنف وبالجانب الايمن من الصدر بابًا مؤديًا الى غرفة بها حوض للماء البارد وعلى حيطان هذه الغرفة من الجانبين صفوف خزائن حجريةٌ صغيرة لايواء ثياب المستحمين ويتوسط بين هذه الغرفة وبين غرفة الحمام السخن غرفة ثالثة متوسطة الحرارة حتى يكون الانتقال من الحرّ الى البرد وبالعكس تدريجيًا وغرفة الماء السخن تحتوي على حوضٍ باحدى زواياها وبركة تدفق ماء سخنًا اذاءها وورا- هذه الغرفة اتون التسخين وبجانبهِ غرفة مسقوفة ارضها على علوات من قرميد علوُّها نحو ذراع عن الارض وتحتها فراغ لمرور الحرارة والبخار السخن بهِ لتدفئة الداخلين اليها وبين باب الحمام الداخلي وقاعة الانتظار دهليز بوسطهِ باب لغرفة وجدت بها ادوات زيوت

وطيوب عطرية وهي الغرفة التي كان يتعطر بها المستحمون ويدهنون ابدانهم بالطيوب والزيوت

مجلس احكامها

هذا البناء لاتزال آثاره باقية ووجدت على احدى قناطره كتابة استدل منها انه بني في عهد فيبيو بوبيدو قبل حكومة الروماني الشهير سيلا وقد كان عند مدخل المجلس الاصلي تمثالان بقيت قاعدتاهما واربع درجات من حمم القزوف وكان اتساعه ١٤٦٤ مترًا مربعًا ومشطورًا ثلاثة اقسام وبالصدر منبر مسنود على اعمدة قوية من النسق اليوناني وعلى جدرانه عمد بارز جزء منها وفوق خرجاتها كنار مزخرف جميل جدًا وهو من ابدع انواع البناء السابقة لزمن اوغسطس قيصر وكان مقام القضاة بالطرف الغربي من القاعة وله مرقاة خشبية وامامه تمثال فارس من البرونز المذهب على قاعدة لاتزال موجودة وكثير غيره من التماثيل والحياض لزخرفة بناء المجلس

الندوة او الفوروم

هو محل اجتماع الشعب سواء للالعاب او للمداولة في مسألة شاغلة بُني في الجيل السابق لحكم اوغسطس قيصر والاعمدة تكتنفه من كل جانب وكان سكان بومبي شارعين في تمكين عمده لبنا طبقة ثانية فوقها رغبة في تعظيم منظره وتحسين شكله فاحبط النزوف امانيهم وطمسه قبل اتمام العمل وهو لا يزال اشد اتساعًا من سائر ابنية بومبي المكشوفة وكان حاويًا اثني عشر تمثال فوارس بجانبه الغربي واربعة تماثيل وقوفًا على الاقدام منها اثنان رسم ماركواوكربزبور وقو اقيم احدهما في حياته والثاني بعد مماته واثنان لكايوكوسبيبو بازا الوالد وابنه وكان بالطرف الجنوبي اربعة تماثيل فرسان وبالشرق صورة جوادين ضامرين وبصحن الفسحة اساس لقاعدة تمثال كان منويًا اقامته لاحد المشاهير

مجمع المصارعين (غلاديا توري)

هذا المحل غير كافٍ في الاتساع لما أُعدَّ اليهِ ويبان ان المرسح المجاور لهُ طمع بهِ فاخذ من ارضهِ واتسع بها وبناؤُهُ على شكل قاعة يكتنفها قناطر مرفوعة على ٦٤ عمودًا يتخللها غرف تحت اخرى اعلى منها لحاجات المصارعين

اقواس النصر

ظهر بين خربات بومبي قوسا نصر هما مفتاح الشارع الموصل من الندوة الى السور الشمالي وخاتمتهُ احدهما على يمين هيكل جو بيتر واقيم اكرامًا للقيصر نيرون والثاني عند آخر شارع الخط وشيدوهُ كرامة لكاليغولا وقد وجد عليهِ تمثالهُ من البرونز محطمًا فتصلح ونقل الى متحف نابولي

المصبنة

شاهدنا بين الآثار مصبنة صغيرة وبها حلتان لطبخ الصابون مسبوكتان من الرصاص ولا تزالان محفوظتين حتَّى الآن بموضعهما وهما اصغر جدًّا من حلل مصابن الاسكندرية وبر الشام وموقدها تحتهما كانون صغير . شاهدت ايضًا بين الآثار بيتًا محاشى تسمية نسبتهِ احتشامًا للسيدات القارئات وقد نظرت على جدرانهِ الداخلية وابواب غرفهِ الصغيرة العديدة صورًا ورسومًا يمجها الادب وتنبو منها الحشمة ويرتدُّ الطرف عنها انفة واشمئزازًا ويستدل منها ان الفساد بلغ في تمدن الرومان مبلغهُ في تمدننا الحاضر بل واشدّ وقد اخذت حكومة نابولي الحيطة على هذا البيت حتَّى لا تخجل من رؤْيا مشاهدهِ السيدات المخدرات

هذا اهم ما رأيتهُ في بومبي ذكرتهُ على سبيل الاستطراد وقد كفاني مؤُونة الفرجة على خربات هركولانوم لحقارتها بالنسبة الى خربات بومبي

سهوت ان اذكر للقارئ انهُ موجود متحف في بومبي يحوي بعض آثارها الغير منقولة الى متحف نابولي واهم موجوداتهِ اجسام بشرية وحيوانية متحجرة كانها محنطة فقد نزلت الحمم عليها واكلت المواد الرخوة

وجلست مكانها ملتحمة بالعظم منها رجل ممتد بطوله فاتح الافخاذ باسط اليد اليمنى ومسند اليسري الى نطاقه محتذي الارجل بنعال ولابس خاتمًا باصبعه وآخر يستدل من هيئته انهٔ كان مولي الادبار من هجمة النار فقال له النضاء اين الفرار وداس بالحمم فكوته والصقت قدميه بالارض فخرّ صريعًا قتيلاً وغيرها من الجنس اللطيف صبيَّة متوكئة الراس على الذراع وعارية من بعض ثيابها وثانية ذات خاتم بانملها وخلخال بالقدم ووالدة بجانب فتاتها وشاب جميل المنظر يبان ان المنية ادركتهُ وهو نائم فلم يشعر بهول الخطب او كان سكران واكتفي بذكر هولاء

رجعنا من بومبي بنفس الطريق وذات المسافة وتوجهنا بعد ان ارتحنا ساعة بالفندق الى شارع الكيايا للنزهة فتمشينا في الجنينة نرنو بالطرف الى منظر نابولي الجميل عند الغروب ونعاين مركبات الغيد طالعة كالبدور والشمس مهابةً واجلالاً لهنّ بدأت تختفي وتغور فهاج الشعر في خاطري ونظمت هذين البيتين

عند الغياب رأينا النور يندفقُ من اوجه الغيد كدنا منهُ نحترقُ
والشمس عن غيرة من ذي السنا مرضت فاصفرَّ من لونها بالسرعة الافقُ

حتى دبَّ بنا الجوع فدبينا الى رستوران ده نابل وتعشينا بهِ على نغمات الغنا ونقرات العيدان فان النابوليين من اشد اهل الارض ولعًا بالطرب وتعبدًا بالدين فلا تدخل بيت طعام الاَّ وترى المغنين والعازفين يغنون ويدقون ويطربون الحاضرين متناولين نعمًا منهم بكم فلس يعتاشون بها ولا تمر بشارع او زقاق الاَّ ويقع نظرك على ايقونة بزاوية الشارع او بحائطهِ تنار امامها الشموع او المصابيح

يوم السبت في ٨ جونيو نزلنا صباحًا نتمشى على رصيف الجمرك والمينا ونتفرج على حركة التجارة فوجدناها الشيئين احط منزلة من تجارة الاسكندرية وميناها فالفابورات الداخلة الى نابولي لا تستطيع الالتصاق على الرصيف

مثل الاسكندرية وواردات الداخلية اليها ليست ذات اهمية اولية كمينا الاسكندرية وبورصة نابولي كائنة في بناية مجلس البلدية ولا تكاد توازي غرفة من قاعات بورصة الاسكندرية

بعد ظهر السبت الساعة ٤ مساء استاجرنا مركبة بخمس فرنكات لتقودنا الى مغر بوزيليب ومغارة الكلب والكبريت فصرنا اولاً الى مغر بروزيليب لانهُ ضمن دائرة المدينة عند اخر شارع الكيايا وتفرجنا بطريقنا على الاكواريوم وهو بناء في الجنينة المذكورة معد لانواع السمك وسائر السابحات ودبابات البحر ومقسوم الى مغائر مبنية بالاحجار وواجهاتها من الزجاج وكل مغارة منها لنوع من انواع الاسماك والحشرات البحرية ويتصل اليها ماء البحر القريب منها باقنية رصاصية يجري اليها بلا انقطاع بواسطة آلة بخارية تحفظ حرارتهُ دائمًا مثل حرارة البحر وقد رأينا كثيرًا من الاسماك صاعدات نازلات لاعبات آكلات انما الذي جذب ابصارنا وفكه خواطرنا منظر حشرات البحر ودباباتهِ فقد نظرنا التوتياء الشائكة بحجم البطيخ لاصقة بالصخر وانواعًا من القرديس والسرطان والحيتان والحيات وحيوانات على شكل الارنب والكلب وكلها تمرح وتاكل ونظرنا سمكة اسمها قبعة الجزويت وهي مسمة قتالة واخرى شبيهتها بالشكل ولكنها غير مسمة وبها قوة كهربائية اذا وضعت يدك تحت زعانفها الممتدة كالاجنحة احسيت بسير الكهربائية اليك ونظرنا زهورًا وهي حيوانات ان مسستها بعصا انقبضت ثم تراخت وعادت الى حالتها وهي انواع كثيرة بعضها يشبه السيسبان وبعضها الاسفنج وبعضها المنثور وغيرها كثيرًا من الزهور البرية ونظرنا حيوانًا باجنحة وحشرة اسمها المدوز نسبيها لها بمدوز الخرافة اليونانية رأسها اشبه بخيمة مدورة بيضاء متصل الى نصف جسمها المستتر بهِ ولا يبان خارج الخيمة المدورة سوى ثلاثة ارجل بيضاء كهداب الدمقس الابيض او الثلج النقي وهي اشبه بالسراويل

البيضاء التي يلبسنها لاعبو المراسح وتسبح بلا اجنحة ولا زعانف بل بقوة انتفاخ القبة البيضاء المتوجة رأسها وضمورها فاذا نظرتها لاول وهلة بالماء تحسبها بالونًا مرتفعًا

رسم الدخول الى الاكوار بوم افرنكان عن كل فرد ويُعطي اكرام للخادم نحو افرنك او نصفهُ اذا رافق الزائر واطعم الاسماك وحرَّك الدبابات امامهُ ليتفرَّج على حركاتها وكيفيَّة عيشتها بالماء

سرنا من الاكوار بوم الى ممرّ بوز يليب القريب منهُ ونظرنا فوق مدخلهِ قبر الشاعر فرجيل والمغار المذكور من اقدم سراديب العالم ومحفور في رابية البوز يليب طولهُ ستمائة متر وعلوهُ ستة عشر ويخترقهُ ضوء النهار من فتحتيهِ ومن ثقبين بالوسط متصلين الى وجه الرابية المذكورة على عمق هائل وهو مبلط وتمرُّ بهِ العربات وقد سهل على القدماء ثقب الرابية المذكورة لان صخرها غير صلد شبيه بجوارّى محجرة وقد ذكر سترابون هذا المغار في تاريخهِ ويوجد بجانب هذا المغار القديم مغار جديد متسع حُفر منذ مدة وجيزة ويخرق الرابية بعرضها وتسير بهِ المركبات وسكة حديدية وبوصل ضاحية البوز يليب بالمدينة فاجتزناهُ ذهابًا الى مغار الكلب والكبريت حتَّى وصلنا اليهما وهما على بعد اكثر من نصف ساعة بالمركبة عن مغار البوز يليب وبجوار سهل كان قديمًا بحيرة طرايانو فدخلنا مغار الكلب الشهير وهو لا شك منفس لارض كبريتيَّة بحيث ان رائحة الكبريت شديدة عند بابهِ ولا يستطيع احد ان ينزل اليهِ فيموت اختناقًا وقد اضاءت الخادمة هناك مشعلًا وأدنتهُ من الحائط السخن الكبريتي فانطفأ ثم اضاءتهُ ونزلت بهِ درجتين من المغار فانطفأ ثانية ثم احضرت كلبًا وامسكت بهِ وانزلتهُ للدرجة الثانية فما لبث دقيقةً بين يديها حتَّى خرَّ صريعًا فنشلتهُ وبات يتخبط خارج المغار بالهواء النقي حتَّى عادت اليهِ قواهُ فدنوت من الدرجة الاولى ووضعتُ يدي على حائط

المغار الابيض الاعلى ووجدتهُ باردًا كسائر الاحجار ثم اوطأتُ يدي الى الحائط الاسود السفلي فوجدتهُ سخنًا واسفل المغار اسود مدخن فانتقلنا من هذا المغار بعد دفعنا افرنكًا واحدًا عن كل فردٍ الى المغار المجاور لهُ المعروف بمغار النوشادر وهذا مغار اذا احنيتَ رأسك لارضهِ انبعثت اليك منهُ رائحة النوشادر فدفعنا الرسم نصف افرنك عن الفرد ودخلنا غرفًا مجاورة او اقبية من صخور بعضها شديد الحرارة متصاعد الدخان حتى لا يستطيع الوالج ان يطأ عتبة الباب وقد نظرنا من بعض شفوقهِ دخانًا متصاعدًا كالصاعد من موقد وصخور القبو عند منافس الدخان متبلورة وعلى الارض رماد وفتات من الصخور اشبه بالكبريت المدقوق لكنهُ ليس فاقع الصفرة مثلهُ وقد اخبرتنا الخادمة ان دخان المنافس يتكاثف ويزداد عند هياج الفزوف فلعلَّ لهُ اتصالاً بهِ عدنا من هذه الاماكن وهي اخر مفترجات نابولي الى الاوتل ارتحنا قليلاً ونزلنا الى رستوران توربن على شاطئ البحر وهو من افخر بيوت الاكل وانسبها منظرًا وراحة وليس غالي الاسعار وهو منهل عذب تتزاحم عليهِ الاقدام لا سيما المساء فاشور على الغرباء الزائرين نابولي ان يأكلوا بهِ وهو على البحر فوق التورتا او قلعة البيض وبجوار الفنادق الكبيرة امام اوتل فزوف وقبل ختام الكلام عن نابولي اذكر للقارىء ان بالمتحف مكتبة بهيَّة جامعة اربعمائة الف مجلَّد فعليهِ برؤياها متى زار المتحف

غادرنا محطة نابولي الساعة ٢ ونصف وسار بنا القطار سيرًا حثيثًا تعجز عنهُ اجنحة النسور وصلنا الى محطة كازرتا الساعة ٩ وربع وبها قصر فاخر للملك من احسن قصور ايطاليا ما نزلنا اليهِ مخافة ان يغادرنا القطار فنضطر الى السفر مع قطار المساء ونصل الى رومة ليلاً والاوفق السفر نهارًا لترويح النفس بمنظر سهول ايطاليا وجبالها النضيرة الساعة ٩ ونصف وصلنا الى محطة كبوة وهي بلدة مهمةٌ واسعة الارجاء وبها مداخن

كراخين عديدة ومررنا بعدها كل نصف ساعة على محطة حتّى وصلنا الساعة ٢ ونصف الى محطة رومة وهي فسيحة وافرة الشُعب والخطوط وسائر قاعاتها واسعة خرجنا منها ووجدنا مركبات عديدة امام المحطة فاخذنا مركبتين واحدة لنا واخرى للعفش والمركبات اجور معينة من الحكومة مطبوعة على كاغدٍ سميك ملقى بزاوية المركبة فعن الراكب من المحطة الى اي جهة من جهات العاصمة افرنك واحد وعن كل طرد صغير من العفش عشرون سنتيمًا والاكبر منهُ ثلاثون سنتيمًا وجئنا بالمركبات الى اوتل ميناروا وهو فندق جيد في مركز المدينة مجاور لكثير من اماكنها المقصودة وقاولنا صاحب النزل على المنامة فقط ١٢ افرنكًا عن ثلاثة اسرَّة بغرفتين من الطبقة الاولى أما الاكل لا يستطاع الارتباط بهِ لسائح متفرج ولذلك فضلنا البقاء احرارًا بهِ مع تعيين ٤ افرنك ونصف عن كل غذاء يتناولهُ الواحد منا بالاوتل ثم صعدنا الى الغرف التي أُعدّت لنا وغيرنا ثياب السفر واغتسلنا من دخان البخار وبعد راحة ساعتين خرجنا من الاوتل لنزور المفترجات فابتدأنا بالبنثيون الموجود بقربهِ فترى في ساحة الاوتل المسماة فسحة مينارفه قاعدة من المرمر فوقها فيل كبير الجسم تعلو سنامه مسلة مصرية صغيرة بصوَر هيروغليفية وتنعكف من هذه الفسحة الى ساحة البنثيون وبها مثل هذه مسلة اخرى اكبر حجمًا فوق سلسبيل ماء يتدفق من تماثيل مرمرية في حوض من المرمر وامام هذا المنهل البنثيون الشهير وقد بناهُ اغريبا الروماني قبل المسيح بزمن وجيز كرامةً لمعبودات الرومان ووجد ضريحة بخارجهِ قطعة واحدة من المرمر الاحمر Porfido فانتشلهُ البابا كلمن الثاني عشر من مقامهِ وجعل لهُ غطاء من جنسهِ قطعة واحدة ايضًا وافرزهُ في كنيسة مار حنا اللاتران ضريحًا لهُ وقبل ان تلج باب البنثيون تجد رواقًا امامهُ ظريفًا مقببًا على ستة عشر عمودًا من الصوان المتين وبعد ولوجك الباب ترى

فسيحة وقبتهُ المدورتين تدويرًا يشبه قبة السماء منصوبة فوق الارض وقد بُني على طريقة هندسيةٍ جميلة فان مساحة دائرتهِ الداخلية مساوية لعلو قبتهِ وذلك ١٢٢ قدمًا واعمدتهُ الداخلية من الصوان المحبر مبني عليها واجهة واطار جميل الرسم وكان بين قناطرهِ تمثالان احدهما لاوغسطس والثاني لاغريبا نزعا منهُ لما تحوّل الى كنيسة وتنيرهُ فتحة مدورة في عالي قبتهِ دائرتها ٣٦ مترًا وبصدرهِ هيكل الكنيسة الاكبر يزينهُ عمودان من المرمر الاخضر واربعة اعمدة مربعة من الصوان والمرمر العادي ولهُ ستة هياكل اخرى على الجوانب وبناء الجميع هلالي الشكل واكثر جدرانهِ من الفسيفساء والمرمر وارضهُ من المرمر وكانت قبتهُ مكسوة بالبرونز فنزع بعضها الامبراطور كونستانس الثاني وارسلها الى سيراغوزا ونزع الباقي باباوات رومة واستخدموهُ في ترصيع كنيسة مار بطرس وفي تماثيلها وصب مدافع لحصن سنت انج وترى في البنثيون رمس الملك فيكتور عمانوئيل من البرونز المحكم الصنع تحفّهُ اكاليل الزهور واضرحة (جمع ضريح) روفايل وغراشي وغيرهما من اساتيذ الصناعة

وقد مسّهُ العطب في زمن الامبراطور الروماني ادريانو فاصلحهُ واعتنى بهِ بعدهُ الامبراطور انطونينو بيو وستيمو سفرو وكاراكلا ثم تلاهم الامبراطور فوكا فوهبهُ للبابا بونيفاس الرابع الذي مسخهُ الى كنيسة على اسم العذراء والشهداء

انتقلنا من البنثيون الى كنيسة مريم مينارفة المجاورة لها ودُعيت بذلك نسبة الى مينارفة وهيكل ميزرفه التي بُنيت عليهِ الكنيسة وبها كثير من الفسيفساء صنع الشهير لوليا مودورانتي وتمثال المخلص نقش ميكل انج اشهر النحاتين وعند الهيكل من جهة اليسار تمثال البابا ليون العاشر من المرمر نحت منتيلو بو ومن جهة اليمين تمثال كلمن السابع نحت بيجيو

بجوار هذه الكنيسة دير الرهبان الدومينيكيين وبهِ المكتبة المدعوة

كازاناتنس وهي من المكاتب المعدودة تحوي على ١٢٠ الف مجلد و بصدر المكتبة تمثال الكردينال كازاناتنس مؤسس المكتبة

انتقلنا من هنا الى شارع الكورسو وهو من افخر شوارع رومة واتمها ومررنا بطريقنا على فسحة مونتي شيتوريو و بوسطها المسلة الشهيرة التي نقلها الامبراطور اوغسطس من هليو بولي وعلوها ٩٠ قدماً مع القاعدة التي ارتكزت عليها وقد امر بوضعها في هذه الفسحة البابا بيوس السادس وعلق فوق راسها كرة ارضية من البرونز وامام هذه المسلة قصر مونتي شيتوريو او مجلس النواب . وسرنا منها الى محطة الكولونا (العمود) بجوارها و بوسطها عمود شيده الرومان الى الامبراطور انطونينو وهو من ثماني وعشرين قطعة من المرمر وعليها رسوم غزواته على الجرمن منقوشة نقشاً بديعاً وقد وضع على اعلاه تمثال مار بولس وعلوه ٢٩ قدماً ونصف

هذه الفسحة متصلة بشارع الكورسو فوجدنا مركبات الاهلين تمر تباعاً دراكاً فسألنا قيل لنا ان هذا الشارع يؤدي الى غاب النزهة فاستأجرنا مركبة بالساعة حسب التعريفة ٢ افرنك ونصف خارج المدينة و٢ افرنك داخل المدينة وسرنا بشارع الكورسو حتى انتهينا الى اخره وهناك بياتزا دل بوبولو (ساحة الشعب) وهي من افخر ساحات رومة واوفرها إتساعاً بوسطها مسلة مصرية كبرى مجلوبة من هليو بوليس زمن الرومان وعلى اليمين واليسار جوضان بهيان فوقهما كوكبة تماثيل من المرمر و باعلى رابية بونشيو على اليمين رواق تحته تمثال فيكتور عمانوئيل راكب حصانه وهو من المرمر وخرجنا من الساحة الى غاب النزهة المدعو فيًّا برغزة وكانت مركبات القوم مزدحمة اي ازدحام والغاب مخضر ظليل لكنه غير متقن وقد شاهدنا به جلالة الملك همبرت راكباً مركبته بلا حرس ولا اتباع كافراد الناس ومركبته تسير خلف المركبات خاضعة

لنظام الطرق وكدنا لانعرفهُ لولا سلامهِ الدائم بقبعتهِ وهو محبوب من الشعب ولا عجب فالملك الذي يسعى لتأييد حريَّة امتهِ وتقرير العدالة والمساواة بها ويخضع لحكم الدستور المرعي لا يخسر من امتيازاتهِ بل يربح ويمتلك القلوب بالرغبة والخواطر بالاقتناع ويعيش بين امتهِ هنيئًا وقرير البال

الاثنين صباحًا في ١٠ اجونيو غامت السماء واحتجبت عنا بضباب كثيف سال ماء فالجأنا المطر الى زيارة الاماكن القريبة من الاوتل فقط وابتدأنا بالمدرسة الكليَّة فوجدناها مقفولة اما مكتبتها مفتوحة فدخلناها وهي صغيرة وليس بها سوى عشرة آلاف مجلد انما نافعة اكثر من سواها فكلها كتب مفيدة وهنالك خدم من لدن الحكومة واقفون لخدمة من يريد ان يقرأ ويطالع ويعطونهُ الكتاب الراغب بهِ ونظرنا نحو عشرين شابًا منعكفين على القراءة والتصفح · عرجنا بعدها على البورصة ومجلس التجارة المجاورين بنيا على خربات هيكل نبتون المدعو هيكل انطونينو بيو ولم يبقَ من اطلالهِ سوى ١١ عمودًا كورنثيًّا مقببين بالمرمر ثم عجنا بالمكتبة المدعوة انجليكا وهي من المكاتب المهمَّة في رومية وبجانبها كنيسة مار اوغسطينس بالفسحة المدعوة باسمهِ وبناها المهندس بنشلي سنة ١٤٨٠ وبها على يمين الداخل تمثال العذراء حاملة الطفل صنع النقاش منسوفينو وهو محكم الصنعة وزائد الكرامة عند القوم والبسوهُ تاجين من الذهب وعقودًا من الحجارة الكريمة ويوجد بالكنيسة ايضًا صورة اشعيا رسم الشهير روفائيل

سرنا من الكنيسة الى ساحة نافونا وهي بديعة يتوسطها ثلاثة مناهل وبصدرها كنيسة القديسة انياذه المبنية على ملعب اسكندر سفير والروماني وبها دزك سرداب موصل الى الملعب القديم وافضل نقش بها بلاطة على صورة القديسة مستشهدة في سبيل الايمان امام الكنيسة بوسط الفسحة المنهل

الاوسط وهو محكم الصنع حسن الرسم نقش النحات برنيني مؤلف من اربعة تماثيل كبيرة من المرمر رمز الاربعة الانهر الكبيرة المعروفة قديمًا وهي الغنجة والنيل والامازون والدانوب مسندة الى صخرة مقبوّة على شكل مغار فوقها مسلّة مصريّة من الصوان الاحمر بحروف هروغليفيّة وتحتها اسد وحصان والماء يندفق من مواسير تحت التماثيل الى الحوض وبهِ حيتان بحريّة فاغرة الافواه تبلع الماء المنصب اما المنهلان الثانيان فتنصب المياه في حوضيهما من افواه تماثيل مضحكة موجودة على دائر الحوضين وبوسطهما

تفرجنا بعدهُ على قصر بمفيلي دوريا وبهِ صورة ممثلة وقائع آنيا بطل فرجيل ومعشوق ديدون مؤسسة قرطاجنة ثم قصر براسكي وبهِ وزارة الداخليّة والبديع بهِ سلمهُ الكبيرة فانها مزخرفة بالتماثيل ومبنيّة من المرمر الصقيل على اعمدة مجليّة من الصوان اللامع

وراء هذا القصر تمثال بسكوينو ودعي هكذا على اسم خياط كان ساكنًا بجوارهِ وقد نهشهُ الدهر حتّى لم يبقِ منهُ ولم يذرْ ويظن ارباب الخبرة بمعرفة الآثار ان رسمهُ الاصلي ممثل مقتل بتروكل اليوناني في موقعة طروادة وكيف الملك منلاس يدافع عن جسمهِ حتّى لا يقع بايدي الاعداء

يجاور هذا التمثال صرح ماسيمي وهم امراء ينتسبون الى القنصل الروماني الشهير ماسيموس ويقولون انهم من سلالتهِ وقد نظرنا في قاعة الصرح على الجدار فوق الباب رسمًا طليًا ولكنهُ من مائتي سنة ونيف يمثل القنصل الروماني المذكور على منصّة السيادة واقفًا لاستقبال امرأتهِ الداخلة عليهِ

بعد الظهر استأجرنا مركبة وقصدنا مقام السيد ديونيس صوايا وكيل غبطة بطريرك الروم الكاثوليك في عاصمة الكثلكة وكان رفيقنا بالبحر

فتعارفنا وهو على غاية من الانس والرقة فسرنا من الاوتل الى ساحة يسوع وامامها كنيسة كبرى اسمها كنيسة يسوع بنيت سنة ١٥٧٥ واشتغل بها كثير من المشاهير وهي مبنية كاكثر الكنائس على شكل صليب وفي المصلّب الايسر كنيسة صغيرة (كابلا) على اسم القديس انيازو وهي من ابهى وابهج نوعها في رومية فيها اربعة عمد من المرمر الاسود قواعدها واغطيتها من البرونز المذهّب وفي واجهة الكنيسة كرة من المرمر الاسود هي الفخر فلذة من هذا الحجر

عجنا منها بساحة الكابيتول وتجد عند مدخلها تمثالي كستور و بولكس قابضين عناني فرسيهما وقد وجدا مطمورين بمحل قريب وعند الدرابزين المحيط بالفسحة تمثالي قسطنطين اوغسطوس وقسطنطين قيصر و بالوسط تمثال مارك اورل راكباً حصانه وهو جسيم وكله برونز و يعد اتقن تمثال حفظه لنا الدهر من صنع الاقدمين

بصدر الفسحة قصر السناتو وسلمه الخارجيّة من المرمر الصقيل وتحتها سلسبيل كبير عليه ثلاثة تماثيل قديمة مينارفه والنيل والتيبر ووراء القصر الطابولاريوم القديم حيثما كانت تحفظ سجلات السناتو وكان الدستور الروماني منقوشاً على الواح برونز واصبح الآن مقاماً لمجلس البلديّة ولا يزال به معراج مؤدٍ الى مأذنة عالية تشرف على سائر رومة وعلى يسار الفسحة قصر المتحف الكابيتوليني وبه تماثيل كثيرة افخرها تمثال المريخ ومينارفه والاوقيانوس وهرقل قاتلاً الوحش المدعو هيدر واوجز الكلام عن هذا المتحف لاني ساطيل الاسهاب عن المتحف الكبير الثمين الآثار اعني به متحف الفاتيكان ورسم الدخول الى متحف الكابيتول نصف افرنك عن الشخص

سرنا من فسحة الكابيتول نحو اليمين الى صخرة طربيا ومن قرأ تاريخ الرومان عرف اهميّة هذه الصخرة القائمة على جرف وادٍ وكان يلقى منها الى الهوّة كل مجرم خائن لوطنه كما كان يكلّل بالغار في الكابيتول كل

من اتى مأثرة حميدة من دفاع عن استقلال الوطن وقهر الاعداء او تهالك في سبيل حرية الشعب ووقاية الدستور او جهاد في سبيل الفتوح وتوسيع سلطة رومة · ونزلنا من الصخرة الى معبد فرتونا وقد دكته حريقة هائلة في زمن ممنزيو الذي قهره قسطنطين الكبير ولم يبقَ من المعبد سوى ثمانية اعمدة من المرمر الابيض وفوقها رواقها وكان بجانبه معبد كونكورديا وهو طلل بال ثم هيكل فسباسيان والباقي منهُ ثلاثة اعمدة كرنشية ثم الفوروم الروماني واسمهُ ايضًا حقل البقر وهو على سفح رابية البالاتينو وكان اشهر منتدى على علم مدة ازدهاء الرومان وهناك كان يجتمع السناتو والشعب وكانت الخطباء تتجارى في مضمار البلاغة هناك كان شيشرون يتدفق بالفصاحة من كأس فيه الى صدور السامعين فيسكرهم ببلاغته ويقودهم بذمام براعته ولم يشفق الدهر على هذا البنيان المجيد بل لطمهُ بمعوله فصيرهُ رسمًا دارسًا ثم الى قوس النصر المشاد الى الامبراطور سبتيم سيفير وفي الجيل الثالث تذكارًا لما أتاهُ مع ولديه جيتا وكاراكلا من الفتح والفوز المبين والقوس المذكور من المرمر وعليهِ رسوم غزواته ثم الى عمود الامبراطور فوكا وهو من المرمر الكورنثي وقد اقيم تذكارًا له وبجانبه معبد فستا وكانت تقيم بهِ الكاهنات العذارى ويحفظنَ بهِ النار المقدسة ثم قوس النصر المشاد لطيطس بن فسباسيان كرامة لفتحهِ بيت المقدس ولا تزال نقوشهُ واضحة تمثل اليهود منقادين اسرى الى رومية وهو راكب على حصانهِ متعمم بخوذتهِ متدرع بسلاحهِ متبوع بحاشيتهِ واشارات النصر لائحة عليهم

ثم الى رابية بالاتينو وهي اول رابية وضع عليها رومولو اساس رومية وكان مبنيًا عليها قصر القياصرة حيثما سكن طيباريوس واوغسطس وشيشرون ويوليوس قيصر ومرقص انطونيوس وكثيرون غيرهم من مشاهير رومية ولم يبقَ من عظمة هذه القصور سوى اطلال خربة ينعق

بها البوم ويأوي اليها الغراب فسبحان من لا يتغيّر ثم الى معبد انطونينو وفوستينا وهو في الجهة المقابلة ولم يبقَ منهُ سوى اثني عشر عمود من المرمر الاخضر وعليها كنارها وهي افخر اعمدة هذا الجنس ثم الى معبد رومولو وريمو وقد صار الآن كنيسة القديسين كوزمو ودميانو بنيت بامر البابا فليكس الرابع وزخرفها البابا اريانوس الثامن وواجهتها كذات واجهة المعبد القديم وبابها من البرونز ثم الى كنيسة قسطنطين وهي خراب بلقع لم يحفظ الدهر منها سوى مؤخر بنايتها ونصفي عمودين ثمينين من المرمر البني العنّابي عند سلمها

ثم الى قوس قسطنطين وقد اشيد تذكارًا لنفوذهِ على خصمهِ مسنزيو واعمدتهُ من المرمر الكورنثي والالواح المنقوشة تمثل وقائع فوزهِ وعلى جوانب القوس تماثيل بديعة النقش والكل محفوظ كأنهُ حديث البناء ثم الى مرسح المصارعين المسمّى كولوسيو او مفيتياتر و فلافيان وقد نهش منهُ ناب الدهر اكثر ما نهش من البنثيون شرع في بنائهِ الامبراطور فلافيو فسباسيان وتمّ البناء بمدة طيطس واحتفل فتوحهُ باعياد ومفترجات توالت مائة يوم متعاقبة فقتل بها الوف من المصارعين والحيوانات وهلك بيوم واحد خمسة آلاف حيوان وكانت المياه ترد الى الملعب من ثمانين فتحة حتى غمر مجال الملعب على عمق عشرين قدمًا وقصد طيطس بذلك اطلاع الشعب الروماني على منظر حرب بحري وبناؤهُ بيضي الشكل ودائرتهُ الخارجية ٥٢٥ مترًا وعلوهُ ٤٩ مترًا وكان يسع ثمانين الف متفرّج وانفق عليهِ خمسون مليون فرنك واشتغل بهِ اثنا عشر الف يهودي قادهم الامبراطور فسباسيان اسرى حين غزوتهِ بيت المقدس . خارجهُ مبني من ثلاثة صفوف قناطر وكل صف من ثمانين عقدًا وكان مقام الامبراطور في الطبقة الاولى مطلاًّ على سائر المرسح وامامهُ غرفة العذارى كاهنات فستا وحواليهم غرف القضاة وارباب المجالس واعضاء السناتو والطبقة التي فوقها كانت معدة

للاشراف او باتريتشي والتي فوق هذه الى العموم المدعوين بليبي والاعلى الى العبيد ويجد الزائر الآن بصحن المرسح بناء وجدران غرف فيحتار كما اخذتني الحيرة وعلمتُ بعد التحرّي ان البابا وات بنوا بالمرسح اربع عشرة كنيسة صغيرة تذكارًا لالوف النصارى الّذين قتلوا بهذا المرسح محكومًا عليهم بسبب دينهم ان يموتوا شرّ ميتة بين مخالب الضواري وانيابها فقوتل الترفض ما اعمى بصيرتهُ واضرّهُ على الانسان فقد جعل شعب الرومان وهم نور عصرهم وفخر جيلهم ان يقترفوا مثل هذه الآثام النظيعة

خرجنا من هذه الاطلال المجيدة بخرباتها قاصدين ساحة نافيتشالا حيثما قاطن قدس الاب ديونيس صوايا فقابلناهُ في محلهِ وعجنا من هناك بكنيسة مار حنا اللاتران مركز الابرشية وهي مشادة في فسحة جميلة بصحنها اكبر مسلة مصرية موجودة برومة وضع اساسها قسطنطين الاكبر فتعتبر اقدم كنائس المغرب وتمثال موجود في رواقها الخارجي اللطيف الهندام والتمثال نفش الرومان القدماء وجد مطمورًا فنقل الى هذا المكان وللكنيسة خمسة ابواب اوسطها من البرونز وبين عمد الكنيسة واعضادها حنايا عددها اثنتا عشرة بكل حنية منها تمثال لاحد الحواريين الاطهار وامام الحنية عمودان من المرمر الاخضر و يتفرع من جوانب الكنيسة كنائس صغرى (كابلا) واولها على يسار الداخل كابلا كرسيني وهي تحفة في البناء وبدر في سماء الزخرفة وبالهيكل صورة من الفسيفساء وتمثال مار اندراوس وباحدى زواياها ضريح البابا كلمن الثاني عشر المأخوذ من البنثيون كما مرّ ذكرهُ وهو ثمين جدًا لا سيما ان الوسادة التي توسدها تمثاله معمولة من حجر المسبار (حجر محك الذهب) ويقال (والعهدة على الراوي) ان راسي الرسولين بطرس و بواص محفوظان ذخيرة بالكنيسة و بيت مقدسها منضد بالحجارة الكريمة الغالية الثمن ويجلوهُ اربعة اعمدة من المرمر الاخضر

انتقلنا من هذه الكنيسة الفاخرة الى كنيسة سكالا سانتا او السلم

المقدسة ولجنا بها كما نلج سائر الكنائس باحتشام واحترام مكشوفي الرؤوس ولم يخطر لنا على بال ما علمناهُ بعد التجربة فانهُ محظور على الداخل للكنيسة ان يصعد السلَّم المعوَّل عليها المستحكمة امام الباب الَّا جاثيًا وانبًا من درك الى درج زحفًا على الركب فنحن دخلنا حسب العادة وصعدنا السلم بنعالنا كما هو المألوف في سائر الكنائس فما تخطينا الدرجة الثالثة الَّا وهجم علينا راهب يمسكنا من اردان الثياب ويشير باصبعهِ الى رقعة بالحائط مكتوب عليها "اصعد السلَّم جاثيًا على الركب" قرأْنا هذه الرقعة فاجبتهُ مشيرًا لرفقاي باصبعي نحو الباب وكان الباب جواب الرقعة

خرجنا من هذه الكنيسة والليل بدأ يفكُّ عقاص فرعه و يسدل ذوائبهُ فركبنا على عجل مارين بالفوروم طرايانو وهو محل فسيح مملوءٌ اعمدة كبيرة محطَّمة و بوسطهِ عمودٌ للامبراطور طرايانو شبه عمود انطونينو بيو بناسية كولونا منقوش عليهِ غارات الامبراطور ووقائعهُ و بعلو العمود تمثال من البرونز لمار بطرس

صباح اليوم التالي قصدنا قلعة سانتا نجلو وقد حظونا على تذكرة دخول من المولج باعطاء الاوراق وهي على شاطئ الشطر الغربي من البرّ بازاء جسر مسمَّى باسمها يزينهُ اثنا عشر تمثالاً من المرمر لمار بطرس و بولص وعشرة ملائكة نقش مشاهير النقاشين بالجيل الماضي كبرنيني ولورنتزتو وكانت تدعى القلعة قديمًا ديماس ادريان امبراطور الرومان وقد شاده مقبرة لهُ ولخلفائهِ فالاساس الغير منظور مربع والبناء المنظور من الخارج مدور وهو مرصوص البنيان لم يقوَ الزمان على دكّهِ وكان مزدانًا بالتماثيل البهيَّة فسلبت منهُ وتضعضعت ايدي سبا ولا يزال في متحف الفاتيكان تمثال رأس ادريان كبير الحجم من البرونز والمظنون ان دائر القلعة كان مكسوًّا بالمرمر بحيث وجدت بعض جوانبهِ مكسوة منهُ وتراهُ متصلاً بالفاتيكان مع بعدها برواق مستور عن الانظار بناهُ البابا اسكندر

السادس تأمينًا له ولخلفائه من ثورة الشعب فيتحصّن بالقلعة ويقطع الجسور والصلات وقد صعدنا الى قمة القلعة حيثما منصوب تمثال الملاك الكبير الجسم المصنوع من البرونز فيمتد النظر فوق بيوت رومة وصروحها المشيدة وترتاح النفس بهذا المنظر البهيج لاسيما بعد ان تكون انقبضت من مرأى سجونها التي لا تستطيع ان تنظرها جيدًا ولو استصبحت بنبراس فتدلك حلاكة ظلمتها انها من صنع الاجيال الوحشيّة المظلمة

سرنا من القلعة الى كنيسة مار بطرس الشهيرة مارين بساحة بيًا ثم ساحة الكنيسة وهي ذات مجالٍ فسيح ويحيط بها قناطر متصلة ببعضها على شكل هلالي ومقبوّة على اربعة صفوف اعمدة مؤلفة من ٢٨٤ عمودًا مدورًا و٩٠ عمودًا مربعًا وفوقها كنار يعلوهُ ٩٦ تمثالاً من المرمر للقديسين وعلو الاعمدة ٤٩ قدمًا وبوسط الساحة مسلّة كبيرة من الصوان نقلها من خوش نيرون الى هذه الفسحة المهندس دومنيكو بامر البابا سيستو الخامس سنة ١٨٨٦ وهي فلذة واحدة وخالية من الكتابة الهروغليفيّة وعلوها مع قاعدتها ١٢٥ قدمًا وحوالي المسلة دائرة الخطوط رسمها الفلكي جيلي سنة ١٨١٧ ومن محاسن هذه الساحة سلسبيلان بهيان بحسن الشكل وغزارة الماء ويغالى بقيمة الحوضين العاليين المنصبّة منها المياه الى الحوضين السافلين فانها مع كبر حجمها قطعة واحدة من الصوان الفاخر

قبل ان ينتهي قاصد الكنيسة من ساحتها ويطأ عتبة سلمها العريضة يرى على جانبيها تمثالين عظيمين لزعيمي الرسل مار بطرس ومار بولص كانهما واقفان هناك حراسًا على مقاليد الكنيسة التي سلمت رئاستها لهما ثم يرتقي السلم ويرفع ابصارهُ الى واجهة الكنيسة فيرى على رواقها الاعلى ١٢ تمثالاً للسيد المسيح والحواريين الاثنى عشر ثم يلج باب القناطر الخارجية فيراها مقبوّة على عمد من المرمر مدورة ومربعة ويرى السقف مزدانًا بصور منقوشة بالجص المذهب ممثلة حوادث الرسل وتماثيل من الجص

ايضًا راسمة البابا وات الاولين وفي طرفي القناطر تمثالي فارسين عظيمين هما قسطنطين الاكبر على يمين الداخل وشارلمان على اليسار ثم يلج الباب الكبير المصنوع من البرونز فيرى الكنيسة مشطورة ثلاثة مماشي وبيت المقدس الاكبر بالقسم الاوسط وهذا القسم مؤلف من اربعة عقود واسعة مبنيَّة على اعمدة مرمريَّة مسندة الى عمد مربعة وسقف الكنيسة مبني فوق هذه العقود ومزدان بزخارف الجص المذهب و بين الاعمدة المربعة حنايا آوية تماثيل مؤسسي المذهب اعني الرسل و بلصق العمودين الاولين جرنان من المرمر الاصفر النادر الوجود يستخدمان للماء المقدسة وعند العمود الاخير الايمن تمثال مار بطرس من البرونز وقد نحتت ابهام رجله شفاه اللاثمين المتعبدين .

وترى عند منتهى هذا المشى بيت المقدس تحت القبة الشهيرة وحقًا يعجز القلم عن وصف رسوم هذه القبة وبهجة البيت . وراء بيت المقدس قبة للكرسي الرسمي المدعو كاتدرا يعلوهُ سرب تماثيل مرمريَّة كلها قطعة واحدة صنع النقاش برنيني مركبة فوق اربعة تماثيل برونز للاربعة الايمة العظام يوحنا الذهبي الفم واوغسطينوس وامبروسيوس واثناسيوس والكرسي البابوي من البرونز ايضًا مسند على اكتف هولاء الايمة ويقال ان هذا الكرسي متضمن خشب كرسي مار بطرس والله اعلم بصدق القائل .

المشيان المحيطان بالمشى الاوسط تتفرَّع منهما كنائس صغرى كلٌّ منها تنافس اختها بهاء وزخرفةً ورونقًا وكم من المخرجات في هذه الكنيسة النسيحة حتى يضلَّ بها المتفرج مع انها مقام الهدى ولو اردت تعداد ما بهذه الكنيسة من غرائب الصناعة لضقت ذرعًا وكنت كراغب كيل البحر بغربال فيها تجد لكل بابا ضريحًا يبنى بكلفته مستشفى لمرضى . هناك ترى صورًا من الفسيفسا صنع كبار المصورين كميشل انج ورفائل وفونتانا و برنيني لو تباع واحدة منها بالمزاد لسدَّت عوز الف فقير هناك

ترى كيفما اجلت الطرف تماثيل تكاد تناجيك انك بين احياء ولست بين اشباح هناك ترى انك تدوس على ارضٍ اغلى قيمة من النعل الذي يدوسها فكل البلاط من المرمر النفيس او الفسيفساء المتلونة هناك تجد من الاعمدة المرمرية على سائر الالوان من احمر واخضر واصفر واسود وابيض وخليط مشكل وكل عمود كافل بقدهِ وسمنهِ ان يعبث بالف جبار مثل شمشون · هناك ترى من تماثيل واضرحة نحاسية لو جمعت وضبت الواحًا بنيت منها كنيسة كبرى · هناك ترى عظمة الانسان في مقام العظمة · عند منتصف الشطر الايسر من الكنيسة باب موصل لبيت القربان (سكرستيا) وضمنهُ غرف مقفولة حاوية اثاث الكنيسة فدفعنا اكرامًا لحارسها وتفرجنا عليها فاقل وصف لها انها الحلي لهذه العروس فتجد من كل آنية ازواجًا مصوغة من الذهب واللجين منضدة بحجارة كريمة وثياب الكهنوت من الدمقس الموشى بالفضة والذهب واثمنها ثوب مهدى من الملك شارلمان منذ نيف عن الف ومائة سنة

قبل ان انتقل من وصف هذه الكاتدرا اذكر للقارئ ان اول واضع لاساسها كان الامبراطور قسطنطين وامر في بناها موضع القبر الذي دفن بهِ مار بطرس ولا يزال تحت الكنيسة سرداب موصل لمقبرة قديمة يقال انها تشمل قبور من استشهدوا للدين في زمان الظالم نيرون

خرجنا من الكنيسة وقد انقضى وقت زيارة الفاتيكان المقفولة ابوابهِ بعد الساعة ٣ افرنكية فعدنا الى الاوتل للغذاء والراحة والساعة ٤ استأجرنا مركبة لتوصلنا الى السراديب المدعوة كاتاكومب سن كاليست وهي بعيدة نيف عن ساعة من المدينة وموجودة ضمن حقل مزروع ببعض الاشجار وهناك كنيسة سن كاليست وغرفة للرهبان الادلا يدفع الداخل افرنكًا واحدًا رسم الفرجة ويسير بهِ احد الرهبان ليقودهُ في مخارق هذا النفق المبني من ثلاث طبقات تحت الارض وهو منحوت في

ارض تربتها من التوف (نوع من الحُمَم الفولكانيّة المتجمدة) فليس الصخر صلدًا ولا شديد الليونة بل بينَ بين ولذلك سهل على اللاجئين بهذا الحمى ان ينحتوا غرفًا لهم بتربتهِ قلت غرفًا والصواب اكنانًا فبالكاد نطور بها فارة والاكنان قليلة انما الاجداث (القبور) وفيرة ويقول تاريخ الكنيسة انها قبور المسيحيين الاولين اذ كانوا يستترون بموتاهم عن عيون الارصاد لئلا تنكب بهم القياصرة وحقًا هنالك الواح منقوشة وآثار صلبان ورسوم كنائس تدل على عهدٍ متعمق بالقدم وترى القبور فتحسبها ثقوب اوكار او اوجرة حيوانات وتنزل بدركات طبقاتها فيسمع الماشي بالطبقة الثانية طرق نعال السائر بالطبقة التي فوقهُ وكذلك ان تكلم احد صات المحل الى بعدٍ وسرى للطبقات المتسافلة مما يدلُ انها كانت ملجأ المضطهدين الآخذين حيطتهم من مفاجأة عدو مغتال فان دهمهم من جهة سمعوا طقطقة دوسهِ ففرُّوا من احد المخارج العديدة النافذة في محلات شاسعة البعد عن بعضها غائرة وناجدة تكاد تكون مساحتها اكثر من ١٥ كيلومترًا فيفرُّوا من وراء الاكمة ولا يدركهم المفاجئُ ولذلك صارت عرين اللصوص الكاسرة في اعصر الظلام وقد وجدنا هنالك عظامًا انسانيّة وافرة وتوابيت وجسمًا محنطًا لا تحنيط صناعة بل تداخل تراب التوف (Tuf) بين عظامهِ موضع اللحم فصار شبيه المومیا ويتعذر على الباحث معرفة العظام أهي بقايا المسيحيين الاولين ام العظام التي جرَّدتها ايدي اللصوص لاخفاء القتلى المسلوبين منهم

بعد ان تفرَّجنا على هذا النفق الهائل ركبنا مركبتنا قاصدين كنيسة مار بولص الكاتدرائيّة وهي بعيدة نحو نصف ساعة عن النفق ونحو ميلين عن رومية وقد شادها الامبراطور قسطنطين الكبير وجدَّد البناء بعدهُ فالنتيانو وتيودوسيوس وهي كبيرة متسعة ونسق بنائها شبيه بالكنائس الشرقيّة على دائرها تحت الشبابيك وفوق الاعمدة صور الباباوات من

مار بطرس حتّى الحالي ليون الثالث عشر وهي مرسومة بالنسيفساء والهيكل قديم العهد وإيقوناته من النسيفساء مرسومة رسمًا شرقيًا بزنطيًا وليس لاتينيًّا ومكتوب على جدرانهِ اسماء مسميات الايقونات باحرف يونانيّة وفوق قوس الهيكل الاكبر رسوم ونقوش من النسيفساء بديعة وبصعد تاريخها الى سنة ٤٤٠ وقد سلم هذا القوس ونقوشهُ من الحريقة التي ألمّت بالكنيسة بعد هذا التاريخ وللكنيسة اربعة هياكل اصليّة توسّعت وصارت كنائس صغيرة (كابلأت) اظرفها كابلّا مار اسطفان وهي من المرمر المخرّم وصورها رسم مشاهير المصوّرين وبيت مقدسها قطعة واحدة من الصوّان المشرقي وبفسحة الكنيسة صورتان من المرمر على اليمين واليسار لزعيمي الرسل مار بولص ومار بطرس

غادرنا الكنيسة مجتازين شارعها الطويل العريض المحدق بالاشجار على جانبيهِ حتّى وصلنا الى باب مار بولص احد ابواب المدينة وبجانبهِ هرم كابو وهو من الحجر العادي وصغير الحجم لا يستحق الذكر وبجانبهِ مقبرة البروتستانت وعلى بعد قليل من الخطوات ضمن المدينة رابية افنتينو حيثما كانت زاهية في عهد الرومان معابد ديانا وجونون ومينارفه وقصر الامبراطور طرايانو وحمام دشيو وغيرها من الابنية الفاخرة التي عفا آثارها الزمان ابو العجب ونظرنا بجانب طريقنا معبد الفستالات وهنّ العذارى كاهنات المعبودة فستا وقد قوي هذا المعبد على صروف الحدثان ولا يزالُ سالم البنيان منتصب الاعمدة ما عدا واحدًا منها سقط وجرّ عليهِ طول الزمانِ ذيل الكتمان فما عُرِف مقرّهُ وكان عدد الاعمدة عشرين على قالبٍ واحد من فلذة واحدة مبنيّة بناء دائرة كما ترى حتّى الآن وضمن الاعمدة رواق مكشوف مكتنف بالمعبد المدور المتضمن بيت المقدس حيثما كانت تقدم الضحايا وينهدر دمها الى كهف مبني تحت المعبد

عطفنا من هذا المعبد الى الفوروم بورواريو وقد كان نقطة اجتماع

ايام كانت رومية عاصمة الدنيا ولا يزال منهُ اربع قناطر متينة التركيب كبيرة الحجارة ومنهُ عدنا الى الاوتل

قمنا صباح الاربعا في ١٢ جونيو وسرنا الى الموزيوم الكبير او متحف الفاتيكان بعد ان اخذنا رخصة الدخول اليهِ بباب الفاتيكان واشترينا عند بابهِ كتابًا تفسيريًا لما يحواهُ من الغرائب التي اذكر نزرًا يسيرًا منها للقارىء تكملة للفائدة ولا شك أُعذر بالايجاز فلو اريد الاسهاب لاقتضى شيئان اولاً ان اكون من علماء الاثار وثانيًا تخصيص مجلد ضخم بهذا الموضوع وقد ورد المثل « ما لا يدرك كلهُ لا يترك اقلهُ » فاترك لغيري الغوص لبيان درر هذا البحر الزاخر بالفوائد

باشر في بناء هذا المتحف الجليل البابا جيوليو الثاني واستزادهُ خلفاؤهُ الاحبار الاجلاء كلمن السابع وبولص الثالث وليون العاشر وكلمن الثامن والرابع عشر وخصّ ببذل العناية بهِ محبا الفنون الجميلة الحبران بيوس السادس والسابع فلهما فضل مخلد بما صرفاهُ من نقد المهمة على حفظ هذه الآثار ينقل من السلف الى الخلف اسمهما المكرمين اكثر من المدفنين المزخرفين اللذين لهما في كنيسة مار بطرس ويقسم المتحف الى سبعة اقسام متواصلة . الاول متحف بيو كلمنتينو . الثاني متحف كيارامونتي القديم . الثالث متحف كيارامونتي الجديد ورواق الاساطير . الرابع قاعة رجيا و بيكا ورواق الشماعدين . الخامس رواق الاراتري . السادس رواق الخرائط الجغرافية . السابع المتحف الاتروسكي والمصري . تلج في باب المتحف وتمر في دهليز واسع موصل لسلّم مرمريّة فاخرة متفرعة الى ثلاثة أقسام فالاولى مسندة الى عشرين عمودًا من الصوّان ويُرقى بها الى المتحف المتصل أيضًا بدركين أحدهما مؤدٍ الى المكتبة الشهيرة والثاني الى الحديقة البابويّة ومن نكد الحظ حرمنا من نظر كليهما فكانتا مقفولتين ومتى انتهيت من السلّم تجد على يمينك غرفة

فسيحة هي المتحف الغريغورياني المصري وقد وضعهُ البابا بيوس السابع وجمع بهِ كلما حوت رومة سابقًا وما كان مخزونًا في متحف الكابيتول من آثار المصريين القدماء ونقل اليهِ أمتعة معبد اكتشف في طيبة العليا بالصعيد فتجد غرفتين ممثلتين معبدًا مصريًا قديمًا مسقوفًا كقبة الفلك مرصعة بالنجوم وحوالي جدرانهِ المعبودات المصرية يتوسطها كالدرة بالعقد كبيرها اوزيريس او المعبودة ايزيس وممن اعتنى في آثارهِ وضمّ على موجوداتهِ البابا غريغوريوس السادس عشر ويؤلف هذا المتحف من اربع قاعات واربع غرف . واهم ما ترى في القاعة الاولى ثلاثة نواويس من الحجر الاسود مكتوبًا عليها بالهيروغليف في زمن العائلة السابعة والعشرين وتابوت ميتٍ محنّط مركبًا من خشب الجميز كسائر التوابيت المصرية القديمة مرسومًا مثلها بالصور الممثلة مناظر محزنة وصورة الميت امام السلحفاة المقدسة ودائرة الابراج والحيّة كناية عن آلهة الشمال وغيرها من الرسوم الرمزية وقد رأيت ترجمة كتابة أحد النواويس فعربتها وها هي "يا أوزيريس يا ملك القصر المنيف والعادل الوازع أنا اختك الالهة (ايزيس) مقتفية أثرك وسائرة خلفك على الاقدام لامنع الفساد ويدوم اسمك مجيدًا بين الورى وُجدتَ قبل الآلهة وستحيى الى الابد لا يمحقك الفناء" وتجد بالقاعة الثانية تمثال أميرة مصرية من الصوان الاحمر وتمثالاً من ذات الحجر لبطليموس فيلادلف الآمر بالترجمة السبعينية وتمثال أسدين حاملين مركبة نيفط بنف الاول ملك مصر ووُجد الاسدان بين خرابات هيكل ايزيس في كمبيو مارسو برومة وتجد سبعة عشر تمثالاً غير الآنف ذكرهم

وتجد بالقاعة الثالثة المدعوة قاعة التقليد تماثيل ونقوشًا مصرية مقلّدة صنع نقاشي الرومان واليونان اثناء ملك الامبراطور ادريانوس وجد اكثرها في حيّ ادريانا وافخرها تمثال نهر النيل مضطجع قابض بيدهِ

اليسرى قرن الخصب مسندًا الى أبي الهول ودائس بقدمَيهِ على التمساح وتمثال اوزيريس من الصوّان الاسود وتمثال ايزيس ماسكة بيسراها رمز الحيوة وتمثال آخرُ لها من المرمر وتمثال تمساح يخوض المياه وتمثال كاهن مصري يصبُّ الماء من الاناء على دكة الضحيَّة وغيرها تماثيل وافرة

وتجد بالقاعة الرابعة تماثيل المصريين الاصليَّة فيها تمثال ساتي الاول ابو رعمسيس الثاني وهو من الصوّان المصري على رأسهِ شريط عمون وبيساره رمز الحيوة وتجد أيضًا أربعة أوانٍ كانت تستخدم لايواء امعاء الميت لمَّا يحنَّط وتكرَّس الاواني المذكورة للمعبودات الاربع امست وهابي ونيوموتو وقبك صنوف ابناء اوزيريس الموكلين بحراسة بقايا والدهم بحيث كان من معتقد المصريين القدماء ان كل نفس فارقت جسمها تصبح جثة فالجثة هي اوزيريس وتجد دكة الضحيَّة للملك طوطمس الثالث من العائلة الثامنة عشر نحو الجيل الثامن عشر قبل المسيح وترى مرسومًا عليها خبزًا وقوارير خمر وتقدمات اخرى ومكتوبًا عليها بالهروغليف دعاء الى هورو ابن را (الشمس) وترى تمثال ايزيس من الحجر الاسود بصورتها العادية هيئة ملكة وكاهنة امامها دكة الضحايا وغيرها كثيرًا من التماثيل ٠

وتجد في الغرفة الاولى خلال الزجاج موميات هررة وحيوانات أُخرى محنطة ومكفَّنة بقماش الكتان الابيض وتماثيل سلاحف ومعبودات مصريَّة

وفي الغرفة الثانية والثالثة خلال الزجاج تماثيل وامتعة كثيرة من بقايا المصريين كاقمشة التوابيت وحبوبها واوراق بابيروس وآلات نحاسيَّة لخدمة البيت او المعبد كاناء ماء او عدة الضحيَّة اما الغرفة الرابعة فكلها اوراق بابيروس مكتوب عليها بالاحرف الهيروغليفيَّة ومعلقة على الجدران وجدت في المدافن وتشمل صلوة الاموات او بيان السبل التي

يجب ان يسلك بها المتوفى ليصل الى مقام الحق في العالم العتيد وقد اضيف مؤخرًا الى هذه الغرف غرفة خامسة بها بعض آثار لاتخلو من الفائدة للمتفرج

تخرج من المتحف المصري الى قاعةٍ مُصلَّبة تدعى قاعة الصليب اليوناني وهي مبلَّطة بالمرمر الصقيل يتوسطهُ ثلاث بقع من الفسيفساء دقيقة الصنع زاهية اللون من أعمال الاقدمين فالوسطى كشفت في خرابات توسكولو سنة ١٧٤١ وتمثل مينارفة مدرَّعة بترسها ومتعمّمة بالخوذة واربعة طلامين حاملين سلسلة محيطة بالدائرة كلها وعلى السلسلة رسوم الشمس والقمر واثني عشر كوكبًا والبقعة المتطرفة لجهة المدخل بين تمثالي ابي هول تحت طاقات زهور تكاد تحسبها لزهاء الوانها وجمال دهانها انها صنع عصرنا وبِنْتُ اليوم ويشق عليك التصديق انها بعثت من بين دفائن رومة بعد ثمانية عشر جيلاً وكذلك يقال عن البقعة الثالثة المجاورة لباب القاعة المدوَّرة وتمثل باكوس يسقي الزهور .

وتجد بذات القاعة تماثيل كبيرة من المرمر قديمة العهد لاوغسطوس ولوشيو فيرو رفيق مرقص اورليوس وكليو روح التاريخ واوتربا ورؤوس الخطيب الشهير شيشرون والامبراطورين ادريانوس وطرايانوس وتمثال الزهرة بديع الحفر على نسق المحفور بمنقاش براسيتيلس اليوناني الشهير وتمثال نهر الفرات حطّمهُ الدهر فاصلح جور الزمان منقاش ميكل انج وتمثال ابولو . واهم مجموعات هذه القاعة ناووسان من المرمر العنابي (Borfide) متساويان بالحجم والظرف وكل واحد منهما فلذة واحدة كلاهما حُفِرا زمن قسطنطين الاكبر ليكونا مقامًا لرمَّتَيْ والدته هيلانة وابنتهِ كوستانسا فالاول نمرة ٥٦٦ ناووس الابنة وجد في الكنيسة التي كانت قبلاً معبد باكوس وثم صارت بعد تنصر الامبراطور المذكور

كنيسة مقبرة لابنته وهي بجانب كنيسة مار انيازي بروما ونقل الناووس من الكنيسة الخربة الى المتحف بامر البابا بيوس السادس سنة ١٧٨٨ وترى على جوانبه الاربع نقوشاً بديعة تمثل ابناء الزهرة قاطفين بنات الكرم اشارة الى عبادة باكوس اله الخمر زمن عبادة الاوثان ورمزاً عن انهدار دم المسيح (فالخمر عبارة عن الدم) بعد التنصر وعلى غطاء الناووس المتكون من جنس الحجر نقوش من الاكاليل والصور المضحكة والثاني نمرة ٥٨٩ ناووس الوالدة وجد في برج بنياتورا بشارع الابيكانا خارج باب مجيورة بروما وقد شيَّد البرج المذكور الامبراطور ابنها ليكون مقبرة لها فالغطاء منقوش برسوم الاسود الرامزة عن القوة والنصر والناووس منقوش على واجهاته الثلاث بصور معامع بها فرسان الرومان دائسة بخيولها على رقاب اعدائهم اشارة لفوز قسطنطين على مسنز بو خصمه الالد وترى على الجهة الرابعة واجهة الناووس رأسي هيلانه وقسطنطين وقد راق جمال هذا الناووس في عيني المغفور له البابا انسطاس الرابع فانتحله لنفسه واعدَّهُ في كنيسة مارحنا اللاتران قبراً له فشقَّ هذا العمل على خليفته البابا بيوس السادس ونقله من الكنيسة الى المتحف وصرف على ترميمه ستة وتسعين الف ريال اعتاش بها ٢٥ نقاشاً فلتبارك الانسانية كل حبر جليل يخدم العلم و ينشط أرباب الصنائع

تنتقل من هذه القاعة الى القاعة المدوَّرة وقد بناها البابا بيوس السادس المذكور آنفاً على نسق البنثيون وترى بالوسط حوضاً من المرمر الاحمر قلذة واحدة وُجد في حمام طيطوس وتكتنفه دائرة من الفسيفساء وُجد في بناية اوغسطوس بارتكيولي سنة ١٧٨٠ وهي اكبر واعظم انواعها ومقسومة الى بقع مزخرفة باكاليل الزهور وعناقيد الاثمار وصور من السنتور (رأس انسان وجسم جواد) مع سرب من النرايد على ظهور التريطون (النرايد والتريطون من سرار البحر انظر الميتولوجيا)

وبوسط الدائرة تحت الحوض السابق ذكره رأس المدوزا ذو الافاعي والدائرة محاطة بسياج خشبي منعاً للاقدام ان تدوس عليها وتذهب بطلاوتها وترى خارج السياج على جوانبهِ بقعاً من الفسيفساء تمثل حوادث ميتولوجيّة او هومريّة كنبتون بمركبتهِ تجرّها الخيول البحريّة ووقائع عواس وترى تماثيل عديدة اهمّها تمثال نصفي لجوبيتر (اريد بالتمثال النصفي اللفظة المعبّر عنها عند الافرنج Buste اي صورة نصف الجسم الاعلى من قمة الرأس حتى اوطى ضلع من هيكل الصدر) وهذا التمثال لجوبيتر (المشتري) من ابدع التماثيل التي وُجدت منقوشة لهُ فترى سيماء العظمة ومخائل الوقار والهيبة لائحة على محياه وهو من مرمر جبل كارارا بايطاليا فلخّص العارفون بالآثار انهُ نقش في مدة اوغسطوس بحيث اكتشف على هذا المرمر في زمانهِ ولان النقش شبيه بصناعة عصرهِ المجيد وتمثال سريس الهة الزراعة ومن بديع صنعتهِ انك تعرفها حالاً بدون ان تستفسر كتاب الايضاح فتراها قابضة بيسراها على سنابل القمح ومحيّاها رائق الجمال بسيط المنظر خالٍ من شائبة التصنّع والبهرجة ما يدلّ انها بنت الفلاحة لا بنت الحضر ووجد التمثال في قصر القونشالريّة منقولاً من قصر بومبيو العظيم بجوار المرسح المدعو باسمهِ وتمثال هرقل الظافر وهو تمثال جسيم من البرونز علوهُ ثلاثة امتار وثلاثة ارباع اكتشف عليهِ سنة ١٨٦٤ في حفائر قصر ريكتي برومه حيثما كانت قديماً مخازن مرسح بومبيو وهرقل هذا هو البطل الانسان المرفوع لمقام الآلهة لحسن اعمالهِ واستخدام قوّتهِ الخارقة للعادة في دفع النوائب ودرء الرزايا عن الجنس البشري كما ورد في نص الميتولوجيا البديع المعاني وقد كان هرقل معبود بومبيو البطل الروماني الشهير ولا غروَ فشبه الشيء منجذب اليهِ وتراهُ موشحاً ذراعهُ الايسر بفرو الليث الذي قتلهُ وقابضاً بالكف على تفاح الذهب (وربما هو البندوره اي طماطم لانهُ شبيهها) المقطوف من

حدائق الاسبريد (هي حدائق محروسة منيعة ولجها هرقل ببطشهِ) والفضل في وجود هٰذَا التمثال العظيم النادر المثال بجسامتهِ واتقانهِ بين مصاف التحف عائد للبابا بيوس التاسع الذي اشتراهُ من البارون ريكتي صاحب الارض المكتشف عليهِ بها بمبلغ مايتين وتسعة وستين الف فرنك وتمثال جونون كبيرة المعبودات ووالدتها وزوجة جوبتير وشقيقتهِ اكتشف عليهِ في خرائب حمام اولمبياد بروما وهو متقن الصنع حسن النقش تدلُّ سيماه المعبودة عن منظر الوالدة وهيبة الملكة

وترى تماثيل التراجديا والكومديا وفوستينا امرأة انطونينو بيو (مشيد العمود الباقي منتصباً بروما) ورأس ادريانوس باني حصن سنت انج حيثما وجد بمدخلهِ وتمثالاً نصفيًّا لانطينو حبيب الامبراطور ادريانوس وتمثال الاوقيانوس اله البحر وتمثالاً نصفيًّا لجوبيتر وتمثالاً جسيمًا للامبراطور كلاديوس وآخر صورة رأسهِ فقط وتمثالاً ثانيًا لجونون وتمثال بلوطينا امرأة الامبراطور طرايانوس وجوليابيا امرأة الامبراطور سبتيم سفيرو وتماثيل اخرى غير مهمَّة

تنتقل من هذه القاعة الى قاعة مثمنة الزوايا اسمها قاعة الموزات (معبودات الفنون الجميلة) ذات قبة جميلة مركبة على ستة عشر عمودًا من مرمر كارارا مع تيجانها القديمة وُجدت في خرائب ادريانا بتيفولي وعليها صور رسم المصوّر الايطالياني كُنكا تشيرُ الى ملامح المعبودات المذكورة ولذلك دُعيت القاعة باسمهنَّ لاسيما لاحتوائها على تماثيل مشاهير فلاسفة وعلماء اليونان فترى عند قوس المدخل صورة ابولون مع الموزات (جمع موزة) ابراتو وطاليا وبولينيا وكاليوبي واورانيا وعلى يمينك صورة هوميروس وفوقهُ مينارفه تنفخ بهِ روح الحكمة فانطلق لسانهُ بالشعر وغنَّى الايليادة قصيدتهُ العظمى امام الموزتين ترزيكورة وكليو (سيأتيك تفسير الموزات عند تماثيلهنَّ) ثم رسم الشاعرين المفلقين اليونانيين اسكيلا

وبندارُو مرافقين الموزتين ملبومن واوتربا ثم ترى في اربع زوايا رسوم اريوسطو (عالم ايطالياني) مع ابولون وفرجيل مع الموزتين طاليا وكاليوبي وهوميروس مع كالبوبي وطاسو شاعر الطليان مع ميثارفه والكل رسم المصوّر المذكور آنفًا

اكثر التماثيل الموجودة بهذه القاعة وُجدت في خرائب قصري ادريانوس وكاسيوس القديمين والمدعوين الآن بيانلاّ دي كاسيو برومة.

فترى من علماء اليونان تماثيل رؤوس كليوبول اللندي وديوجينوس الفيلسوف الزاهد وصوفوكلي الشاعر المفلق وهوميروس ابي الشعر وابيقورس فيلسوف الانشراح وزينون فيلسوف الجدّ واسكينا الخطيب مناظر ديموستن وديموستن الخطيب البليغ وانتيستن تلميذ ديوجينوس ومترودور صديق ابيقورس والسيبياد تلميذ سقراط وابيمندس الشاعر والعريف بالكهانة وسقراط فيلسوف الحكمة فتول الترفض وتميسوكل البطل صاحب الموقعة الشهيرة مع ملك الفرس في مينا سلامين وزينون الايلي النحوي اللغوي واوريبيد شاعر التراجديا المجيد واسباسيا النقّاش وبريكلس المتشرع الاثيني وليكورغا متشرع سبرطا

وترى من تماثيل الموزات ملبومن موزة التراجديا وتعرف بسيمائها الدالة على الفروسيّة وكرامة الاخلاق وطاليا موزة الكومديا وهيئتها ضاحكة وبجانبها آلات اللهو واورانيا موزة التنجيم وعلم الهيئة وبجانبها الكرة وكليو موزة التاريخ وبحضنها قراطيس مسطرة وبولينيا موزة الذاكرة وعلم الخرافة والايماء (بنطوميم) متوجة كاخواتها الموزات باكليل من الورد وعليها سيماء الفكرة واراتو موزة الشعر الغنائي لابسة كباقي الموزات قميصًا مقطوع الاكمام حتّى المرفق وتدلّ شمائلها عن خفة وكليوبي موزة الشعر الحماسي جالسة بظرف وماسكة بيسراها لوحًا مشمعًا (كان يكتب عليه القدماء) وبيمناها سنانًا (حديدة محدودة الرأس لنقش

السطور على اللوح المذكور) وترز يكورا زعيمة الرقص على غناء العود ماسكة بيدها العود وبادئة في حركات الايقاع واوتربا موزة المراسح وصافو شاعرة متلين وربة العود المعدودة بين مصاف الموزات ويوجد نقوش اخرى اضرب صفحًا عن ذكرها لعدم اهميتها · تخرج من هذه القاعة وتلج قاعة الحيوانات وهي مقسومة قسمين جامعين شتات الحيوانات المنقوشة في زمن اليونان والرومان كالذئاب والنسور والدببة والنسانيس والافاعي والارانب والثيران والكلاب والعقبان والايلة والاسود والحملان والنعاج والنمورة والهررة والحيتان والخنافس والاخطبوط والاسماك · ومن اهم موجودات هذه القاعة تمثال من المرمر رامز عن عبادة الفرس القدماء وبه ميترا او الشمس ضارب الثور بسهم فالسهم هو شعاع الشمس والثور الارض وكلب وافعى يعضان الثور المضروب كناية عن امتصاصهما القوة الحيويّة المغذية من الارض المخصبة بفعل اشعة الشمس وعقرب يكاد يلدغ عقب ميترا فالعقرب عبارة عن الخريف الذي يضعف الابدان كسم العقرب ويحول دون منافع الشمس على الارض وقد اشترى هذا التمثال النفيس البابا بيوس السادس وضمّهُ الى هذه القاعة ونرى هنالك تمثال هرقل قاتلاً الاسد وتمثالاً آخرًا له قاتلاً ديومد ظالم ثراقة وجواديه اللذين كان طعامهما من لحوم البشر وتمثال حمل مضحًّى مشقوق البطن مندلق الامعاء وكبدهُ ظاهر مدلًّى وتمثال نسر مصطاد ارنبًا – وراعٍ نائم وخرافهِ سارحة ترعى – واسد يشدُّ على رأس عجل بين مخالبهِ ليحطمهُ ومن ابدع التماثيل نقشًا ومعنًى وانفسها قيمةً تمثال احتفال ديني رعائي ممثّل بقرة ترضع عجلها امام هيكل متضمن النبع والشجرة المقدسين والراعي ماسك المنفاخ وعلى العصا الرعائية غصن من الزيتون ولديهِ حيوانان معدَّان للضحية وامامهُ اناء ماء يشرئبُّ الحيوانان لارواء ظمأهما بتقريب بوزيهما من الاناء – وتمثال اسد هاجم على حصان – وهرقل قاتل الكلب العضّاض ثربرا

حارس حديقة الاسبزيد — وتمثال في غاية الظرف والاتقان يمثل سنتورًا (رأس انسان على جسم حصان) خاطفًا غيداء بحريّة (نمف) وهي بين يديهِ مغمى عليها وقد رأت ولدي الزهرة حاملين سهام الحب المصيبة فاستغاثت بهما تستمدّ النجدة فاشار احدهما عليها بالسكوت واضعًا اصبعهُ على شفتهِ والثاني مجمّ ذراعهُ الى الوراء ليفهمها انهُ عاجز عن نجدتها

واكثر تماثيل هذه القاعة من المرمر النفيس المختلف الالوان من ابيض واخضر واحمر وازرق وخليط

وتخرج من هذه القاعة الى رواق التماثيل فترى بها كثيرًا من تماثيل مشاهير الرومان و بعضًا من تماثيل المعبودات ومن اظرفها تمثال مينارفة قابضة بيسارها غصن الزيتون اشارة السلام و بيمناها خوذة الكفاح آلة الحرب — و بنلوبا امرأة عولس وسيماء الحزن على محيّاها وهي جالسة بجانبها سلّة النسيج الذي كانت تحوكهُ وهي من نقش كلاميد اليوناني في الجيل الخامس قبل المسيح وتمثال الروماني الشهير كاليغولا وهو غاية في الدقة والاحكام وتمثال امازونة (والامازون هنّ النساء الفوارس المشهورات قديمًا ببلاد ثراقة بتوركيا اوروبا) وهي فتانة بالحسن وغلاّبة بالفروسيّة فتجمع الانصرين الحسن والقوة وتمثال فون (والفون هو السكير) مضطجع على زق خمر نائمًا يسود عليهِ هاجس الحلم

تنتقل من هذه القاعة الى قاعة انصاف التماثيل (بوست) فترى بالقسم الاول يوليوس قيصر واوغسطس قيصر شابًّا وكهلاً وطاعنًا وكلاديوس ونيرون وفسباسيان واوثون وطيطس وطرايانوس وانطونينو بيو ومرقص اورليوس ولوشيوفيروو كومديوس ابن مرقص اورليوس وسبتيمو سفيرو وكاراكالا متقلّدًا هيئة الاسكندر وسفير الكساندرو

و بالقسم الثاني كرسبينا اوغسطا امرأة كلوديوس وجوبيتر ورأس افريقي اجعد الشعر ممثلاً طولوميوس بن جيوبا ملك موريتانيا (الجزائر)

والمغرب) ومنليا سكانتيلا امرأة ديديوجيوليانيو وابزيس يزين جبينها زهر اللوتوس ومن ابدع تماثيل هذا القسم تمثال الملك منيلاوس البطل اليوناني زوج هيلانة وهيئته تدلُّ عن وجوده في ساحة القتال ينشل منها جثة باتروكلي قتيل هكتور بطل تروادة ويستفزُّ اليونان لنجدته من موقفه الحرج

وتجد بالقسم الثالث قينةً لاعبةً وفونًا مقهقهـًا ولئيمًا مريعًا وابزيس مزدانة بتاج شبيه طارة القمر بين ثعبانين وباحدى الزوايا جوبيتر متقن الصنع نسخة نقش فيدياس المصنوع بالذهب والعاج وعلى يمينك رأس ملك بربري اسمهُ فلامينا وجد بين اسرى قوس قسطنطين. ورأس دروزس اخي طيباريوس واتروشيلا امرأتهُ واوطافيلا امرأة فيليبو سنيوره وترى بالوسط كرة الابراج والكواكب وتلج بالقسم الثاني على اليسار ليفيا امرأة اوغسطس على هيئة الصلوة اشارة لتقواها وجوليا ابنة طيطس واريسطوفانس احد مشاهير شعراء اليونان وسابينا امرأة ادريانوس وبالقسم الاول على اليسار رأس ابزيس وميناروفة لابسة الخوذة ومعتقلة الترس. ثم اذا عدت الى قاعة التماثيل تجد على اليمين تمثال مناندر الشاعر اليوناني — ونيرون بهيئة ابولون — ونبتون جسيم الحجم بيده العصا المثلثة والحوت تحت قدميه وعلى قاعدة التمثال نقشًا ممثلاً اندروميدا جالسة على جلد الوحش الذي قتلهُ برساوس وانقذها من انيابه — واو بيليومكرينو خليفة كاراكالا اليوناني — واسكولاب اله الطب وايجيا الهة الصحة مجموعين سويَّة باتقان بديع — وسنيكا فيلسوف الرومان ودانايدا محكومًا عليها بتدلية الدلو لجرّ الماء واثر النحيب بادٍ على عينيها — وفلورا الهة الزهور متوجة باكاليل الزهر وحاملة بيدها طاقة الرياحين — واريانة مضجعة على فراش النوم في جزيرة ناسو بعد ان هجرها عاشقها تيذاوس ابوايبوليت وذراعها الايسر محاط بسوار شبيه الافعى ولذلك توهم بعض الاثريين

انها كليو باترا بعد هجر انطونيوس لكن اللوح المنقوش بذيل التمثال يؤيد رأي القول الاول فانَّ عليهِ رسم اريانة ابنة مينوس غارقة في بحر الاحلام والهواجس مضطجعة على شاطئ جزيرة ناسو وعاشقها راكب متن سفينة مقلعة بهِ وفنوس (الزهرة) تحوم فوقهُ لتقيهِ وباكوس اله الخمر مع خادم من الفون (السكيرين) يرمق الجميلة المهجورة وقد استأنس بلقياها وهذا التمثال يعدُّ في الطبقة الاولى بين مراتب تحف الفاتيكان لدقَّة نقشهِ وتناسب تقاطيعهِ وايضاح معانيهِ وقد وضع على نعشٍ منقوش ممثل حرب الجبابرة مع الالهة — وتمثال عطارد (مركوريوس) — ولوتشيوفيرو نسيب مرقص اورليوس ورفيقهِ

تنتقل من هذه القاعة الى قاعة الرسوم المضحكة (مسخرات وبها عدد وافر من هذه الرسوم يتخللها نقوش مناظر بريَّة ترعى بها النعاج وتسرح الثيران وعرس قران باكوس باريانة وما اشبه وترى بها تمثال تألُّه ادريانوس بجانبهِ مينارفة تصبُّ لهُ رحيق الخالدين بالنعيم — والزهرة (فنوس) بارزة من ماء المغطس تمدُّ كفها لتناول اناء الطيب الخاص بها ومهارة النقاش تظهر في تجمع اعصاب ذراعها الممتد لتناول الاناء — وسابينا امرأة ادريانوس مقلدة الزهرة وبيدها تفاحة وتجد امام شباك القاعة حوضاً من المرمر الاحمر جسيم الحجم بديع الحفر وفي خلايا الغرفة تمثال فنوس واقفة متابطة ثيابها وبادية في تطييب جسمها — وابولون ظريف المعاني ماسكاً عودهُ ولوحاً منقوشاً عليهِ وقائع هرقل الاثنتي عشرة كقتلهِ الليث والمدوز رأس الافاعي الخ والمذكور وهو طفل قاتل حيتين امام والدتهِ الكمن حليلة جوبيتر وعلى الحائط تحت الشباك الاول لوحاً منقوشاً عليهِ رسم الذئبة التي ارضعت روموليس وريموس مؤسسي رومة — ولوحاً عليهِ نقش باريسا بن بريام ملك طروادة يسير بهِ كوبيدو اله الشهوة نحو هيلانة والزهرة الهة الجمال جالسة بجانب هذه تعرّض لها في

محاسن هذا الشاب الجميل وتريها قدّهُ واعتدالهُ وظرفهُ وجمالهُ وفوق الزهرة الالهة بيتا ربة الاقناع دليل على اذعان هيلانة لكلام الزهرة وعلى اليمين ابولون الاله الحارس طروادة – وتمثال المريخ (مارس) مفاجئ الغادة سلفيا وهي غارقة في بحر الاحلام – ومولد هرقل وغيرها كثيرٌ من الالواح والتماثيل

تنتقل من هذه الغرفة الى قاعة كانوفا فتجد مدخلها مزداناً بثلاثة تماثيل حديثة نقش الايطاليان ولكن من خيرة النقوش وابدعها ودرة هذا العقدِ تمثال برساوس منقذ اندروماد فانهُ غاية في الانقان واحكام الصنع وتجد بهِ نعشاً قديماً منقوشاً والنقش ممثل واقعة اريانا مع باكوس في جزيرة ناهو وتمثالاً للمعبودتين ديانا وايكاتا مكافحتين الجبابرة وتساعدهم المعبودة جيا (الارض) – وضريحاً مربعاً منقوشاً نقوشاً بديعة مشيرةً الى تأسس رومة والكتابة موجهة الى المريخ والزهرة المعبودين المستظلين رومة بحماها فعلى واجهتهِ الامامية صورة المعبود فولقين واهمّا خيانة امرأتهِ الزهرة مع المريخ وعلى واجهة اليسار محاكمة باريزا حبيب هيلانة وقراع هكتور واجاكس على جثّة بتروكل قتيل الاول وحوم مينارفة فوق اجاكس لتقيهُ من البطل خصمهُ ثم براز هكتور مع اكيلا وعلى الواجهة اليمنى صورة هكتور مقتولاً مجروراً وراء مركبة اكيلا وتحتها مأتم هذا البطل الصنديد وعلى الواجهة الخلفية رقاد الملكة سلفيا وطروق المريخ لها ليلاً – وتحتها صورة التوأمين رومو ورمولو مؤسسي رومة على ذراعيها مرتضعين الذئبة

بجانب هذه القاعة قاعة عطارد وسمّيت بذلك لاحتوائها على تمثال عطارد البديع نقش ليزيبا احد مشاهير نحّاتي اليونان القدماء وقد وجد تحت ردم احد ضروح الامبراطور ادريانوس ومن تأمّل بهذا التمثال ورأى الاوردة والشرايين بادية تحت الجلود والضلوع كانها في هيكل حيّ ادرك الشأوَ الذي بلغهُ اليونان في براعة النحت وبهِ تماثيل اخرى جميلة

اترك الكلام عنها حبًّا بالايجاز وتفضيلاً للاهم من نوعها · تجاور قاعة عطارد قاعة لاوُقُنت وتغلَّب عليها اسم هذا التمثال المتقن الذي دعاهُ ميكل انج «عجيبة الصناعة» وسمَّاهُ قبلهُ المؤرخ الروماني بلينا «فريدة النقش» نحتهُ النقاش اليوناني اجيز اندر مع ولديهِ بوليدوروس واثينادورس من جزيرة رودس الذين كانوا مقيمين برومية اثناء سلطنة الامبراطور طيطس اوغسطس ويمثل التمثال وقصَّة الشاعر فرجيل الواردة بكتابهِ الثاني عن الانايد الواصفة لاوقنت (بن بريام ملك طروادة) كاهن نبتون جالسًا بجانب الضريح وهو يقوم بفروضهِ الدينية وكيف احدقت افاعي مينارفه بهِ تشفيًا منهُ لوقوفهِ في سبيل خراب طروادة ومعارضتهِ دخول الحصان وكيف لم يبالِ ولم يتأَثر من كيدها الاَّ لما قدم ولداهُ لينجياهُ خلافًا لارادتهِ فوقعا في نفس الشرك والتفَّت الافعى عليهما فهيئة الحزن البادية على محيَّاهُ وسائر وجههِ تفتت القلب الجلمود وتحتوي هذه الغرفة على عدة تماثيل واضرحة ونواويس بهية اقتصر عن ذكرها

تنتقل منها الى غرفة ابولون المدعوة بلفدر اي المطل الجميل وسميت باسم ابولون نسبة الى تمثالهِ البديع الموجود بها وهو اتقن تمثال لهُ صينَ من غوائل الدهر واكتشف عليهِ برومة في اواسط الجيل الخامس عشر والتمثال باهي الجمال ندر او تعذر قرب الجمال الحقيقي منهُ وما هو الاَّ جمالاً خياليًّا تصورهُ النقَّاش اليوناني كلاميد فجاء كاملاً بالحسن ساحر المحيَّا رغمًا عن هيئة الغضب الظاهرة على سيماءِهِ فكأَنهُ حانق على الافعى بيثونة التي كانت شرًّا على العالمين فاستغاث عبادهُ بهِ من دواهيها فنزل غضوبًا من مقرهِ السماوي وقتلها واراح المستغيثين والتمثال المذكور من المرمر نسخة تمثال آخر من البرونز صنع النقاش نفسهِ ونصب في احدى فسحات آثينا بزمانهِ · وبهذه الغرفة تماثيل اخرى وافرة

تنتقل منها الى الرواق المدوَّر وهو تقليد البنثيون وتجد في صحن

القاعة حوضاً من المرمر الملوَّن الاشهب دائرتهُ خمسة وعشرون قدماً من قطعة واحدة وهو ظريف الشكل صقيل كالمرآة وجد خلف الفاتيكان مدفوناً بالارض وتنزل منهُ الى قاعة الميلاغرو نسبة الى تمثالهِ الممثل هذا الصياد الشهير بالقدم مستنداً على رمحهِ وبجانبهِ الايمن كلبهُ الامين وعلى يسارهِ رأس الوحش شنكال الذي قتلهُ بسنان رمحهِ وتجد بالحائط على يسارك واجهة ناووس منقوش عليهِ وقائع هيام ديدون ملكة قرطاجنة بآنيا بن بريام المهاجر طروادة وترى على النقش مرفأ بحريًّا ومنارة شمّاء ومعملاً للسلاح فسيحًا وخلافها من دلائل المعاني وبالوسط آنيا حبيب ديدون جالساً بينها وبين اختها حنة يصب رحيق الشراب بكاس وقد وجد هذا الناووس خارج باب اللاتين برومة وتجد ايضاً لوحاً منقوشاً عليهِ رسم سفينةٍ رومانية بمجاذيف وعلى موخرها مثال التمساح وتحتهُ الالهة بالاس حامية السفن والتمساح اشارة الى انها اسكندرانية

تنتقل من الرواق المدور الى الحجرة المربعة فتجد بها تماثيل وافرة اهمُّها نعش من التوف او الحجر النولكاني وُجد في شارع ابيا برومة بمدفن عائلة شيبيون المشهورة ببسالة افرادها ودربتهم في مواقعهم مع القرطجنيين والناووس المذكور ضريح كورنيليو شيبيون بربا توجدُ شيبيون الافريقاني والصور المنقوشة عليهِ هي وقائعهُ وفتوحاتهُ مرسومة باتقان على النسق اليوناني وهي اقدم نقش روماني جرى على منوال الحفر اليوناني فاستدلَّ منهُ عن شروع الرومان بتعلم فنون اليونان في الجيل الخامس قبل المسيح

تجد عند منتهى هذه الحجرة فاصلاً حديديًّا ينبئك انهُ الحد بين المتحف الذي زرتهُ المدعو بيوكلمنتينو والمتحف الوالج بهِ اي متحف كيارامونتي واقتصر عن وصف مدخلهِ الجميل وبنائهِ المكلَّف خوف ملل التطويل واقتصد ما استطعتُ سبيلاً بالاسهاب عن الآثار المجموعة بهِ بادئاً عند منتهى رواقهِ الطويل مقتفياً اثر اعدادهِ الاولية الفضلى عن غيرها فاهمُّها

تمثال اوغسطوس قيصر بديع النقش والرموز من اشد التماثيل الرومانية اتقانًا وقد اكتشف عليهِ سنة ١٨٦٣ بين خرائب فيلا فلامينيا برومة حيثما كان مبنيًّا قصر ليفيا اوغسطوس امرأتهُ فتجد الامبراطور اوغسطوس مهتمًّا في ترتيب صفوف جندهِ وماسكًا بيسارهِ الصولجان ومتشحًا بوشاحهِ الخاص وعلى لوح بجانبهِ صور فتوحاتهِ يعلوها الفلك بشمسهِ المنيرة يتقدمها الفسفور (اله النور) والاورور (اله الفجر) اشارة لدنو اوغسطوس بقدرتهِ من مقام الالهة وترى على الجوانب رسم ابي الهول عبارة عن صيرورة القطر المصري ولايةً رومانية خاضعة لهُ وخريطة مملكتين هما اسبانيا ودلماسيا ايماء عن تغلّبهِ عليهما وضمّهما الى سلطنتهِ

وتجد بها تمثال اوربيبد كبير شعراء التراجديا اليونانية ودموستن كبير خطباء هذه الامة واقفًا على المنبر موقف الخطيب كانهُ يلقي احدى تلك الخطب الرنانة ضد فيلبس ابي الاسكندر ووجههُ يقدح شرر الغضب ويدلُّ عن كرم الخلق — وتمثالٌ مصارعٍ بديع النقش من احاسن التماثيل حفر النقّاش اليوناني الشهير ليذيبا ومن تأمل بهذا التمثال وظهور العضلات والاعصاب بهِ عرف منزلة هذا الفن الجميل وولع بهِ — وتمثال انطونيا الفاضلة امرأة دروزوسنيوره ووالدة القياصرة جرمانيكوس وليفيلا وكلاديوس اوغسطوس الذي سكَّ نياشين بدمغتها تذكارًا لها — وتمثال تريس آلهة الحقول موشحة بجلباب خفيف شفاف غير حاجب تركيب جسمها الجميل — وتمثال الهة السعد التي كانت معتبرة عند اليونان والرومان بمنزلة اله القدر والبركات صارمات الاعمار وهنَّ مكللاتٍ بالتاج وسادلات حجاب كبار الالهة المسدل حتى الاقدام وبجانبهنَّ كرة الارض وفوقها دفة قارب اشارة الى قيادتها اعنّة الحظوظ — وتمثالاً نصفيًّا محكم الصنعة لمرقص انطونيوس البطل الروماني الشهير ببسالتهِ وعشقهِ كليوباترا وانتقامهِ من قتلة يوليوس قيصر — وتمثالاً جسيمًا لنهر النيل راقدًا فوق الامواج ومتكئًا

على ابي الهول الرامز عن بر مصر وحواليهِ ستة عشر ملاكاً يسامرونهُ حديث المزل عبارة عن درجات فيضانهِ الست عشرة وتحت الامواج نقوش تمثل سكان جزيرة النيل (المدعوة طنطيرة) وصيدهم التمساح وكفاح (هيبو بوتاموس) مع التمساح ونباتات النيل المقدسة كاللوتوس وهذا التمثال غاية في دقة الصنعة وقد وُجد في خراب هيكل ايزيس برومة — وتمثال الامبراطور دوميسيانوس وتمثال عطارد الاله الواقي المسافرين والغرباء وغيرهم تماثيل وافرة يكلّ اللسان عن عدّها فلا غروَ ان قصر البنان عن وصفها . تنتقل من هذه القاعة الى دهليز لابيداريا طولهُ ٢١٣ مترًا ويمثل الالواح المكتوبة نقش الاقدمين كالسجلات والاضرحة سواء كانت الكتابة باللغات المتعارفة يومئذٍ او بالرموز المفهومة عند اربابها وحلّ عقدها ارباب العلم فكّاكو المعضلات ومن الطف هذه الرموز الاشارات النصرانية في عهد اضطهاد الكنيسة فانها كانت خفية حاشا عن النصارى الاوّلين ولذلك اعتبر سلاطين الرومان الاولين جماعة المسيحيين اعتبار شيعةٍ سريّة وخافوا من عواقبهم فجرّدوا عليهم صوارم الجور والعنف ونكبوا بهم حتّى استهدى قسطنطين الاكبر ورفع راية النصرانيّة فتأيّد لهم الملك وعدلوا عن الخفاء والتستر الى الظهور والبهرجة ومن الطف ما شاهدت من رموزهم واستفسرت عن معانيها صورة السمكة واسمها باليونانية مركب من خمسة احرف يجاوب كل حرف منها اول حرف من الخمس الكلم الآتية « يسوع المسيح ابن الله المخلص » وصورة السفينة ومعناها « الكنيسة » والمرساة ومعناها « ان الايمان بالمسيح موصل الى الميناء الامين » وحرفي XP معقودين وهما الحرفان الاولان من اسم يسوع المسيح وغصن الغار وتفسيره « فوز الديانة » ويونان خارج من بطن الحوت كناية عن قيامة المخلص من احشاء الارض والحمل المذبوح كناية عن انهدار دم المسيح ورموزًا غيرها عن مواضيع دينيّة واردة بالتوراة والانجيل

ومما يطول الاسهاب باحصائهِ التوابيت والاضرحة والنواويس المكتوبة من بقايا الرومان واليونان والمصريين والفرس حتّى يتوهم الداخل الى هذا الدهليز الطويل انهُ جائل بين المقابر

تنتقل من هذا الدهليز الى متحف كيارامونتي المنتهي بالسلم الموصلة الى متحف بيوكلمنتينو السابق ذكرهُ و ينقسم الى ثلاثين قسماً اذكر للقارىء نزرًا يسيرًا من موجوداتهِ الكثيرة فيرى في القسم العاشر تمثال جونون ام الالهة جالسة ترضع هرقل او المريخ ورسم راسها جميل للغاية وفي القسم الثاني عشر تمثال مصارع انهكهُ جدّ الصراع فجلس برتاح بعد عناء الفوز وفي القسم الثالث عشر تمثالَ مصارع آخر يكافح غضنفرًا وفي القسم الرابع عشر تمثال الزهرة وقد خلعت الرداء وجلست على صخر بجانب البحر لتستحم وهذا التمثال بديع النحت وفي القسم العشرين تمثال طيباريوس من المرمر الفاخر وهو كبير الجحم متقن الصنع متناسب التقطيع معدود بين اطايب التماثيل القديمة وتجد بهِ قطعة لوح منقوش عليهِ رسم طاحون قمح يدور على الخيل والحصان معصوب العينين وعلى دكة بجانب الطاحون قنديل زيت اشارة على استمرار الشغل اثناء الليل واطراف النهار ورجلاً ملتحيًا يدبر الشغل وهو واقف خلف ولا ريب انها صورتهُ الحقيقية تفيد ان الضريح مقام طحّان و بهِ ايضًا تمثال كالوتو غازلة الحظوظ وصارمة خيوط الاعمار وهو تمثال نفيس و بالقسم التاسع والعشرين تمثال عولس يسقي الرحيق الى الغيد الحور وللجبّار بوليفموس الذي ثمل منهُ

هذه هي اهمّ قاعات المتحف الفاتيكاني التي زرتها زيارة الدارس الملتذ بآثارها و بعدها ولجت قاعة البُسُط المرسومة بالصوَر البديعة التي تحسبها اشخاصًا حقيقية وتسمّى بالفرنساويّة Gobelins و بالايطالية Arazzi وحقًّا يكلّ اللسان عن وصف كمالها فاشور على كل زائرٍ قصد رومة ان يتفرّج على المتحف ولاسيما قاعة البسط المذكورة

الساعة ٣ من يوم الاربعا و١٢ جونيو قفلنا من المتحف وقد انهك قوانا الوقوف على الاقدام من الصباح وما اشعرنا بالتعب سوى بعد انتهاء الفرصة لان المرء عديم الشعور بالتعب او ان الانشراح واللذة تعطي قوةً ونشاطًا فعدنا الى الاوتل نسعى الى تغذية الجسم واراحة البدن

وصباح اليوم التالي و١٣ الجاري قصدنا سراي الكويرينال اي القصر الملوكي ولا يلجها الزائر سوى يوم الخميس برخصة من وكيل التشريفات المقيم دائمًا في بناء بجانب القصر فولجناها بعد الاستئذان وقد كانت قبلاً مثل الفاتيكان مقامًا للباباوات وبناها البابا غريغوريوس الثالث عشر والقصر كبيرٌ يليق بالملوك وغرفهُ واسعة ومفروشة فرشًا ثمينًا وبهِ رواق مغطاة جدرانهُ بالبسط الفاخرة المرسومة المسمَّاة غوبلين وقد زرنا سائر غرفهِ حتَّى سرير الملك وهو من الدمقس الاحمر الزاهر وفسحة القصر الخارجية متسعة الارجاء تتوسطها مسلة مصريَّة من الصوان الاحمر مرسومة بالاحرف الهيروغليفية وحواليها سرب تماثيل من الرجال والخيل مصنوعة من البرونز منسوب حفرها الى منقاش اليونانيين الشهيرين فيدياس وبراسنيليس والبركة قطعة واحدة من الصوان الاحمر يتدفق بها الماء من الانابيب بغزارة وقوة تبهج النظر

بجانب قصر الكويرينال بناء مشيد فسيح تابع لهُ يدعى سراي السكودري اي اصطبل عامر وهو مأْوى جياد الخيل الملكيَّة ومخزن سروجها وعِدَدها الفاخرة ويُستأْذَن للولوج بها فدخلنا غرفة الجياد ورأينا من المطهمات الكريمة انواعًا شتى روسية وانكليزيَّة واميركانية ومصريَّة تقدمة من سمو الجناب الخديوي الى جلالة الملك الحالي انما احسن الجياد منظرًا الخيل الانكليزيَّة فانها دالَّة عن عراقة بالاصل ناتجة عن العناية المبذولة بهذا الشان وشاهدنا هنالك سرجًا عربيًا اهداهُ سلطان المغرب للملك فيكتور عمانوئيل وسرجًا كان يركب عليهِ نابوليون الاول في رومة

مع عدّة مركبة عليها تاجهُ وهي فاخرة وثمينة ثم انتقلنا الى غرفة المركبات وشاهدنا المركبة الملوكية المبطّنة بالدمقس البهي المزركش بالفضة والذهب وهي مركبة الملك في الاحتفالات الكبرى كاستقبال الملوك وما اشبه وثم بقية المركبات على اختلاف مراتبها وقيمها

غادرنا قصر الكويرينال وسرنا الى كنيسة مريم الكبرى احدى الكنائس الاربع العظمى في رومة وهي غير بعيدة عن الكويرينال لكنها قديمة العهد بُنيت سنة ٣٥٢ للمسيح وتوسع نطاقها سنة ٤٣٢ وترممت مرارًا عديدة امامها فسحة كبرى بوسطها مسلّة مصريّة علوها ٥٨ قدمًا وفوقها تمثال من البرونز للسيدة العذراء تلج الكنيسة فترى صفّين من العمُد الفاخرة من الباب حتّى الهيكل الامامي المبني على اربع اعمدة من المرمر العنّابي يلتفُّ عليها غصون ذهبية من النخل ويعلو عقدها فوق الاعمدة الاربع اربع ملائكة منقوشة من المرمر الصقيل بهية النحت حفر الشهير براتشي والكنيسة غنية بصور الفسيفساء وبلاطها والكابلاّ الشاملة بيت المقدس ذات قبة ثمينة بصورها ونقوشها وعمُدها وبها مقام او بالحري ضريح البابا سيستو الخامس مرفوع على اربعة اعمدة من المرمر الاخضر النفيس تحاذيها ثلاثة تماثيل اوسطها للبابا المذكور يكتنفهُ تمثالا القديسين فرنسيس وانطونيوس وبصدر الكابلا (كنيسة ضمنية صغيرة) قبر البابا بيوس الخامس مزخرف بتمثالهِ وتجد بواجهة مدخلها تمثالين للقديسين اماميّ الكنيسة النصرانية مار بولس وبطرس ويقابل هذه الكابلاّ كابلاّ ثانية على اسم العذراء بناها البابا بولص الخامس سنة ١٦١١ وهي ذات قبة ظريفة مبنية على اعمدة جميلة ومذبحها مرصع بالزبرجد والياقوت ومصنوع من النحاس المذهّب ويكتنف رسم العذراء ترصيع الحجارة الكريمة وللكنيسة مخرجٌ من الجانب الآخر على ساحة اخرى موازية للاولى بالاتساع ويتوسطها مسلّة مصريّة عالية عن الارض ٦٢ قدمًا

أ بنا من الكنيسة الى الاوتل نرتاح قليلاً و بعد الغذاء والقيلولة سرنا بالمركبة الى منهل تريفي وهو من ابدع مناهل رومة او الارض شيّدهُ البابا كلمن الثاني عشر وحسّنهُ البابا بنديتو الرابع ورسمهُ المصور الايطالي الشهير سالڤي وترى بهِ تمثالاً للاوقيانوس احد معبودات البحر راكبًا على جوادين تجرُّهما الافراس البحريّة المسمّاة بعلم الميتولوجيا تريتوني وهو مع عظم حجمهِ من المرمر الابيض نقش الشهير براتشي ويعلوها تمثالان رامزان عن الصحّة والغزارة هما نقش الحنّار فيلبوڤالي وبجانبهُ تمثال حوريّة هيفاء تومي باصبعها الى جنود الامبراطور اغريبا الروماني عن مياه هذا النبع ليستقوا منهُ ولديها تمثال الامبراطور اغريبا متأمِّلاً بالعشب النابت على مجرى الماء الاصلي رمزًا عن اكتشافهِ هذا المورد الصافي وارواء ظماء جيشهِ منهُ وسبب اكتشافهِ خضرة مجرى الماء

عكفنا من هنالك على الفاتيكان نستأذن الدخول اليهِ فولجناهُ وهو صرح عظيم البنيان مشيد الاركان ملتصق بالمتحف ذو غرف عديدة فسيحة تحسب كل واحدة منها قاعة رقص وهي مفعمة بالصور النفيسة الغالية القدر رسم اشهر مصوري الارض من عصر النهضة الاوربية حتّى الآن وبينها غرف مخصوصة لرسوم المصور الشهير روفايل سانزيو ومن اشهر صور الفاتيكان صورة الدينونة التي رسمها ميكل انجلو الشهير على جدار كنيسة الفاتيكان الصغرى وحقًّا انها آية صناعة ودرة عقد هذا المجموع الثمين ويضاهيها قدرًا واعتبارًا صورة الاله الخالق فاصلاً اليابسة عن الخلاء الخاوي رسم روفايل وصورة مار بطرس سجينًا واقفًا بشباك السجن فيحسبهُ الرائي شخصًا حقيقيًّا مسجونًا وصورة آنيا بن بريام حاملاً اباهُ العاجز على كاهلهِ لينجيهُ من الوقوع بايدي اليونان وهي بديعة بدقة الصنعة فترى مثال القوة واللهفة بالابن والعجز والقهر بالوالد وغير هذي صور عديدة نفيسة مجموعة من مشاهير مصوري الايطاليان والفرنسويين والالمان

والهولانديين والنمساويين وسائر مصوري اوربا . وهنالك مكتبة الفاتيكان الشهيرة تحوى على ثلاثماية الف مجلد طبعًا وخطًّا فنزلنا نتفرَّج عليها وكان أَزِفَ وقت قفلها فرجعنا متأَسفين على فوات الفرصة . انما مقام حضرة البابا بالفاتيكان ظلَّ مغلق الابواب على الواردين مخافة من حركات الثائرين

ثم عدنا قاصدين فسحة اسبانيا بين شارع بابوئينو ومورلي وبها عمود من المرمر قطعة واحدة عالي الارتفاع شادهُ البابا بيوس التاسع سنة ١٨٥٦ ووضع على قمتهِ تمثال السيدة العذراء تذكارًا لقرار المجمع بصددها وقتئذٍ ولا اتصدَّى لذكرهِ لانهُ مبحث ديني لا علاقة بهذه الرحلة بهِ وتحدق بقاعدة العمود اربعة تماثيل جسيمة من المرمر للانبياء موسى وداود واشعيا وحزقيال وعلى بعد بضع اقدام من العمود بركة ماء حوضها من المرمر شبه قاربٍ اشارةً الى طغيان نهر التيبر احدى السنين و بلوغ مياههِ هذا المحل

سرنا من الفسحة المذكورة الى منتزه بنتشيو وهي على رابية بنتشيو المشرفة على سائر رومة فتصعد اليها بالمركبة على طريق مورو بة محدقة بالاشجار المخضرة الباسقة تظلل المارين من شواظ حرّ الشمس وترى على الجانبين حدائق صغيرة مزروعة بالزهور الباسمة وتماثيل عديدة تلهيك بغرابتها او بذكراها ومن اغلاها قيمةً واتقنها صنعًا واكرمها معنًى وفائدةً تمثالان من البرونز للاخوين كايرولي قُتِلا في سبيل الذود عن الوطن حبًّا باتحادهِ ونجاتهِ من اسر الغرباء وقد وقع احدهما قتيلاً قبل اخيهِ وهو يحثُّ جنودهُ على الثبات امام النيران وقد كان ذا امرةٍ بالجيش فاسرع اخوهُ اليهِ ينشلهُ باليد اليسرى و يطلق غدارتهُ على الاعداء باليد اليمنى فخرَّ صريعًا فوقهُ يتخبَّطُ معهُ بدمهِ فامتزج دمهما المسفوك ولا غروَ فقد عاد لاصلهِ من دمٍ واحد كذلك ترى عند ذروة الرابية تمثالاً جسيمًا من البرونز للملك المحبوب فيكتور عمانوئيل ممتطيًا جواده وقد بُني فوق التمثال عقد مخصوص

يظللهُ ثم تصعد هنيهةً الى قهوة جميلة المركز مشرفة على رومة فيشمل نظرك تلك العاصمة من اولها حَتَّى آخرها وقد جلسنا بها ساعة نستنشق النسيم البليل ونشمُّ عطور الزهور الفائحة بجوار القهوة ثم نهضنا نتمشى بين الدوح حَتَّى اذنت الشمس بالغروب وكان ابدع ما رأيناهُ هنالك ساعة مائية تدور حركة عقاربها بفعل الماء

بعد فرجتنا على هذا المنتزه الظريف رجعنا الى الاوتل عازمين ان نودع رومة صباح الغد فرقدنا باكرًا لان القطار السريع بين رومة وفيورنسا يسافر من رومة الساعة ٨ صباحًا فيجب ان يستيقظ المسافر الساعة ٦ ليقضي لوازمهُ ويكون بالمحطة قبل نصف ساعة وهكذا عملنا والساعة ٧ و ٥٠ دقيقة كنا بقطار المحطة المدعو رابيد لسرعتهِ وهو يسيرُ بين رومة وفيورنسا وميلانو والساعة ٨ ونصف غادرنا رومة نقطع سهولها بلمح البصر ونطير فوق رياض ايطاليا على اسرع جناحٍ وكان القطار يخطف الارض خطفًا ويقطع بالساعة ستين ميلاً وما انزعجنا مطلقًا من سرعتهِ لانهُ اقلُّ قلقًا وارتجافًا من القطار البطيء انما يوجد بغرفهِ آلات للتدفئة تسمَّى كالوريفر (اي وعاء الحرارة) وكان ينبعث منها رائحة تغثي النفوس لا نعلم ان كانت مسببة عن بخار الفحم الحجري ام عن نهجِ زيت دهان الغرفة من الحرارة فتمطَّى كل منا في زاويتهِ يلتمس من سكون الانزواء راحة لبدنهِ وكنت احيانًا حين تمطر السماء (لانها كانت غائمة منذ الصباح) امدُّ رأسي من النافذة وارى الطلَّ كالدرِّ متواصل الانسجام بخيوطهِ حَتَّى ينتشر على بساط الزمرّد وغزالة السماء تأنس للظهور فترفع جفن الغيم وتبدي عينها المنيرة اللامعة فيبتسم وجه الطبيعة بالبشر وتفترُّ ثغور الزهور وما زلنا بين عبوسةٍ وكدرٍ من رائحة الآلات وابتسام وسرور من مناظر الطبيعة حَتَّى اشرفنا على فيرنسة عاصمة ايطاليا السابقة الساعة ٢ ونصف بعد الظهر عقيب مرورنا على جملة قرًى ومدن صغيرة وقف

القطار هنيهةً على محطاتها

خرجنا من محطة السكة فوجدنا المركبات فرادى وازواجًا مصطفة امام لتصطاد المسافرين ولكننا لم نرَ مركبة الفندق الممدوح لنا بهِ فاستأجرنا مركبة بالاجرة لنسير اليهِ او لخلافهِ الذي يوافق راحتنا وما اجتزنا بضع خطوات حتَّى وقفنا لدى فندق جديد اسمهُ فندق كمبيليونه وانكلترا فوقف صاحبهُ يدعونا الى النزول واعداً ايانا بكل راحة وحسن خدمة ووجدنا منظر الفندق جميلاً والشارع حسنًا ومن الشوارع المهمَّة فحطينا الرحال عندهُ والحق يقال انهُ مع آل بيتهِ المسعفين لهُ بالخدمة على غاية من اللطف والايناس والبحث عن راحة الضيف ولا نعلم ان كان ذلك عن طبع بهم ام عن سياسة يرومون بها شهرة الفندق لرواج حالهِ فكيفما كان الموجب لقد وجدنا راحة تامة عندهُ وعددناها غنيمةً باردة

قمنا نزور المدينة بعد اجراء لوازم النظافة واملاء المُعد الفارغة لكن انسكاب الغيث مدرارًا حال بيننا وبين المرام فقنعنا بركوب مركبة والذهاب الى قهوة بساحة كافور النسيجة الجميلة وتفرجنا بها على قوس النصر العالي البناء يعلوهُ تمثال فارس من البرونز للملك ليبولدو الثاني احد ملوكها السابقين من عائلة لورينا .

يوم السبت في ١٥ حزيران صحا الطقس وكشفت الشمس قناع السحب عن محيَّاها المنير فاسرعنا على عجلٍ نغتنم سنوح الفرصة واستأجرنا مركبة ودليلاً وسرنا نطوف عاصمة طوسكانا فمررنا اولاً بكنيسة مار يوحنا المعمدان ولا بدَّ لزائر ايطاليا ان يقصد اولاً كنائسها لانها اهمُّ الآثار الحيَّة بها — بُنيتْ الكنيسة المذكورة سنة ١٤٥٢ وهي ليست فسيحة الارجاء انما قديمة العهد وبها اشياء تستحق الزيارة والرؤيا كمصاريع بابيها النحاسيين فانهما محفوران نقشًا بديعًا يمثل احدهما حوادث العهد القديم كالخليقة وما اشبه والثاني حوادث العهد الجديد كهيروديا واقفة امام الطبق والجلاَّد

يقطع رأس مار يوحنا و بالكنيسة عدد وافر من صور النسينساء على النسق البزنطي وبخارجها تمثال مار يوحنا مقطوع الرأس

بجانب هذه الكنيسة كنيسة الدومو الكاتدرائية ولها واجهة اجمل من واجهات كل كنائس ايطاليا التي نظرناها حتَّى الآن فمن اعلاها الى اسفلها مكسوَّة بالمرمر المنقوش زهورًا واكاليل وتماثيل منها تمثال السيد والعذراء والاثني عشر رسولاً و باعلاها تماثيل مشاهير نقاشي ايطاليا ومصوريها كميشل انج وروفايل وهذه الواجهة حديثة العهد وانتهى عملها سنة ١٨٨٧ وبجانبها برج تابع لها شاهق البناء مكسوّ بالمرمر على اربع جهاتهِ مطرّز على نسق واجهة الكنيسة او بالحري مرخّمة على نسقهِ لانهُ اقدم منها عهدًا وعمرهُ جيلان وعند هامتهِ العليا جرس كبير يذكر اهل الايمان بمواقيت الصلاة

سرنا منها الى ساحة سنيوريا و يتوسطها تمثال من البرونز للملك كوزيمو الاول من عائلة مديتشي و بصدرها قصر مجلس البلديَّة وقد كان قديمًا قصرًا لملوكها و بهِ غرف قديمة العهد فسيحة مرسومة الجدران بصور بعض ملوكها السابقين من عائلة مديتشي وصور بعض الوقائع الشهيرة المتعلقة بتاريخ هذه العائلة وتماثيل لهرقل ولكاتبين من احرار الفكر حرَّكا خواطر الامَّة للاتحاد ولمبادي الاستقلال والحريَّة ونظرنا بالقاعة المعيَّنة لجلسات مجلس البلديَّة بُسطًا مرسومة باحسن الرسوم واتقنها صنعًا غالية القدر تمثل حوادث يوسف الحسن كفرارهِ من امرأة بوطيفار وهي متعلقة باردانهِ تجرّهُ للخناء والخيانة وما اشبه من حوادثهِ المعروفة

امام مجلس البلديَّة رواق واقع بطرف ساحة سنوريا يظلِّل بعض تماثيل قديمة نقش اليونان مع بعض تماثيل حديثة نقش اساتيذ الايطاليان كتمثال هرقل واجاكس بين يدي والدهِ و برساوس قاتلاً المدوز وماسكًا راسها المذبوح بيدهِ وهو من البرونز وتمثال ثلاث اخواتٍ متعانقات

يمثّلن الشيخوخة والشباب والقوّة

بجانب هذا الرواق مدخل الموزيوم ورسمهُ افرنك عن كل داخل فولجناهُ ووجدناهُ ملآنًا بالصور البديعة رسم كبار المصورين كروفايل وكورنجيو وامثالها وبهِ غرف لكل مصوري الامم وتماثيل وافرة قديمة شاهدنا امثالها في متحف الفاتيكان فاستغني عن الاعادة والمتحف متصل برواق طويل جدًّا يمتدُّ من الموزيوم الى القصر الملوكي واسمهُ رواق بتي وجدرانهُ مكسوَّة بصور افراد عائلة مديتشي ولورينا وصور كثير من مشاهير الاعصر الاخيرة مثل كرمويل وامثالهِ وباخرهِ قاعة زاهية بالنقوش البديعة والترخيم الحسن

بعد الغذاء والقيلولة قصدنا ساحة الانونزياتا نسبةً الى الكنيسة الواقعة بصدرها والكنيسة غنيَّة بالاواني الفضيَّة فترى احد هياكلها باوانيهِ من المصابيح والمنائر والشماعدين من اللجين الخالص ومصباحين من الذهب الابريز وبالساحة المذكورة تمثال فارس من البرونز للملك فرديناند الاول من عائلة مديتشي

عكفنا منها الى كنيسة كرونشه وشهرتها بالقبور الثمينة الموجودة بها وقدر القبور لا بالنقوش ولا بالحجارة بل بالرمم الكريمة المُدْرَجة بها فهنالك ترى قبر غليليوس الفيلسوف الايطالي ضحيَّة الجهل ودانتي الشاعر وكثيرًا غيرهما من اشهر علماء ايطاليا · من هناك توجهنا الى شارعي المنتزه العمومي اوڤيالة رجينا وڤيالة رباله وهما خارج البلد ودائرتهما متسعة جدًّا وكلاهما يتخللان غابًا عظيم الانساع باسق الاشجار يانع الزهور مخضر الاعشاب ورأينا عند نقطة اجتماع الشارعين على شاطئ نهر ارنو قبر امير هندي جميل البناء شادهُ لهُ ذووهُ بهذا المحل لانهُ توفي في فيرنسا وهو عائد لوطنهِ من انكلترا

بقينا نتنزَّه حتَّى الغروب فأُبنا الى الاوتل وبالغداة الاحد في ١٦

الجاري استأجرنا مركبة وسرنا الى رابية ميكل انج فالطريق محفوفة بالاشجار الغضّة والزروع الباسمة حتّى ذروة الرابية فهناك ترى فسحة واسعة ظريفة يتوسطها تمثال ميكل انج ونشرف من هذه الفسحة على سائر فيرنسا والمطل حسن يأخذ بمجامع القلوب وترتاح له الصدور. انتقلنا منها الى المقبرة المجاورة وليس بها ما يستحق عناء الزيارة سوى بعض قبور حسنة النقش

نزلنا من هذه الرابية قاصدين كنيسة مديتشي وهي كنيسة صغرى تشمل مدافن العائلة المالكة سابقًا وفوقها قاعة ثمينة مرخمة ومرصعة ابدع ترصيع حتّى تحسب جدرانها سجنجلاً صقيلاً من شدّة لمعانها وبها صور ورسوم نفيسة وقبور من المرمر الملوّن الغالي الثمن. ذهبنا بعدها الى قصر الملك اوسرايابتي وقد سمح لنا الحظّ برؤياها لانها مفتوحة للزائرين يوم الاحد فقط فتفرجنا عليها فهي والحق اولى ان يقال اعلى طبقة من قصر الكويرينال برومة سواء بالاتساع او بالزخرفة او بوفرة غرفها وهندسة حديقتها الغناء والخلاصة ان فيورنسا مدينة جمعت بين جمال الطبيعة والصناعة وصحة المناخ واعتلال النسيم ويقيم بها كثير من الغرباء لاسيما الانكليز الملتمسون من سمائها صحة العافية ومن دَوْحها النضير بهجة الخاطر وقرّة العيون ويبلغ عدد سكانها زهاء ١٨٠٠٠٠ نسمة

عدنا من قصر بتي الى فندقنا وكان القصر خاتمة المتفرجات فتغذينا وشددنا الرحال الى محطة السكة الحديديّة لنسير مع القطار الاسرع «رابيد» والساعة ٢ بعد الظهر صفر بوقهُ ونهض بنا من محطة السكة فودعنا فيرنسا آملين بحسن الملتقى في ميلانو

ما ودعنا معالم فيرنسا حتّى رأينا خادم القطار ينير مصابيح الغرف وانارة المصابيح بالنهار الوضي اشارة على ظلمةٍ دامسة تجعل الليل نهارًا فعلمنا ان الطريق مفتوحة بين الجبال الرواسي واستعوذنا من الشيطان

لان المرور بين سراديب الجبال يحجب النظر عن الارتياح ببهجة الطبيعة ويزيد الطين بلة بزيارة الضيف الثقيل وهو دخان الفحم فانهُ يدخل عليك بلا استئذان وبالقوة الجبرية ولا مخرج لهُ سوى من المعبور فان قفلت بوجههِ الابواب والنوافذ دخل من ثقوب الاخشاب وخروب الابر وملأ المكان بذاتهِ الكريهة ولا يقتنع بهذا التطفل الجائر بل يلج الصدر من مدخل التنفس ولا تستطيع ان تسدّ هذا الباب فاين الفرار من كيدهِ ويراك تستقبحهُ وتنفر منهُ فيزيد الوطأة عليك ويكسوك بحلةِ الحداد تصبغ بالسواد كل من او كل ما مسّها

قطعنا عدة مراحل ونحن ننقبض آونة وننفرج اخرى نخرق ظلمة الاطواد الراسية ونخرج منها الى مروج نضيرة او وديان بهيجة حتى الساعة السادسة حينما دنونا من مدينة بولونيا فهناك انبسطت اليابسة واخضرّت الزروع ونأت عنا جبال الابنين التي كادت تزهق منا الارواح فأنسنا بمنظر هذا الروض الخصيب والساعة ٦ ونصف وقف بنا القطار عند محطة هذه البلدة الجميلة المحدقة من سائر جوانبها بالسهول الاريضة والمروج الغضّة والدِمَنْ المخضرّة وتأسفنا كل الاسف على اكترائنا اوراق السفر رأسًا لميلانو فكنّا نزلنا بهذه المدينة وتفرجنا عليها

بعد وقوفهٍ هنيهةً سار بنا القطار الى مودينا فوصلناها الساعة ٧ و٢٠ دقيقة والطريق بين البلدتين اجمل وازهى وابدع طرق ايطاليا كلها والترع تشقّ بطون السهول لتروي الاراضي فترى الزرع ناميًا على ذراعين ومودينا مثل بولونيا بلدة مهمة وكثيرة السكان وبها قصر منيف يبان من سكة الحديد والساعة ٧ و٥٠ دقيقة وصلنا الى مدينة رجيو وهي بلدة ظريفة اصغر من البلدتين السابقتين انما تضاهيهما في خضرة سهولها وغزارة ترعها ومياهها والساعة ٨ و٣٠ دقيقة بلغنا مدينة بارما الواقعة مثل اخواتها السابقة في هذا السهل الخصيب النسيج الذي ما رأينا مثلهُ في

ايطاليا والساعة ٩ و١٥ دقيقة وصلنا الى محطة مدينة بيانشنسا والسهل لا يزال متصلاً والمنظر بهيجًا والهواء نقيًّا والنسيم بليلاً . والساعة ١٠ وصلنا الى محطة لودي وقد ارخى الليل سدولهُ فحرمنا من استمرار المناظر الشايقة والساعة ١٠ ونصف دخلنا محطة ميلانو الفسيحة الارجاء الوافرة الانوار حتَّى تحسب بها الليل نهارًا ووجدنا خارج المحطة مركبات الفنادق مصطفَّة فاتفقنا مع وكيل فندق بونسو الكائن بشارع طور ينو وهو من اهمّ شوارع ميلانو والفندق نظيف ومريح وصاحبهُ ذو انس ورقة واهتمام برضى ضيوفهِ . دخلنا ميلانو ليلاً بيد ان الليل لا يوحش الغريب بهذه البلدة الباسمة الانيسة فان شوارعها فسيحة ومنارة بالنور الكهربائي المغني بتبلُّجهِ عن ضوء القمر ويمرُّ القادم من المحطة على الجنائن العمومية وعلى فسحة الدومو فتلك جنة مباح ولوجها للصالحين والطالحين وهذه افق بهيج مزدان بدراري الانوار اللامعة فيحسب الغريب نفسهُ بين الجنة والسماء والمنظر الجاذب لاول وهلة ذو تأثير بالنفوس فتظل النفس منشرحة بحلولها في المقام ولو انها لم تستزد منظرًا جديدًا خلاف ما رأت اولاً

وبحيث انشرحتُ من هذه المدينة وراق لي محيَّاها الوسيم ووجدت راحة للغريب بها انصح زائر ايطاليا ان لا يتوانى عن زيارتها وان يفضّل المصيف بها عن سواها فانها اشدُّ راحةً ووفرًا لهُ من سواها وها اني مسهبٌ لهُ عنها بعض الاسهاب تكملةً للفائدة

ذكر التاريخ ان بلوفيزو قائد الغاليين الذي غزا ايطاليا في الجيل السادس قبل المسيح هو مؤسسها وكان يدعوها اللاتين ومن بعدهم الرومان مديولانوم وفتحها الرومان بعهد القنصل مارسلو وتعيَّن الخطيب الشهير شيشرون حاكمًا عليها وهو اول من سعى في تحسينها وتوسيع نطاقها ثم في سنة ٤٨ قبل المسيح انتظمت في سلك المدن الرومانية نائلة حقوق

الوطنية وذلك بعد سيطرة يوليوس قيصر الفاتح العظيم وفي سنة ٣٧٤
صارت النصرانية شاملة سكانها فبُنيت بها كنيسة امبروجيو نسبةً الى
اسقفها وفي سنة ٤٥٢ غزاها قوم الهُن بامرة الشهير بجوره وهمجيتهِ الملك
آتيلا ففتحوا المدينة وسلبوا ما بها ثم اعقبهم الغوثيون بعد جيلٍ وجلبوا لها
الويل والدمار . فنهضت بعدئذٍ بعهد حكومة اللونغوبارديين وتقلّبت
عليها المحن والسعود حتّى سنة الالف مسيحية حينما صاغت عقد الجمهوريّة
حكومة لها وصارت تسعى للتقدم وتدفع عنها غارة الحسّاد المجاورين لها
وظلّت بعدها على هذا الحال الى ان غزاها بربروسا الشهير ودكّ حصونها
وبيوتها ولم يسلم من غيظهِ سوى قسم صغير منها وكنيسة مار امبروجيو
السابق ذكرها , فتشتّت اهلوها ايدي سبا ثم حميت بهم حرارة الوطنية
فتذكروا الاوطان ووجدوا اليها وآلوا على الكرّة اليها مستنجدين بني
جنسهم اللومبارديين الذين خافوا سوء العقبى ان توانوا عن الاخذ بناصرهم
واستحكم بينهم عقد الاتحاد اللومباردي وتمكّن سدي اللحمة فقاوموا
الامبراطور بربروسا واذلّوهُ في معمعة لنيانو فوقّع بالكره عنهُ على شروط
الصلح المعطية لومبارديا حقوق الاستقلال فعادت ميلانو الى رونقها ثم
وقع النزاع بين الشعب والاشراف ففاز الشعب ونكص الاشراف على
اعقابهم في مضمار المطامع وكان بين الاشراف رجل محبوب من الاهلين
اسمهُ حنا غاليازو ولقبوهُ باميرالفضيلة وهو اول من وضع حجر اساس
كنيسة ميلانو الشهيرة بظرفها بين كنائس العالم اعني بها الدومو وبايعوهُ
على امارة المدينة فحكم عليها بكل هناء من سنة ١٢٩٥ الى سنة ١٤٠٢ حينما
توفاهُ الله واعقبهُ آل الفيسكونتي في الحكومة الى سنة ١٤٤٧ ولم يشرق
بينهم قمر مثل امير الفضيلة وسنة ١٥٠٠ تملك لويس الثاني عشر ملك
فرنسا على ميلانو ثم فرنسيس الاول البطل الباسل غريم شارلكان ثم هذا
بعد فوزهِ على الملك فرنسيس واقطعها الى ابنهِ فليب الثاني ملك اسبانيا

وظلّت خاضعة لدولة اسبانيا الى سنة ١٧٠٠ وما نجَتْ من اظافر اسبانيا حَتَّى وقعت بين مخالب النمسا فدانت اليها سنة ١٧١٤ مع مدينة مانتوفا ودامت تأنُّ من جور الاجنبي حَتَّى قدم لها نابوليون وطرد النمساويين ووعدهم بالجمهوريّة المستقلة وظلّت عساكر فرنسا مقيمة بها ثلاث سنين حَتَّى طردتها جيوش روسيا والنمسا المتحدتين ثم عاود نابوليون الكرة سنة ١٨٠٢ وقهر النمساويين وطردهم وعيّن ميلانو عاصمة الجمهوريّة سيزالبين (اي ما وراء الالب) ثم نكث بعهد الجمهوريّة لما امتلكتْه شائبة الاثرة فصار امبراطور فرنسا وملك ايطاليا وتتوج في ميلانو بتاجها الحديدي سنة ١٨٠٥ ولما أفل نجمُ سعده سنة ١٨١٤ واعتزل مأموراً عن سدّة الامبراطوريّة الفرنساويّة والمملكة الايطالية عادت ميلانو بحكم المعاهدة الى دولة النمسا الحاكمتها سابقاً لكن أنف الاهلون من سوء حكم النمسويين وجاهروا بعدوانهم مراراً الى ان فازوا بثورتهم عليهم سنة ١٨٤٨ والجأوهم على هجر البلاد مدة اربعة اشهر لما رجعت الجنود النمسويّة بالعدد الجرّار والعدَد المتقنة واسترجعوا البلاد لسلطتهم واستطالوا في العنف فما طالت حكومتهم بحيث حميت سوْرة البلاد الايطالية بنار الوطنية التي كان ينفخ لتأججها السياسي المحنك كافور والبطل الهمام غاريبالدي والملك النبيه فيكتور عمانوئيل وكثير من كتبة ايطاليا المشهورين واخذت بناصرهم الدولة الفرنساويه وجندت جيشاً جرّاراً تحت امرة مكماهون فكانت معمعة ماجنتا التي تمخضت مدافعها فاولدت ايطاليا الجديدة

وكان لميلانو الحظ الاوفر من تقدم ايطاليا باستقلالها فانشئت بها افخر المباني الحديثة التي صيّرت ميلانو من مدن اوربا المعدودة والمدينة مبنية على ضفاف نهر اولونا ولها ترع توصلها بحيرات ايطاليا وانهرها الشمالية وهي مسوَّرة ودائرة سورها اثنا عشر كيلومتراً وعدد سكانها نيف عن ثلاثماية الف

فمن اشهر مبانيها وفسحاتها التي زرناها

ساحة الدومو وهي قطب المدينة ومحورها تحدق بها المباني الفاخرة وترتفع بها المنازل العامرة والحوانيت الزاهرة رسم هندستها المهندس منغوني وقد اجاد كل الاجادة انما خانهُ الحظ وإسقاهُ كأس حتفهِ عند ختام بناء قوس الرواق (غالريا) اذ زلقت رجلهُ فهوى مجندلاً من علٍ قتيلاً فبكاهُ قومهُ بكاءً مرًّا ونصبوا لهُ تمثالاً محل سقوطهِ تخليدًا لفضلهِ وترديدًا لذكراهُ وما اشبه ساحة الدومو وشوارع ميلانو بسواقٍ متعددة تنصبُّ بالنهر الكبير

بجانب الدومو رواق فيكتور عمانوئيل (غالريا) وهو بناءٌ اوليٌّ بالظرف بين مباني العالم باسرهِ وضع حجر زاويتهِ الملك فيكتور عمانوئيل سنة ١٨٦٥ وتمت محاسنهُ سنة ١٨٦٧ وهو نقطة اتصال بين ساحة الدومو وفسحة السكالا او التياترو ومحور اجتماع الانس نهارًا وليلاً والغريب يأنس بهِ ويألف مجاورتهِ بناؤهُ مرسوم على شكل صليب وطول البناء ١٩٥ مترًا وعلوهُ ٥٠ مترًا لقمة القبة البلورية وعرض شوارعهِ المصلبة ١٤ وقبتهُ على طول وعرض شوارعهِ مشادة من جسور حديدية والواح بلورية ونقطة التصليب مثمنة الهندام وذات قبة عالية مدوّرة و بين فسحات زوايا النقطة المصلّبة تماثيل بعض مشاهير الايطاليان مثل كافور وجيان غالياتزو ومكيافلي السياسي ومركو بولو الرحّالة وروفايل المصور وغليليو الفيلسوف ودانتي الشاعر وميكل انج النقاش وفولطا الطبيعي كذلك تجد عند ابواب الولوج والخروج تماثيل كولومبس الجغرافي الرحالة الشهير وسافونارولا الكاتب الفيلسوف وغيرها من مشاهير الايطاليان وترى فوق الباب المؤدي على ساحة الدومو ساعة كبرى مسطرًا فوق دائرتها هاته الكلمات "من الميلانيين الى فيكتور عمانوئيل" وهذا المبنى الفاخر مبلّط على نسق الفسيفساء يتخلّل البلاط رسم العلم الايطالي وراية المدينة والعلم الانكليزي لان الشركة التي باشرت البناء انكليزية وما ادهش

منظرهُ ليلاً اذ تسطع المصابيح الكهربائية وتصدح الانغام الشجية وتتلالأ الكؤوس المجلية وتميس القدود السمهريَّة وتغزل الالحاظ السامريَّة فتحسب نفسك في منازل الابراج بين الكواكب والحورُ غوادٍ روائح تهزُّ الاعطاف والمناكب

بصدر فسحة الدومو كنيسة الدومو او الكاتدرائية وهي ولا مشاحة في الطبقة الاولى بين معابد الارض ظرفًا وكياسةً وُضع اساسها سنة ١٣٨٦ وتزخرف بناؤُها سنة ١٤٩٠ وجُليت محاسنها سنة ١٨١٥ وحجارتها من المرمر الابيض داخلاً وخارجًا ولها وجه بديع المعاني يزري بمطالع الكنائس اجمع اعتنى ببهاء رونقهِ مشاهير نقاشي الايطاليان وفرغوا جعبة قرائحهم بهِ حتَّى لم يَعد في القوس منزع فبرز الوجه كامل المحاسن لا يُستزاد

طول الكنيسة ١٤٨ مترًا وعرضها ٨٧ وعلوها ٤٨ وعلو قبتها ٦٥ وعلوُّ مسلة القبة ١٠٩ امتار بناؤُها القبلي على شكل الصليب اللاتيني وتحوي عددًا وافرًا من التماثيل المرمريَّة المتقنة خلاف المايتين وخمسين تمثالاً البارزين بواجهتها الخارجية وكلها دقيقة الصنع جميلة النقش

تلجُ من الباب الكبير الاوسط فترى ٥٢ عمودًا مثمنة الهندام مرمريَّة البسها الزمان جلباب القدمية فاغبرَّ ناصع بياضها واكمدَّ لونها حتَّى يخيل للزائر انها من حجر بسيط صخري وتنظر السقف فتحسبهُ مخرَّمًا منقوشًا وما هو الاَّ مدهونًا وذلك من غريب الصناعة والبلاط معمول من الفسيفساء ومرسومة عليهِ دائرة الابراج

وترى بصدر الهيكل الاكبر تماثيل الرسل الانجيليين وخلافها من اتقن انواع النقش واغلاها قيمةً ووراءهُ الهيكل الاصغر قائم على ثمانية اعمدة نحاسية ويتضمَّن خزينةً من البلور الفاخر محفوظًا بها على ما يقال المفتاح المقدس الذي وجدتهُ الامبراطورة هيلانة في تنقيبها باراضي بيت المقدس وتجد بالكنيسة غرفة مصونة من طروق الزائرين محجوبة عن

ابصار الذين لا ينقدون الحاجب رسم الدخول وهو نصف افرنك وهي مأوى ذخائر الكنيسة منذ الجيل العاشر وبها تحف ثمينة

سبق القول ان رواق فيكتور عمانوئل موصل ساحة الدومو بفسحة السكالا فهذه الفسحة صغيرة وظريفة وقائم بها تمثال ليونردوفنسي شيخ مصوري الايطاليان وصرح البلدية والمرسح فالتمثال منتصب بوسط الفسحة وقد اقيم بها سنة ١٨٧٢ وأحيط بحديقة من الزهور علوه ٤ امتار ونصف وقاعدته من المرمر الصقيل وبزواياها الاربع تماثيل تلامذته الاربعة الذين اشتهروا بحسن الرسم مثله وهم قيصر سيستو وانطونيو بلطرافيو واندريا سلانيو ومركو اوجينو واسماءهم منقوشة فوقهم

وبني المرسح سنة ١٧٧٧ وتحسن مرارًا وتزخرف اخيرًا سنة ١٨٧٨ وهو كافي الاتساع يستطيع ضم ٣٦٠٠ شخص ضمن دائرته ومنار بالمصابيح الكهربائية وهو مخصص لتمثيل الاوبرا

نسير من فسحة السكالا بشارع اسكندر منزوني وهو من افضل شوارع ميلانو واعظمها مقامًا به البنوكة الكبيرة والمخازن الفاخرة وكثير من الفنادق والمطابخ المعتبرة ومتحف بتزولي ومنتهاه عند قوس الباب الجديد او اركو بورتانوفا الذي بني سنة ١١٧١ تذكارًا لفوز اللومبارديين على الامبراطور بربروسا وتخرج منه الى فسحة كافور حيثما نرى تمثالاً كبيرًا من النحاس ممثلاً صورة هذا السياسي العظيم اشيد له سنة ١٨٦٥ ونرى تحت التمثال تمثال امرأة تخط على قاعدة التمثال اسمه وهي كناية عن التاريخ يخلد ذكره محفورًا على صفحات النحاس

تنفتق من فسحة كافور ثلاثة شوارع احدها الى يمين التمثال وهو شارع بالسترو وباوله ازاء التمثال فندق عظيم مسمى على اسم كافور ايضًا وهو في الرتبة الاولى بين مصاف فنادق ميلانو ويطل على الجنائن العامة اما شارع برنتشبه اومبرتو (وقد فتح على اسم ولي العهد سابقًا وملك

ايطاليا حاليًا) فهو من اجلّ شوارع ميلانو واحسنها بناء وافخرها انساعًا ونظافة معدّ للسكن وليس للاشغال و يبتدئ من تمثال كافور نحو اليسار حتّى محطة السكة الحديديّة التي بناها المهندس الباريزي بونشو سنة ١٨٦٤ وهي من المحطات المعدودة في اوربا

الجنائن العامة مفتوحة للعموم وهي محور اجتماع المتنزهين الراغبين في سماع تغريد الطيور وحفيف الشجر وخرير المياه الملتمسين من اوراق الاشجار ظلاًّ وارفًا ومن نفحات الغاب نسيمًا عليلاً ومن منظر الاطفال هيئات الملائكة — هنالك تجد غابًا من الاشجار الباسقة المظلّة مزروعة على ابعاد متناسبة تتخللها الماشي وتجد بالوسط شارعًا للمركبات وثم حديقة محفوظة للمشاة و بها المياه الدافقة والازهار المتنوعة تدبج بسط الاعشاب الخضراء بالوانها الزاهية وعند طرف الغاب مسلّة من المرمر الابيض علو ثلاثة امتار بها ساعة تنبيك عن مواقيت الهواجر في سائر عواصم اوروبا الكبيرة

اعود بك من هذه الجنائن المتطرفة الى النقطة المركزيّة اعني فسحة الدومو لانقلك منها الى شارع فيكتور عمانوئل وهو من الشوارع الاولية بحسن انتظامهِ ووفرة بضائعهِ وازدحام الاقدام بهِ و ينتهي بفسحة سان بابيلا حيثما تجد عمود الاسد تذكار غلبة الميلانيين على اهل البندقية ومنها يمتد شارع فنزيا وهو عظيم الامتداد وغني بالصروح الفاخرة والقصور العامرة و ينتهي عند باب فنزيا

وان سرت من فسحة الدومو على يمينك تجد ساحه المركانتي وهي صغيرة جدًّا وبجانبها البورصة ونسير منها الى المكتبة وهي من المكاتب الجيدة تحوى ما بيني الف مجلد وقد اسّستها الامبراطورة ماريا تريذا الشهيرة فترى رسمها بالقاعة الكبرى و بالمكتبة غرفتان للقراءة احداها للعوام والثانية لخواص القرّاء الباحثين وقريب منها المرصد الفلكي بناء

الجزويت بوسكوفينش سنة ١٧٩٦ و بهِ منظار كبير من مناظير هرشل ونجد ايضًا بشارع الباب الجديد مدرسة العميان وهي معدَّة لتعليم مائة منهم و ينتهي الشارع عند الباب المدعو باسمهِ

وان عطفتَ من فسحة المركانتي على شارع كردوز يوتصل الى الشارع المدعو كورسو سمبيوني وهو من الشوارع الجديدة العريضة و بهِ ابنية جيدة و يتصل بشارع بالرمو المنتهي عند باب غاريبالدي المبني قوسهُ على اعمدة ممثلة انهر لومبارديا وفوقها كتابة مثبتة وقائع غريبالدي المهمَّة

لميلانو مقبرة فاخرة بالترب والنواويس المرمريَّة المزخرفة البديعة الصنع وتسير اليها من فسحة الدومو مارًّا بشارع مركانتي و برولتو و بونتي فتيرو وكورسو غاريبالدي والساندرو فولتا وهي حديثة العهد وتجمع شتات موتى المذاهب في احضانها حتَّى انَّ بها موقدًا لرم الماديين الراغبين بحرق موتاهم . ومن الفخر مفترجات ميلانو قوس النصر المدعو قوس السلام وتسير اليهِ عائجًا بكورسو سمبونه وساحة السلاح (بياتزا دارمي) وهذه الساحة معينة لتمرين الجنود على الحركات العسكريَّة فهي مجرٌّ عواليهم ومجرى السوابق ولا مثيل لها با لاتساع في ايطاليا طولها ٧١٢ وعرضها ٦٨٠ مترًا وترى عند اوسطها على قارعة الشارع ملعب المضمار وهو من اعظم ابنية ميلانو تأسَّس بامر الامبراطور نابوليون سنة ١٨٠٦ وحضر تدشينهُ سنة ١٨٠٧ دائرة مساحتهِ ٢٢٨ مترًا و يسع ثلاثين الف متفرج وعند آخر هذه الساحة النسيحة تجد قوس النصر المذكور وهو من بدائع الصناعة الحديثة شرع في بنائهِ سنة ١٨٠٧ بدولة نابوليون الاول وكان المقصود منهُ نقش معامع هذا البطل على الواحهِ المرمريَّة تأييدًا لنضلهِ على لومبارديا وتخليدًا لذكرهِ بينهم فلما دارت الدائرة عليهِ في موقعة واترلو وسقط شهاب سعدهِ من سماء السمو عاد النمسويون الى ميلانو وأنهوا الى مجلس البلديَّة ان ينقش على لوح النصر وقائع فشل نابوليون لاسيما موقعة

واترلو المذكورة وان يدعوا القوس قوس السلام فانصاعوا لامرهم صاغرين وتجد على ظهر قاب القوس تمثال السلام واقفًا تجرهُ ستة افراس وعلى الجوانب اربعة فرسانٍ تمثل النصر وكلها من البرونز المصبوب. قد كنت احب ان اطيل الاسهاب عن هذه المدينة الجميلة لكن اخاف الملل فقبل ختام الحديث عنها اذكر قاصدها ان يزور كنيسة مار لورنسو بطريق باب تشينزه وقد بُنيت موضع حمام الامبراطور الروماني ماسيميليانو على النسق البزنطي وتجد امام الكنيسة اثني عشر عمودًا قديمة العهد من زمن الرومان وهي من المرمر الابيض ولا تزال ناهضةً على قوائمها رغمًا عن حمل السنين تدلُّ عن اثر المعبد الذي بناهُ الامبراطور ماسيميليان لالهة الرومان وكل عمود منها مؤَلَّف من قطعتين علوها تسعة امتارٍ ونيف ونرى عند منتهى الشارع قوس باب تشينزه أُشيد سنة ١٢٢٠ ونقش عليهِ رسم العذراء جالسة بعرشها وامامها مار امبروجيو جاثيًا على قدميهِ مقدمًا لها مقاليد المدينة وخلفهُ مار لورنسو يشدُّ ازرهُ في التعبد والطاعة

احسن فنادق ميلانو اوتل ده لافيل بشارع فيتور يوعمانويل واوتل كافور بساحتهِ وغران اوتل ميلان بشارع السندرو منزوني وغران بريطانيا بشارع طورينو و بونسو بشارع طورينو ايضًا وافخر قهاويها ومطاعمها برواق فيكتور عمانويل او بجوارهِ

في ١٩ جونيو (حزيران) الساعة ٦ ونصف صباحًا نهضنا من فندق بونسو مودعين ميلانو وسرنا الى المحطة حيثما قطعنا تذاكر السفر الى لوسرنا (من سويسرا) مع قطار الساعة ٧ ونصف فانهُ يسير مستقيمًا اليها وخلافه ينقل الركاب عند كياسو او عند تخوم سويسرا فراحة المسافر تقضي عليهِ بان يركب هذا القطار ولو اضطرَّ الى القيام باكرًا

نهض بنا القطار يسير زميلاً وكان يقف كل ثلث ساعة على محطة فمررنا على بونشا وسرينو والباتي والساعة ٨ و٤٥ دقيقة وصلنا الى محطة

كومو بعد ان نظرنا بحيرتها الجميلة التي يقصدها المسافرون لحسن سمائها وطيب هوائها والساعة ٩ و٣٠ دقيقة بلغنا محطة كياسو وهي بلدة صغيرة عند التخوم والساعة ٩ و٤٠ دقيقة بلغنا محطة لوكانو من اعمال سويسرا وبلدة لوكانو المبنية على سحف رابية متصلة بالبحيرة المسماة باسمها ذات منظر بديع يأخذ بمجامع القلوب وتنفسح بهِ مضايق الصدور يؤمها المتنزهون من سائر الاقطار التماسًا للصحة من عليل نسيمها وفرارًا من قارص البرد الى اعتدال مناخها وبناؤها اشبه بمدن ايطاليا لان هذه المقاطعة لغاية طودسن غوثار ايطاليانة الاصل لغة وعوائد ولهذه البلدة محطتان الاولى بعيدة عن البلدة والثانية عبر البحيرة بجانب البلدة . اجتزنا جسرًا حديديًا فوق البحيرة ممتدًا على طول عرضها و بلغنا هذه المحطة الساعة ١٠ و٥ دقائق والساعة ١٠ و٢٥ دقيقة اشرفنا على بحيرة ماجيورة و واديها الفائق بحسن المنظر وجمال الموقع على سائر السهول والادواح التي مرّت على انظارنا في اوروبا فانهُ وادٍ تهيم بهِ النفس عشقًا وتودُّ المقام بهِ شوقًا يحرك ساكن السرور بعامل الانشراح ويضيء الباصرة من نور الطبيعة باجمل مصباح فيرقص الفؤاد طربًا على نفحات الاطيار وتتسع احداق المقل بتفتح اكمام الازهار وتنفتح ابواب الآذان بطروق خرير الماء وحفيف الاشجار ويستأنس الحسُّ بانهمال الغيث المدرار على صحفة بحيرة بمائدة دوح انصبّت عليها افواه الانهار فيتخيل الراكب نفسهُ في مقام الجنان لا في حجرة القطار وتنهض بهِ العواطف من سكون الوسن وتنطلق المخيلة من قيد الحصر مرخية الرسن فيحوم عليها من فنون الروض طائر المعاني فتمسك بهِ بدون ان تعاني ونقول

ياواديًا واقيًا من لفحة الحرِّ ومهديًا كلَّ ضيف نفحة العطرِ
تلقى النفوس بما تجد العيون بمر م آك النضير محيًا دائم البشرِ
أنتَ الجنانُ وطودُ الالبِ حاجبهُ يقابلُ الهجرَ مذ يأتيكَ بالهجرِ

فيحجب الشمس خوفًا من اشعتها ترمي سهام اللظى بالاغصن الخضرِ
لكنَّ نورها مأذونٌ لهُ وكذا الى النسيم وللانهارِ والقطرِ
تسلسل الماء في ذا الدوح منطلقًا بين الغياض على حصباء كالدرّ
وقد هوى من ذرى الاطواد منكسرًا مبيضّ لون شبيه الموج بالبحرِ
فما ارقَّ على الرقراق منظرهُ لمَّا تكسَّر قلتُ الجبر بالكسرِ
والعشب غطَّى اديم الارض مفترشًا بسطًا مدبَّجةً بالزرع والزهرِ
لله من دوحةٍ راقت محاسنها بها يزيد الفتى عمرًا على عمرِ
بها الهواء خلا من كل شائبةٍ ان مات نازلها ما نالَ من عذرِ
وقد أنستُ بمرآها ونفتُ الى فيحا طرابلسٍ والشيءِ بالذكرِ
وجدٌّ بي الوجدُ للاوطانِ منتقلاً لمرجها وربُى لبنان بالفكرِ
فغصَّ دمعي بعيني قلتُ واأسفي حتَّى الهنا ما خلا من غصةِ الدهرِ

ظللنا نهيم في هذا الوادي حتَّى الساعة ١٠ و٥٠ دقيقة اذ بلغنا محطة بلنزونا ثم الساعة ١١ ونصف بياسكا ثم الساعة ١٢ ونصف فايدو ودحاريج الماء تتدهور من شعاب الالب بيضاء كالثلج المتولدة منهُ · ثم وقفنا على محطة ايرلو الساعة ١ ونصف وعبرنا بعدها سرداب سن غوثار الشهير بكونهِ الاعجوبة من عجائب الجيل التاسع عشر واستمنا نخبط في ديجورهِ مسافة عشرين دقيقة لولا اندهاشنا بعظمة العقل البشري لحسبناها عشرين يومًا من تضييق الظلام علينا واطباق روائح الفم على صدورنا من كل الجوانب فخرجنا منهُ الى وادي محطة اوسانغ الجميل كمنتقلٍ من الجحيم الى النعيم والساعة ٢ بلغنا محطة أَرْسْتِفلْدْ ثم فَلُولِنْ ثم برونن المبنية على ضفة بحيرة والدستات وهنالك فابورات صغيرة تنقل الراغب من المسافرين الى مدينة لوسرنا المبنية مثلها على الشاطىء الشمالي من هذه البحيرة ولو علمنا من ميلانو بهذه الطريق المائية لكنا قطعنا تذاكر السفر الى برونن ومنها ركبنا متن البحيرة الى لوسرنا وتفرجنا على ضفافها البديعة المناظر ويستطيع

المسافر الراحة اذا شاء ببلدة برونن فانّ بها فنادق جميلة معدة لهذه الغاية
الساعة ٢ و ٢٥ دقيقة بلغنا محطة شويتز وهذه المقاطعة هي الاولى التي
جاهرت بالاستقلال سنة ١٢٠٨ وقاومت النمسويين محرّضة المقاطعات
المجاورة على الاقتداء بها والانضمام سويّة لخلع نيرهم عن الرقاب ولذلك
انطلق اسمها على البلاد كلها فدُعيت شويتز بالالمانية وسويس بالفرنسويّة
وينظر المسافر من المحطة جبال الريكي الشهيرة بكونها منتجع القصّاد
ومنتزه الروّاد والساعة ٤ ونصف وصلنا الى محطة لوسرن بعد ان وقفنا
على محطتي الدغولدو ورزكزوز ومتعنا الطرف بمجالي المناظر الطبيعية

لوسرن بلدة واقعة على عرض ٢٢ʹ و ١ ٢ʺ و ٤٧° شمالاً من خط
الاستوا وطول ٤٢ʹ و ٥٨ʺ و ٥° من هاجرة باريس وعدد سكانها نيف عشرين
الفًا كاثوليك المذهب مبنية على ضفة بحيرة والدستات وهي من اجمل
بحيرات سويسرا واهمها اتساعًا يخترق المدينة نهر الروس ودُعيت بهذا
الاسم نسبةً الى الفنار الذي أُقيم بها على شاطئ البحيرة ليهدي السفن
السائرة ليلاً واسمها الايطالي لوتشرنا ومعناهُ قنديل او فنار وهي جميلة
الموقع بهية المناظر كانها عروس تجلّت على الطبيعة وتطوق جيدها بعقد
الصناعة فزادت بهجةً ورونقًا يقصدها المتنزهون من سائر اقطار اوربا
فتراهم بشوارعها افواجًا افواجًا يكادون ان يفوقوا عدد سكانها الاصليين
وبها من الفنادق العظيمة النسيحة ما يضاهي الفخر قصور اوربا ويكفي
لايواء الالف من الضيوف واعظمها فندق شويترهوف المبني بازاء البحيرة
على شارع المنتزه حيثما تمشي الناس وتزدحم الاقدام حتّى تكاد تتلاطم
المناكب واهلها على غاية من الرقة والانس طبعوا او تطبعوا على حب
الهدو والسكينة والترحب بالضيوف وقد جنوا ثمرة اللطف بصيرورة
مدينتهم نقطة تحط بها الرحال وتحدى اليها الركائب فاصبح توارد الضيوف
مورد مكاسبهم ومنهل معاشهم وهي قريبة من جبل الريكي المشهور في اوربا

والعالم بحسن مناظره ونكثر بها المنتزهات وطرق السلوان كالمكتبة لاهل العلم والتياترو لذوي الفكاهة والادب وبيوت الغنا لمحبي الطرب والاكل بها هنيء والشراب مريء والشهد وافر طيب المطعم والزبدة لذيذة طازجة المخض والجعة جيدة طرية التقطير لم يشبهها منسد التخمير ويستطيع الغريب ان ينزل في افخر فنادقها آكلاً شاربًا مرتاحًا مخدومًا باثني عشر فرنكًا كل يوم فمن التمس اوربا لحسن المناخ وجودة المقام وطيب المعشر والحضر فعليهِ بقصد هذه المدينة الزاهرة

وغداة وصولنا في ٢٠ حزيران كان عيد خميس الرب وهو عيد مقدس عندهم مختص بالاحتفال فترى الحكومة والمدينة والبلديّة مشتركات في الاخذ باسباب احتفائهِ فتقام في الشوارع اقواس من اغصان الاشجار اليانعة تلتف عليها الزهور النافحة لتمرّ دورة الاحتفال من بين اقوابها وكثير من بيوت الاهلين المطلّة على شوارع الدورة تُزيّن شبابيكها وخرجاتها بالمصابيح والزهور والجنود تتقدم الاحتفال مصطفة بترتيب وامامها مدافع كبيرة تجرُّها جياد الخيل ثم يتلوهم الشعب والقسوس ويقفون عند ابواب الكنائس حيثما يُنضَّد هيكل من الزهور ويقف الاسقف مصليًا مباركًا وقد سرَّني مشهد هذا الاحتفال ودلّني على وجود التعبُّد في هذه البلاد الحرة التي هي من اشد ممالك الارض حرية للاديان

يوم الجمعة في ٢١ حزيران انتهينا من الفرجة على لوسرنا وورباها المحدقة بها المطلّة على مناظرها البديعة فودعناها والنفس تودُّ لو نمكث بها بضعة ايام نستنشق فيها النسيم العليل فتزداد الاجسام صحةً والهمم نشاطًا ولكن غادة المعرض الحسناء فتنتْ منا البصائر قبل الابصار وعشقتها الآذان قبل العيون فاستأسرت منا الخواطر واستنزفت الصبر فنهضنا من محطة لوسرنا قاصدين بال او باسل بالالمانية لان منها يسير القطار المستقيم الى باريس واقصد بالقطار المستقيم الذي لا يحتاج بهِ المسافر الى

الانتقال لسواه بل يُقِلهُ توًّا الى محط رحالهِ فخرجنا من محطة لوسرنا الساعة ١ و ٤٨ دقيقة بعد الظهر فبلغنا محطة بال الساعة ٥ تمامًا بعد ان مررنا على عدة محطات اهمها محطة أولتِن فانها كثيرة التشعبات و يقف بها القطار بضع دقائق لراحة المسافرين وتلقّي القادمين من الفروع الثانية ولما نزلنا بمحطة بال سأَلنا عن ميقات سفر الاكسبرس لباريز فأُجبنا الساعة ٩ وربع فوجدنا فرصة اربع ساعات كافية للفرجة على المدينة وتفقد مشاهدها على عجل فوضعنا عفشنا في محل الودائع بالمحطة باجرة نصف افرنك واخذنا عدده المسجّل واستأْجرنا مركبة بثلاثة افرنكات ونصف كل ساعة مشترطين على القائد ان يرينا اهمّ شوارع المدينة ومشاهدها فوجدناها بلدة ظريفة ونظيفة ذات شوارع جميلة عريضة بعضها محفوف بالاشجار يبلغ عدد سكانها ستين الفًا ثلثهم كاثوليكيون والباقي بروتستانت وهي مبنية على ضفتي الرين وتخوم المانيا على بعد مرحلة منها . مركزها مهمٌّ لتوسطهِ بين سويسرا والمانيا وفرنسا وبها عدة خطوط حديدية موصلة للممالك المذكورة ولايطاليا ولا تمرُّ بضع دقائق بدون ان ترى قطارًا داخلاً او خارجًا منها وبها تمثال ظريف من المرمر أُقيم للاربعة قواد سويسيين الذين زادوا عن حوض وطنهم وذبُّوا عن حماهم سنة ١٧٩٢ حين هجوم الجنود الفرنسوية عليهم وترى تمثال الحرية منصوبًا فوقهم حاملة لهم اكليل الشهادة والرين نهر عريض هنا يوازي تقريبًا عرض النيل زمن الصيف وبها جنائن وحدائق وينابيع وحياض وافرة والمياه بها غزيرة وارباضها رياض وغياض

وقد كانت بال في الجيل الحادي عشر اهم مدن هلفاسيا (سويسرا) ولبثت مدة مديدة مشارًا اليها في اتقان الطباعة وهي مسقط راس كثير من المشاهير بالعلوم والفنون وتوفي بها الفيلسوف اراسموس وكان ميراثها منهُ المكتبة الفاخرة الموجودة بها و يوجد بها متحف صغير جامع اثني عشر

الف نيشان من بقايا الرومان آكتشف عليها بين خرائب اوغسط بضواحي المدينة . اهلها ذوو همةٍ ونشاط واقدام على الصناعة والتجارة واشتهرت مدينتهم بصناعة المنسوجات الحريرية الدقيقة كالشرائط والكشاكس . مركزها الجغرافي على ٣٥ʹ و٣٢ʺ و٤٧° من العرض الشمالي و٢٣ʹ و١٥ʺ و٥° من الطول الشرقي عن هاجرة باريس

بعد ان شاهدنا اهم شوارع المدينة وعبرنا الرين الى الضفة الغربية منهُ وعكفنا بعودتنا على جسر آخر مكين البناء وزرنا الكنيسة الكاتدرائية والمكتبة أبنا الى المحطة وتناولنا العشاء بمطبخها المتقن وقد ازف اوان قدوم اكسبرس باريس فاستلمنا العفش من محل الوديعة Consigne وجلسنا على كراسي المحطة ننتظر ورودهُ وقبل ان ارحل عن هذه البلاد الانيسة الحرة اذكر للقاري شيئًا عن تألفها السياسي وكيف ان ثلاثة شعوب متفرقة لغةً وجنسًا ودينًا جمعتهم جامعة الالفة تحت راية العدالة والمساواة وظل الحرية الوارف حتَّى صاروا يدًا واحدةً على كل مفاجيء مغتال ولو كان مجانسًا لفرقة منهم ولا غروَ في ذلك فالحياة مع الحرية والعدالة تمكّن عُرَى الاخاء في القلوب وتشدُّ ربط القلوب في الاوطان فلا يعود اختلاف الاديان حائلاً بين تألُّف القلوب بل يصير جميع بني الاوطان اخوةً انصارًا لا عدو غريمًا لهم الاَّ المعتدي لنقض بنيان حريتهم

فسويسرا مؤلفة من ٢٢ مقاطعة او ولاية وكل منها مستقلة بادارة شؤونها وسائرها متحدات للذب عن استقلال بلادهم ودفع كل غارة يشنُّها عليهم الاجنبي ولتأييد الراحة والسكينة في البلاد ومنطوق دستورهم المسنون في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٤٨ يفيد ان حكومتهم مؤلفة من ثلاث قوى الاولى الندوة وهي مؤلفة من مجلسين المجلس الوطني او مجلس النواب ومنتخبة الامة لكل عشرين الف نسمة نائب فلكل مقاطعة نائب على الاقل ومدة نيابتهم ثلاثة اعوام وذو حقٍ بالانتخاب كلُّ بالغٍ من العمر عشرين سنة اذا كان

من بني الوطن وكلُّ منتخِبٍ منتَخَبٌ ما لم يكن من خدمة الدين

ومجلس المقاطعات مؤلف من اربعة واربعين نائبًا لكل مقاطعة نائبان ومن خصائصهِ البحث في المسائل القضائية والمحالفات والعقود مع الممالك والاخذ باسباب الامن ضدَّ العوارض الخارجية والداخلية وصون دستور الجمهوريَّة ودستور كل مقاطعة منها ومراقبة الادارة العامة والعدلية

القوة الثانية مجلس الاتحاد او القوة الاجرائية وتتألف من سبعة اعضاء تنتخبهم الندوة من بين اعضائها الى ثلاث سنين على شرط ان لا يكون اثنان منهم من مقاطعة واحدة ورئيس المجلس الاجرائي هو رئيس الجمهورية ايضًا ينتخب من بين السبعة الاعضاء لسنة واحدة ولا يجوز له ان يُنتخب سنتين متواليتين ومهام هذا المجلس ادارة الاشغال العامة وتنفيذ الشرائع المسنونة والمراسيم المقضي بها ومراقبة صوالح الجمهورية داخلاً وخارجًا وادارة المالية وتهيئة ما يلوح لها من الاصلاح لتسترخص بهِ من مجالس الندوة وهذه تبحث بهِ فان رأته مفيدًا اصدرت مرسومها بتنفيذهِ او بالعكس نبذته

القوة الثالثة المجلس القضائي ويتألف من احد عشر عضوًا تنتخبهم الندوة لثلاث سنوات ومهامهُ مثل مجلس مدني فصل الخلاف بين فرادى المقاطعات او بين الجمهورية واحدى المقاطعات و بين الحكومة والافراد ومثل مجلس جنائي الحكم بالاشتراك مع الجوري (اي القضاة غير المأجورين) على الموظفين الناكثين بذممهم والافراد الناكلين بحقوق وطنهم والتعدي على حقوق الغير والجرائم السياسية المضرة بالاوطان

ولكل مقاطعة دستور منفرد مماثل لدستور الجمهورية العام وهو ذو قوتين شوروبَّة واعضاؤها منتخبة من اهالي المقاطعة وتنفيذيَّة واعضاؤها معينة من الحكومة اي القوة الاجرائية العامة للجمهورية

وكانت فيما مضى احدى المدن الثلاث زوريك او برن او لوسرنا

مراكز للحكومة على التعاقب لكل منها سنتان متواليتان فلما سُنَّ دستور سنة ١٨٤٨ تقرَّرت برن عاصمة البلاد ومركز الحكومة

يبلغ عدد سكان سويسرا ثلاثة ملايين نسمة ثلاثة اخماسهم بروتستانت والخمسان كاثوليك وحرية الاديان تامة في هذه البلاد الحرة فترى بعض الاحايين معبدًا واحدًا يصلّي بهِ البروتستانت والكاثوليك على التعاقب فيالله ما اجمل الحلم الديني واقبح شيطان الترفض

ونظامها العسكري سهل للغاية فكل بالغ من العمر عشرين حولاً يُعَدُّ جنديًا ويضطرُّ الى حمل السلاح وتزمُّل الكساء المختص بمقاطعتهِ وينضمُّ الى فرقة منها وكل مقاطعةٍ مسئولة في تجهيز فرقة اوان الحرب

ويتألف جيشها من الجند النظامي المؤلف من كل رجل بالغ من العمر بين ٢٠ و٣٤ عامًا ويوازى ٣ بالماية من عدد سكانها والجند الاحتياطي المؤلف من كل بالغ ٣٤ الى ٤٠ عامًا ويوازي ١ ونصف بالماية ثم من الاندهور او كل رجل غير خادم في الجيشين السابقين وقادر على حمل السلاح غير مجاوز الرابعة والاربعين من عمرهِ فيكون جيش سويسرا مؤلفًا من نحو مايتي الف مقاتل تقوم بنفقتها المقاطعات بالنسبة الى عدد سكانها وثروتها

الساعة ٩ وصل اكسبرس باريز فحللنا بهِ ونهض بنا الساعة ٩ وربع تمامًا ولا استطيع وصف مناظر شرقي فرنسا فقد ارخى الليل ذوائبهُ وحال دون ما اتمنّاه حاجبًا نظري عن وجه البطاح التي كنا نجتازها وكم تمنيتُ لو كانت الليلة مقمرة لنتمتع بالمناظر البهيجة ولما وجدت ان لا فائدة من السهر وانعم علينا الحظ بالانفراد في الحجرة توكأتُ على المسند واستسلمتُ طوعًا لسلطان الوسن وهيهات ان تغفي العيون فان صفير الالة البخارية وصياح الركبان عند كل محطة يُفرّقُ ما بين الجفن والوسن. واهم المحطات التي مررنا بها محطة بلفور وهي حصن منيع ومعقل فرد اعتنت فرنسا في

تشييد استحكاماتهِ وتمكين اسوارهِ منذ بلائها في سنة ١٨٧٠ وخسارها الحصنين المنيعين اللذين كانا يحميان حماها من غارة الاعداء اعني بهما متس وستراسبورج

وليعلم القارئ انهُ مضطرٌ للنزول عند مدينة دِلّ نقطة التخوم الفرنسويّة جهة سويسرا ويقودهُ خدمة القطار الى الجمرك بجانب المحطة حيثما يفتش عفشهُ فان وجد معهُ دخان او خمور واشربة روحية يحجز عليها ويدفع رسومها وبعد التفتيش يحمل كلٌّ عفشهُ ويعود بهِ الى حجرتهِ فيقتضي عليهِ أن ينتبه الى نمرة حجرتهِ وان يستعد لحمل عفشهِ بحيث لا يجد حمالاً بالليل

الساعة ٥ بعد نصف الليل انشق جيب الغلس عن طلعة الفجر وتجلّتْ عروس الصباح من خدر الظلام فجلسنا قعودًا وفتحنا النوافذ نطلُّ منها على السهول وكانت اكثرها مزروعة قمحًا يتخللها بعض الغاب والاحراش او مداخن المعامل مما يدلُّ الناظر على ان فرنسا بلاد زراعية صناعية . والساعة ٦ ونصف من صباح ٢٢ حزيران وصلنا الى محطة باريس الشرقية

قلت محطة باريس الشرقية لانّ لباريس ست محطات يحلُّ بها القادم اليها وتنسب المحطة للشراكة التابعة لها فالسكة الحديدية الشرقية التي قدمنا بها محطتها في فسحة ستراسبورغ والسكة الحديدية الغربية في شارع سن لازار (ولها محطة اخرى على الضفة اليسرى من السين) وسكة حديد اورليان محطتها في بولفار الاوبيتال ورصيف اوسترليتز وسكة حديد ليون محطتها في بولفار ديدرو وسكة حديد الشمال محطتها في فسحة روبكس وشارع دنكرك

فاول واجب مفروض على قادم باريس بعد خروجهِ من حجرة السكة ان يسير توًّا الى قاعة التفتيش بالمحطة ويحمل لهُ الامتعة حمّالون

مسجلون وخدمة التفتيش ارقاء الطبع ذوو ادب ولطف مع الغريب لا يسومونهُ ان يتجشم مشقة فتح سائر العفش فيفتحون صندوقًا او جرابًا ويعتمدون على صدقهِ في الباقي سائلينهُ أَمعك دخانٌ او اشربة روحية . والقادم مسئول في الصدق فان كذب فهو جانٍ وعليهِ ان يبلّغ ما معهُ من الدخان او الخمور ان كان حاملاً منها فيدفع الرسم و يذهب بسلام و بعد التفتيش يسير الحمّال با لامتعة الى خارج المحطة حيثما يجد مركبات الاجرة ومركبات الامنيبوس مصطفّة بنظام وترتيب فيركب مركبة بدون ان يسومها الاجرة لانها معرَّفة من الحكومة ومطبوعة على كاغد بجملة السائق فعلى المسافر ان يطلب الكاغد و يحاسب بموجب التعريفة مع زيادة ربع افرنك تكرمًا معتادًا في باريس ولكنهُ اختياري ثم يدفع للحمال اجرتهُ نحو افرنك و يسير الى الفندق الذي هو قاصدهُ

والفنادق في باريس عديدة من طبقات مختلفة با لاتساع والكلفة فاذكر للقارىء بعضًا منها من طبقات مختلفة الاجرة ليقصد الفندق المناسب لاستعدادهِ من المصروف والقرب من محور مقصدهِ واكثر الفنادق مبنية في سرّة باريس الكائنة بين شوارع ريفولي ومونمارتر وشاتودن وسن لازار وملزرب وروبال فان هذه النقطة قطب دائرة باريس وعليها تدور رحى الاجتماع . وها اهم الفنادق

اربعة من الطبقة العليا وهي اوتل كونتيننتال بشارع قسطيليونه وريفولي و يطل على جنة التويلري المبني بازائها والغران اوتل في بولفار الكبوسين ومن ملحقاتهِ اوتل سكريب بجانبهِ وغران اوتل دي لوفر بشارع ريفولي بجانب فسحة البالي رويال (سرايا الملك) واوتل ترمينوس بازاء محطة سن لازار ولكل منها مرقاة (اسنسور) ونحو ستماية غرفة وقاعات فسيحة للمائدة وللاستحمام وللحديث وللقراءة والاجور تختلف من خمسة الى عشرين افرنكًا للمنامة فقط بحسب موقع الغرفة و يستعلم النازل عن ذلك

في غرفة الادارة بمدخل الاوتل و يتلو هذه الفنادق العليا الفنادق التالية وهي من طبقة اولية أوتل ر يفولي نمرة ٢٠٢ شارع ريفولي اوتل جاردِن التويلري نمرة ٢٠٦ اوتل و يندسور نمرة ٢٢٦ وكلها بشارع ريفولي

و يوجد بشارع سنت أونوره غران اوتل سنت جمس نمرة ٢١١ واوتل شوازل نمرة ٢٤١ واوتل ده باد في بولفار الايطاليان و بشارع قسطيليونه اوتل بلموزال نمرة ٤ واوتل ده لندرا نمرة ٥ واوتل قسطيليونه نمرة ١٢ و بفسحة ڤندوم اوتل بريستول نمرة ٣و٥ واوتل فندوم نمرة ١ و بشارع لابي (السلام) اوتل ميرابو نمرة ٨ واوتل وستمينستر نمرة ١١ و١٣ وبفسحة البورصة اوتل كلبز نمرة ١٣

ومن الفنادق المعتبرة ايضًا اوتل بلڤو نمرة ٣٩ (المنظر الجميل) واوتل ده دومُند نمرة ٣٢ (منزل العالمين) وكلاهما بزقاق الاوبرا واوتل كالي نمرة ٥ بشارع الكبوسين واوتل ڤالو بشارع ريشيليو واوتل فراسكاتي نمرة ٤١ و٤٢ بشارع فيڤيان وغران اوتل دانكلترا نمرة ٥٦ بشارع مونمارتر واوتل ميرومسنيل نمرة ٤١ في بولفار ملزرب واوتل ده دانوب نمرة ١١ بشارع ريشبانس واوتل سنبطرسبرج نمرة ٣٣ و٣٥ بشارع كومارتين واوتل آتينه نمرة ١٥ بشارع سكريب وغران اوتل ده لانيڤا نمرة ٩ بشارع مونسيني وغران اوتل ده فرانس ودالجيري (الجزائر) نمره ١١٢ في بولفار سباستابول وغران اوتل سنترال نمرة ٥٦ بشارع لافيت واوتل سوفرِن بزقاق شانزا ليزا نمرة ٧١

والاجور بهذه الفنادق تتفاوت من اثني عشر الى عشرين افرنكًا باليوم اكلاً ومنامةً وخدمة بحسب ظروف الزمان والمكان و يستطيع الغريب ان يستأجر غرفة للمنامة با لاوتل و يأكل حيث يشاء والاوفق له ان يتفق مع مدبر الاوتل بحال وصوله عن الاجرة سواء عن المنامة وحدها او عنها مع الاكل والخدمة وان تغافل عن ذلك وترك نفسه لرحمة

مدبر الحساب فيكون الجاني على نفسهِ بما يناله من الغبن سواء في باريس او في غيرها من فنادق الدنيا

فنحن ركبنا عربةً بعد خروجنا من محطة باريس وقصدنا اوتل سنبطرسبرج نمرة ٢٢ و ٢٤ بشارع كومارتين بحيث اوصانا عليهِ اخي تيدور الذي نزل بهِ بالمعرض السابق واثنى على حسن ادارتهِ وجوارهِ من محور الاجتماع فلما وصلنا اليهِ ذهبت توًّا الى غرفة الادارة وعلمت بكدر انهُ غاصٌّ لا غرفة بهِ خالية ولامني المدبر على حضوري مع عائلتي الى باريس بمثل هذا الظرف بدون ان اكاتب سابقًا احد الفنادق وارتبط معهُ على محل معين ليوم حضوري ووعدني ان يدبر لي محلاً عندهُ بعد يومين اذا لم اجد مقامًا مناسبًا لراحتي فعدت الى المركبة وطفقنا نجول في شوارع باريس ونبحث عن مقام بادئين من غران اوتل فما وجدنا سوى غرف عالية الطبقات تزهق بها الارواح او ضيقة لامطلّ لها اعرض عنها الزوار فعدنا الى اوتل سنبطرسبرج راجينهُ ان يهدينا محلاً موقتًا بجوارهِ الى حين براح بعض ضيوفهِ فتخلّ محلهم فدلّنا على اوتل ديجون بجانبهِ من الفنادق الثانوية وصاحبهُ انكليزي فوجدناهُ خاصًّا بالانكليز وليس بهِ سوى غرفتين خاليتين غير مطلتين على الشارع والاجرة اربعة عشر افرنكًا يوميًّا عن كل منا فقبلنا وحللنا بهِ حلولاً موقتًا

ثم سرت مع اخي بعد الاستحمام بحمام الاوتل وتغيير الثياب الى مركز البوسطة العام بشارع اللوفر نسأل من خادم الرسائل المحفوظة (Rostes restantes) عما اذا كان لنا رسائل فوجدنا كُتبًا من العائلة باسكندرية وسررنا بها جدًّا لانها كانت محجوبة عنا منذ السفر ثم اعطينا الموظف المذكور عنوان فندقنا واسماءنا وكتبنا تحتها « اننا نرجو ادارة البوسطة بارسال كل التحارير والرسائل الواردة لنا الى فندق ديجون بشارع كومارتين » وامضينا على الكتابة وسلمناهُ الرقعة فقال لنا بلطف

واينا س اذا غيرتم المقام لفندق آخر فارجوكم ان تخبروني وتحضروا لتغيير هذه الرقعة فتصل لكم الرسائل الى حيث تشاؤون فعدنا الى فندقنا ولسان الشكر يردّد الثناء عليهِ وعلى حسن ترتيب الحكومة الفرنسوية

تناولنا الغذاء وارتحنا من عناء السفر الى الساعة الرابعة بعد الظهر فنزلنا من فندقنا نتمشى وبيدنا خارطة باريس منصّلة شوارعها وازقتها وفسحاتها وقصورها واهم منترجاتها وهي خير دليلٍ للغريب يعتصم بها عن الضلال ويستغني بمصباحها عن عكر الغربة وضرورة التسآل وبحيث وجدنا بها (Blace de la Concorde) قريبةً من فندقنا وهي اشهر من ان تذكر قصدناها فمررنا في بولفار الكبوسين وبولفار المدلين حتّى انتهينا الى كنيسة المدلين باخر البولفار المذكور وهي من الكنائس المهمة في باريس وكانت مفتوحة الابواب فولجناها مبنية من الخارج على النسق اليوناني فلها رواق محيط بها ومشاد على ٥٢ عمودًا يتخللها نقوش تماثيل وابوابها من البرونز وطولها ثمانون مترًا وعرضها خمسة وعشرون وعلوها ثلاثون وضع اساسها لويس الرابع عشر ونابت عنهُ صديقتهُ مداموازل مونبسيه في الحفلة لكن صروف الزمان حالت دون اتمام امانيها فما كاد يتمّ بناؤُها الاّ في زمن نابوليون الذي رغب في تحويلها الى بيت مجد لعظمتهِ آمرًا باتمام بناءها لهذا القصد وان توضع بها الواح ذهبية تسطر عليها حوادث ملكهِ وغزواتهِ واسماء الشجعان من جيشهِ فلما نُكِبَ ودالت دولتهُ امرت ملوك البوربون المعقبة لهُ بنسخ مشروعهِ واعادتها الى مقصدها الاوّل فظلّت كنيسة الى يومنا وبها عدد وافر من الصور البديعة رسم مشاهير هذا الجيل من الفرنسويين

خرجنا منها الى شارع رويال المنصب في فسحة الكونكورد وهي بهجة للعيون ونزهة للخاطر تحفّ بها الحدائق الغنّاء والصروح الشمّاء وتنور من انابيبها المياه بيضاء كاللجين وتنصب مزبدة في ثلاثة حياض تسرُّ الخاطر

والعين حسنة القوام بديعة الهندام يتوسطها مسلة مصرية مربعة الاضلاع شمخت بعلوها فنافستها غيرةً مياه الانابيب بالارتفاع فيقودك الخاطر بالطبع الى المسلّة فتجدها قد حلّت من ربوع الارض في ابهج حلّة ولا غروَ فالفرنسيس مشهورون في كرم الوفادة وتطبعوا على الظرف فالبسوا نحر كل عملٍ خير قلادة . تنظر الى المسلة فتراها مجلية واضحة النقوش الهيروغليفية كانها عروس وهي عجوز قاومت الزمان فعفنا سواها وسلمت من نكباته بلا طموس وتجد خلفها امامك جنة تويلري واشجارها الباسقة ويسراك الصروح الجميلة والقصور الشاهقة ويمناك نهر السين ساكنًا وبهِ تتحرك القوارب والزوارق حشدت بها آلاف من الخلائق ثم تُدبر المسلّة وتنظر بازائها عند اقصى مدى البصر قوس نصر شاهق البنيان ناطح برأسهِ السحاب وقام في الارض بين الجنان وما بين القوس والمسلّة شارع فسيح الرحاب واسع الجناب حشدت بهِ المركبات تباعًا ادراكًا فتحسبها واقفة وهي جارية تحجب الطريق بكثرتها بين رائحة وغادية وعلى جوانب الطريق من القوس الى المسلة اشجار متسلسلة وازهار متصلة تنوح عرف الطيّب فتنعش الابدان وتقصدها الغيد للنزهة والاطفال للرياضة فتحسب نفسك في الجنان بين الحور والولدان ويقرب يقينك من هذا الحسبان الاسم المطلق على هذا الشارع والمكان فانهُ الشانزليزه اي الجنان في معتقد قدماء اليونان وبالحقيقة لقد طابق الاسم المسمّى وتفرّد في الشهرة لانهُ كل حسنٍ عمّ وبهِ

ثلاثة تجلو عن القلبِ الحزن الخضرة والماء والشكل الحسن

وبعد ان تمشينا نحو ساعة في جنان الشانزليزه عدنا على الاعقاب الى الاوتيل وقد دنا وقت العشاء وبعودتي على فسحة الكونكورد تذكرت ان هذه الفسحة البديعة بالحسن كانت بالجيل السابق ابّان الثورة محور اجتماع الشعب وقيام الشغب ولذلك لقبت باثناءها فسحة الثورة وبها قضى نحبهُ

لويس السادس عشر قتيلاً بامر رجال الثورة وقد شُيِّد حول دائرة الفسحة على ابعاد متساوية متوازية ثماني قواعد تعلوها ثمانية تماثيل فتيات مكلَّلات ممثلات ثماني مدن فرنسا الكبيرة واحداها (ستراسبورج) محفوفة بشعار الحداد من اكاليل وشرائط سود وعلى القاعدة كتابات مؤثرة بالنفوس توقظ في انفس الفرنسيس راقد الحزن على فقدها ويخالها القارئ على هذه الحالة قبر صبيَّة غيداء والكتابة ضريح لها

تناولنا العشاء الساعة ٦ مساء وبعد الراحة قليلاً قمنا نمشي في سلسلة البولغارات المشهورة بادئين من بولفار المَدْلِنْ لجوارهِ من فندقنا وجنح الليل قد سدل فسطع النور الكهربائي يشق كبد الظلام بسهامهِ ويمزق سترهُ فتبلج صباح الليل خاليًا من لظى الشمس وما ابهاه فسبحان خالق الانسان اذ اقربهِ عقلاً لا غرو انهُ جزء من القوة الفاكرة المبدعة للوجود كما ورد في نصوص الكتب الشريفة ان المبدع خلق الانسان على شكلهِ وكلما تقدم الانسان في المعرفة وجدَّ في سبيل العلم وتعب في العلوم الطبيعية وحاول كشف اسرارها الغامضة فلا شك يقرب من خالقهِ بهذا العمل اكثر من الف لاهوتي يقضون اناء الليل واطراف النهار مجهدين القرائح ومستنزفين الافكار في جدلٍ مؤدٍ الى البغضاء وتعنيف مفضٍ الى شحناء فاديسون مخترع الكهربائية علا عن امثالهِ وقرب من الخالق منفردًا اكثر من مجموع لاهوتيي الارض فمن احبَّ خالقهُ ورام القرب منهُ فليتعلَّم والله يحبهُ ويكافئهُ بكشف اسرار عظمتهِ عليهِ

بولفارات باريس من المدلن حتَّى مونمارتر وان شئت قل حتَّى ساحة الجمهوريَّة فريدة في بابها بل درة في تاج باريس وغرة في جبينها فهي الاولى بالارض من حيث اتساعها وامتدادها وحسن اتساقها واتقان مبانيها وحوانيتها واصطفاف اشجارها ودوام اخضرارها وازدحام الاقدام واحتشاد ذوي الانس بها ووفرة قهاويها الفاخرة واتصال اسباب الحسن

ودواعي السرور فتمشينا بها نحو ساعة وانظارنا لا يقر لها قرار تخطف من مكان الى مكان بجاذبية الاستحسان واقدامنا نسير الهوينا مخافة التطام المناكب من احتشاد الخلق ونعدو بسرعة عند فواصل الارصفة ومعابير الطرق مخافة ان سيل المركبات المندفق بها يجرفنا و يسقينا كأس البلوى واجتزنا بولفار المدلن والكبوسين والايطاليان ومونمارتر و بواسونيار و بون نوفل وسن دنيس وسن مارتين وكلها سلسلة متصلة الحلقات على نسق واحد ونظرنا في البولفارين الاخيرين قوسي نصر مشادين في الجيل السابع عشر الى لويس الرابع عشر المعروف بلويس الكبير كما تجدهُ منقوشاً فوق عقد القوس مع صورتهِ بهيئة هرقل وتحتهُ رجل ذليل اشارة عن نهر الرين كيف ذلَّ لهُ فشنَّ الغارة على المانيا و يقابل الرجل الذليل امرأة كئيبة عبارة عن ذلة هولاندا واسنها على نكبتها في حربهِ

بعد ان تفرجنا على هذين القوسين ركبنا عربة وعدنا للراحة في احدى قهاوي بولفار الكبوسين لانها وقهاوي بولفار الايطاليان نقطة اجتماع الغرباء فمررنا بعودتنا على الاوبرا فوجدناها جديرة بالشهرة والانوار امامها نسطع كالكواكب فجلسنا بجانبها على قارعة البولفار في قهوة لابي (السلام) وهي من اتقن قهاوي باريس واوفرها ازدحاماً لانها سرَّة في جسم البلد والاوبرا قطب الليل عليها يدور محور الاجتماع واليها تنجذب كواكب الجمال و بها تسطع نجوم البهاء فيجلس الغريب بالقهوة و يستأنس بحركة الوجود ومرور الشارد والوارد و يرى بالعيان ما يسمعهُ بالآذان فيقول بلسان الافتتان

دع ما سمعت فما راءٍ كمن سمعا	واغبط الناس من روض الهنا انتجعا
وافضل الارض مثوى بلدة جمعت	اشتات حسن فسرْ وارحلْ لها سَرعا
تنظرْ جيوش الورى بالبشر ظافرةً	مهتزةً ولواء الانسِ مرتفِعا
الى مقام سلامٍ تحو جالسةً	على موائدهِ تحسو الهنا جرَعَا

تحيط فيهِ من الانوار كوكبةٌ كواكب الافق امست بينها شمعا
يحكي الجنانَ تمرُّ الحور فيهِ وقد أزرتْ ببدر السما فاصفرَّ وامتقعا
وان رنوتَ الى الولدان خلتَهُمُ ملائكًا هبطتْ كي تُدهشَ الجُمُعا
للانس قد خلقوا بالبشر قد رُزقوا بالظرف قد عَلِقوا قد مثّلوا الورعا
لهم قلوبٌ خَلَتْ من كل شائبةٍ وفي الجباه مثال الحب قد طَبعا
إن لم تَصِرْ طيةُ الانسان شبههمُ فلا اشتباه من الرضوان قد منِعا

عند منتصف الليل نهضنا من قهوة السلام وعُدنا الى فندقنا عاقدين العزم ان ننتقل في الغداة الى فندق شارع ريشبنس الذي ارتبطنا معهُ لما قنطنا من فندق سن بطرسبرج فنهضنا صباح ٢٢ حزيران وحاسبنا صاحب فندق ديجون وكنا ابلغناهُ عن عزمنا على الانتقال قبل يوم وحللنا بفندق شارع ريشبنس وكان بعض النزلاء بهِ متفقين مع صاحب الفندق على الغذاء الساعة ٩ و٤٥ دقيقة صباحًا والعشاء الساعة ٦ وربع مساء تخيرًا لاحسن الاوقات المستطاع زيارة المعرض بها فاستصوبنا رأيهم وقبلنا باتفاقهم لاننا نستطيع على هذا المنوال تمضية ثماني ساعات متوالية بالمعرض للفرجة ونقتصد نفقات نحن في غنى عنها فلولاً الذهاب الى المعرض قبل الساعة ١٠ صباحًا وبعد الساعة ٦ مساء يضاعف رسم الولوج بهِ ويضطر ان يدفع الداخل افرنكين عوضًا عن افرنك واحد وثم الوقت بهِ ضيق لا يكفي الفرجة وكنا نضطر ان نأكل بالمعرض وندفع قيم الاكل فيهِ وفي الفندق معًا فاتفاقنا بتعيين الساعات الموافقة لزيارة المعرض رفع عنا هذا الوقر وكان الاجدر بنا عدم الاتفاق مع صاحب الفندق على الاكل والشرب والمنامة والاولى لنزيل باريس ان ينام في الفندق فقط ويأكل حيثما يتفرج ومتى حضتهُ الشهوة للطعام

في ٢٣ حزيران خرجنا الساعة ٨ ونصف صباحًا من الاوتل لنتفرج على عمود فندوم المجاور لفندقنا فسرنا من شارع ريشبنس الى شارع اونوره

وعطفنا بهِ شمالاً الى ان اطلينا على شارع كستيليونه وفسحة فندوم فاجتزنا النسحة ودنونا من العمود وقد دعيت النسحة بهذا الاسم نسبةً الى صرح فندوم القديم التي مهدت مكانهُ وهي متبطنة بين شارعي كستيليونه ولابي - والبناء حواليها متوازٍ حسن الهندام شادهُ المهندس منسار يتوسط النسحة العمود الشهير الشاهق وعلوهُ ٤٤ متر وثلاثة ارباع مصبوب من البرونز صنع دينون ولابر وقد أُخذ نحاسهُ من الف ومايتين مدفعاً غنمها نابوليون الكبير من اسلاب معامعهِ مع الروس والنمساويين والبروسيين وهو مبروم الشكل لولبي الهندام نقشت على الواحهِ الخارجية وقائع نابوليون في سنة ١٨٠٥ وهو مركَّبٌ من ٤٢٠ لوحاً منقوشة ملتفّة حول ما ذنة مبنية من الاحجار مجوَّفة ذات سلَّم بماية وست وسبعين درجة توصل راقيها الى قُنتهِ المربَّعة قائماً عليها تمثال نابوليون بزي قيصر روماني صُنع في غضون دولة ابن اخيهِ نابوليون الثالث بديلاً من تمثالهِ السابق الذي صُنع اثناء الحكومة الجمهوريّة الثانية فانهُ كان مشخَّصاً بلباسٍ فرنسوي وطني وهذا ايضاً قام بديلاً عن تمثالهِ الاول الذي اصطنعهُ في ابَّان حياتهِ لكن لما دالت دولتهُ سنة ١٨١٤ حطَّم تمثالهُ ملوك البوربون وصبُّوا منهُ تمثال هنري الرابع القائم حالاً فوق احد جسور السين في باريس المدعو بون نف وكم تقلبت الاحوال على هذا التمثال فانهُ ينقلب كلما انقلبت الهيئة الحاكمة في فرنسا وفي بدء هذه الجمهوريّة هجم عليهِ الكمون سنة ١٨٧١ وقلبوا العمود مع التمثال وبقي الى سنة ١٨٧٤ لما سكنت خوافق فرنسا وقرَّ بها الامن فعاد العمود منتصباً على قواعدهِ كما كان في زمن نابوليون الثالث والعمود باسرهِ شبيه بعمود طرايانوس في رومية فكانهُ نسخة ثانية منهُ

عدنا من العمود في شارع لابي مجتازين شارع كبوسين ثم بولفار المدلن وشارع ريشبنس وتناولنا الغذاء وبعد الراحة هنيهةً ركبنا الساعة ١٠ ونصف عربة قاصدين المعرض ولهُ ٢٢ باباً فأممنا الباب الاهم والادنى

لنندفنا مجتازين فسحة لاكونكورد المار ذكرها ثم رصيف السين المسمَّى رصيف الكونفرنس وهو واسع الجنبات محفوف بالاشجار متصل بشارع كورلارن على طولهِ فترى عن يمينك اشجار جنائن سانزليزه وعن يسارك مجرى السين حَتَّى تصل الى جسر الماء فتعبرهُ الى الضفة الثانية من السين وتمر على رصيف أرسي حَتَّى نصل الى مقربة من جسر يانا فهناك تجد باب المعرض المدعو باب الماء فترجلنا من العربة وكنا بالطريق اشترينا اوراق الدخول من اناس حامليها ينادون عليها وقد اشترينا التذكرة الواحدة بنصف افرنك اي نصف قيمتها وربما تتعجب ايها القارئ العزيز كيف ان قيمة التذكرة افرنك ويبيعها مالكها بنصف القيمة مع ازدحام الناس على منهل المعرض العذب فاخبرك ان الحكومة الفرنسوية اصدرت ملايين من هذه التذاكر مخوّلة لكل حامل سند بخمس وعشرين تذكرة الحقَّ بعددٍ مجاني (نمرة) من اعداد يانصيب المعرض فان كان صاحب حظٍ كسب نمرةً رابحةً وبعض النمر الرابحة ذات قيم ثمينة اعظمها خمسماية الف فرنك فكان الفرنسوي يشتري سندًا بخمس وعشرين تذكرة وذي نمرة مجانية فيبيع التذاكر بنصف قيمتها ويحفظ سند النمرة آملاً بكسب نمرة رابحة

ولجنا باب المعرض بعد ان سلمنا تذاكر الدخول لحاجب الباب واجتزنا مسافة صغيرة فوجدنا انفسنا يمنةً امام جسر يانا ويسرةً لدى جسر خشبي مصنوع ضمن المعرض لينقل المتفرج الى قسم التروكادرو وجسر يانا موصلٌ الى الشان ده مارس مقام المعرض وبحيث ان المعرض الحالي مقسوم بحسب موقعهِ الى ثلاثة اقسام : الشان ده مارس والانفاليد والتروكادرو وهمزة الوصل بين الثلاثة حروف هي الشان ده مارس فضلنا الابتداء بالفرجة بهِ وبالاخص لانهُ الاهم فعبرنا جسر يانا المؤدي الى فسحة شان ده مارس وهي ساحة فسيحة تختلف اليها الجموع اوان الحشد

كـفي زمان الثورة وتستخدمها الجنود حومة للتمرن العسكري مدة السلم يحدها غربًا نهر السين وشرقًا زقاق لاموت فالمدرسة الحربية وشمالاً زقاق لابوردونه وجنوبًا زقاق سفرن شُيّد في صدرها الشرقي من السين قصر الصنائع بقبّتهِ المذهبة بردفهِ رواق الالات الزجاجي وقد اشتملا على نموذجاتٍ من صنائع الامم وآلاتها · والنصر برواقهِ ومخذيهِ المتصلين بهِ شامل نصف الفسحة ويتبطّن مخذيهِ بناءآن لمدينة باريس حاويان عِدَد البلدية وجهازها من معدّات الراحة لساكنيها وقد بُنيا متوازيين حوالي نوفرة جميلة تنصب مياهها من حوضها الى قناة متصلة بالبركة الكبرى المتبطنة بين حديقتين من العشب الاخضر المفترش حواليها كالطنافس وبردف الحديقتين يمنةً ويسرةً صرحان متوازيان شكلاً وحجمًا شُيدا لايعاء بدائع الفنون الجميلة وسائر الفنون ثم النوفرة مع البركة الآنف ذكراها المدعوتان الينابيع المضيئة كما سيجيء بك وتمتد الحديقتان المذكورتان حتى قائمتي برج ايفل الجنوبية والشرقية متحرشة بين منفرج قوائمهِ الاربع تتخللها بركة مدورة وعلى جانبي البرج حياض ورياض يردف الجانب الايمن منها صروح الجمهوريات الاميركية ومطاهٍ وملاهٍ والجانب الايسر معمل الغاز فمقطع الماس فادارة التلفون فمراسح وحانات ويداني قائمتي البرج الرابضتين ازاء النهر معمل تبغ يسارًا وصرح ترعة السويس يمينًا وتتصل بينهما وبين سلسلة ابنية العمران الانساني سكة حديد ديكوفيل الموصلة الى الانفاليد وابنية العمران هي اول ما يكتنف الداخل الى فسحة مارس من جسر يانا

ها وصف اجمالي لطلعة معرض شان ده مارس من مدخل يانا واليك التفصيل

ابنية العمران الانساني

شادها على ضفة السين ضمن دائرة المعرض المهندس غارنيه وهي

سلسلة ابنية متناسقة الحلقات اراد واضعها برسمها بيان تاريخ العمران بالنظر المحسوس وبذل كنانة وسعهِ لتطبيق الرسم على الاصل التاريخي ومفاد النصوص المنقولة منذ احتاج المرء للالتجاء الى كنٍّ يأويهِ من حرّ الشمس وقرّ الليل ويقيهِ من فتك الكواسر والضواري حتّى اوقد نيرتهُ مصباح العلم على قنة برج ايفل فيالهُ من مشهد يتمُّ فيهِ الطباق بين كهف الانسان الاول يدانيهِ البرجُ الحديدي الهائل - هنالك طباق الحقارة والعظمة

تبتدئُ السلسلة بكهف الجيل الاول من الخلق وهو مغار قوّرتهُ الطبيعة في بطن الصخر فآوى اليهِ الانسان غير مصلحٍ بهِ شيئاً شبه العجماوات يتلوهُ كوخ عصر الرنّة فخصُّ العصر النحاسي والحديدي

ولما لم يجد الانسان راحةً في الاكواخ والخصاص لعجزها عن دفع طوارئ الجوّ وطوارق الحدثان قدح زناد الفكرة لوقاية الذات فهدتهُ شعلتها الى سواء السبيل وابتدع البناء بترميم الطين والحجر والسقف بالاخشاب وظل يرقى في مدارج التحسين حتّى زمن المصريين وهنا تردف صروح التمدن خصاص التوحش

البناء المصري قائم على اعمدة ظريفة ومسقوف ومدهون بالوان وضية يدانيهِ بناء اشوري ثم فينيقي تتخلل الثلاث خيام البدو الذين أَلِفوا التأبُّد وأَنِفوا من التحضُّر . بناء العبرانيين شديد الشبه في بناء المصريين ولا غرو فانهم اخذوا العلم عنهم

الى جانب العبرانيين بناء الاتروريين والبلاسج ثم الهنود والفرس في زمن دارة وهذا مبني من الطوب المدهون تقليد الموجود في متحف اللوفر المأخوذ عن ردم نينوى وبابل . والفرس اول من بنوا البيوت المقببة وقد ابى المهندس ان يدني صرحهم من صرح اليونان لئلاّ تثور بينهم ثائرة الضغائن فاقام فاصلاً بينهما اكواخ الجرمن والغوليين القدماء . اما الصرح

اليوناني فغاية في الدقة كانهُ بني في عهد بريكلس وكذلك بناء الرومان كانهُ شيد على رُبى رومية في عهد القياصرة

يتلو ذلك على الضفة اليمنى من برج آفل بيت خشبي وامامهُ قارب شبه بيوت الصيادين في بلاد نروج بالاعصر الخالية ثم امثلة البناء الروماني والغوطي حتَّى عهد النهضة الاوربية في ايطاليا واوربا ثم بيت حقير صقلبي بناؤُهُ تقليد البناء البزنطي ولكن بدون بهائِهِ وزخرفتهِ وبهِ محل لتقطير المدام

يعقب بناء الروس والنروج المظلمة من جو الشمال ابنية العرب والحبشان الوضية من طلي الكلس والجير وقد رام المهندس ان يعبث بالمناطق فجمع بين البلاد التي تجمّد الجسم بصقيعها والتي تذيبهُ بنار حرها

يتلو بناء العرب بناء اليابان فالصين فالهنود المتناسبة بوضعها واشكالها البهية بمناظرها والوانها المزخرفة تزخرفًا يستميل النظار ويجذب الطرف فيكفّ حاسرًا كليلاً عن منظر ما جاورها من بناء اللابون وخصاص الاسكيمو وذوي الادمة الحمراء وزنوج افريقيا خصاص تدل عن خصاصة حالهم وخسة منزلتهم في مراتب الاجتماع وهذه الاكواخ هي آخر حلقات هذه السلسلة التي تساوى طرفاها كأنَّ المهندس رام ان يعرض على ذوي البصائر ان لا يغتروا بما سيرونهُ من بدائع الصنائع ومظاهر التمدن وان لا يزال بين ظهرانينا خلق من بني آدم عائشين على نسق ابيهم الاول كانهم على حال الفطرة

برج آفل

هو القطب الذي دار عليهِ محور المعرض والمغنطيس الذي انجذبت اليهِ العقول لانهُ آية في الظرف وعجيبة في الصنع وقد سارت بذكرهِ الركبان واتخمت بالافاضة عنهُ بطون الاوراق لكن لا يزال في جعبة الافادة منزع مهما كثرت الكتبة في هذا المضمار

بدىء في تشييده عام ١٨٨٧ لثلاثة ايام بقينَ من شهر يناير واشتغل في وضع الاساس آلاف من الفعلة ومساحة الارض التي اشغلها تنوف عن ١٦٠٠٠ متر مربع وبُنيت قوائمهُ الاربع بالدقة على الوجهات الاربع فالقائمتان بازاء نهر السين هما على الشمال والغرب والخلفيّتان على الشرق والجنوب

وقد عانى المسيو آفل من الاهوال اشدَّها وذاق من طعم المصاعب امرَّها حتَّى سهلت لديهِ وعور المشروع وحلا لهُ مذاق الفوز واول عقبة عثر بها تربة المحل فلم تكن متساوية التركيب لدنوها من النهر فالبعيدة عنهُ ذات طبقة سميكة من الرمل المتحجر بالحصى شديدة الصلابة منيعة لا تقع تحت ضغط البناء وعمقها نحو سبعة امتار انما القريبة من النهر يبان انها كانت في سالف الزمان فراشًا لهُ فنهش الماء الطبقة المتحجرة الصالحة للبنيان وابدلها بطبقة رملية دبقة مطمورة تحت الرمل الناعم المكشوف مما لا يرصُّ عليهِ بناء فاضطرَّ ان يبني اساس القائمتين الاماميتين نمره ١ و ٤ على خلاف نسق الخلفيتين فجعل اساس هاتين عمق مترين من الكلس والسمنتو ضمن الارض الحرة

ولما رأى ان الارض الحرة في الجهة الامامية بعيدة الغور تغمرها المياه المترشحة من نهر السين على عمق خمسة امتار ذلَّل الصعوبة بان غرز تحت اساس كل قائمة اربعة صناديق حديديَّة مملوءة هواء مضغوطًا محكمة السدّ وملفوفة بعصائب حديديَّة متينة القوة طول الصندوق ١٥ مترًا وعرضهُ ٦ امتار ورصها على الارض الحرة حتَّى بلغت فوق الماء واسَّس عليها البناء من احجار هائلة القطع متينة الصلابة يقاوم كل سنتيمتر مربع منها ضغط ١٢٣٥ كيلو فتقوم حسابًا مدققًا باضعاف الحمل الثقيل الذي القي عليها

بعد ان أنجز تثبيت دعائم الاساس فطن الى دفع الطوارىء الجوية

ووقاية البرج من انقضاض الصواعق لانهُ معرَّض لها بمعدنهِ الحديدي فغرز في الاساس على عمق ١٨ مترًا تحت الماء قناة حديديَّة مجوفة دائرتها نصف متر متصلة حَتَّى وجه الارض وسطح الدعائم وبها تنصب القضبان الحديديَّة المتصلة بقمة البرج ثم بنى في الدعامة الغربية قبوًا لاقرار آلات المصاعد او اسنسر

اترك للمهندس الخوض في كيفية بناء اقواب الاقواس لان المتأمل يحتار كيف انطلقت تلك الاقواب صُعُدًا منحنية وهي هائلة الثقل وارتفاعها ٤٨ مترًا ولا ريب ان مهارة آفل وجدت نقطة ارتكاز في الفضاء حَتَّى دان لهُ ثبوتها وتوتيرها والاَّ لَهَوَتْ بقوة الجاذبية

ومن غرائب الهندسة ان الفعلة ما كانت لتشقى بتشييد هذا البرج وما كلفت باعباء الاثقال بل كانت الجسور الحديديَّة الثقيلة الوزن ترتفع اليهم مهندمة مصلَّحة مثقوبة مقاسة بالقيراط والشعرة لترتكز في محلها فما كان الفاعل الاَّ ليدبرها وهي مناطة بالآلة الرافعة الى الجهة المعينة لها ويركّبها ويحكم صلاتها ويطرق المسامير في الثقوب وكما كانت احجام الجسور وقياساتها غاية في الدقة والاحكام كذلك كانت المواقيت المحسوبة للتركيب لحسابي بجمع ارقامهُ فاعجب بالعلم واهلهِ انهُ مشكاة الهدى وقائد لواء الراحة ومذلّل الصعاب

للبرج خمسة مصاعد ترفع الزائر الى حيث شاء من طبقاتهِ حَتَّى الى اعلاه وترتفع المصاعد بقوة الماء مصعدانِ منها برقيان من قاعدة القائمة الغربية الى الطبقة الاولى من البرج ومصعد برقى مستقيماً من قاعدة القائمة الشمالية الى الطبقة الثانية بدون ان يعرج على الطبقة الاولى ومصعد من الطبقة الثانية الى الثالثة وهي الاخيرة عند قمة البرج · وللبرج معارج اخرى غير المصاعد وهي اربع سلالم لكل قائمة سُلَّم عرضها متر واحد توصل الراقي الى الطبقة الاولى علوها ٣٥٠ درجة ومن الطبقة

الاولى الى الثانية اربع سلالم اخرى لكنها ضيقة عرضها ستون سنتيمترًا فخصص اثنتان منها للصعود واثنتان للنزول علوها ٣٨٠ درجة ومن الطبقة الثانية الى الثالثة او العليا سلّم طويلة عدد درجاتها ١٠٦٢ وهذه محظورة عن العموم وغير مباحة سوى لخدمة البرج فمجمل الدرجات من سفح البرج حتّى قنته ١٧٩٢

وقد كانت الاجور من الارض الى الطبقة الاولى افرنكين ومن الاولى الى الثانية افرنكًا ومن الثانية الى الثالثة افرنكين الجملة خمسة فرنكات والاجرة شرَع في المصاعد والسلالم وتباع التذاكر عند قوائم البرج وللزائر ان يطيل مدة مكثهِ بالبرج طول النهار اذا شاء ولا يعارض الاَّ متى أُوصدت ابواب البرج الساعة ١٠ ١/٢ مساء .

فالطبقة الاولى ترتفع عن سطح الارض ٥٧ ١/٢ مترًا ومساحة باحتها ٤٢٠٠ مترًا مكعبًا وهي مجوَّفة بالوسط دائرة مساحتها ٩٠٠ متر مربع يطلُّ منها الناظر على ارض الفسحة بين الاربع قوائم

للباحة رواق مسقوف يسير بهِ المتنزهون حواليها ويشرفون منهُ على سائر باريس لله درَّهُ من مطل ترى عن قرب ساحة المعرض تسير بها الناس تباعًا دراكًا تحت مظلات القماش الموصلة الى صرح الصناعة على خطوط مستطيلة مقبلين مدبرين كصفوف النمل غادية ورائحة ترى نوافر المياه وانابيب البرك تكسر بياضها المشرق باشعة الشمس ثم تنحدر الى رقراق رائق كالسجنجل تحوط بهِ ابسطة الخضرة والازهار ترى قصر الصناعة مشيدًا بصدر الفسحة زاهيًا بقبتهِ الذهبية وبابهُ يغصُّ بالوالجين حتّى تلتطم المناكب ترى صروح الفنون وقصور الدول تتنافس وتتسابق الى اجتذاب الطرف ترى نهر السين منسابًا ساكن الحركة وفوقهُ تتحرك الزوارق الماخرة ترى الرجال كالاطفال والاطفال كصغار الدبابات ثم ترفع الطرف امامك فترى سطوح البنيان متلاحمة كالسهل تتخللهُ

الساحات كالوديان وقباب البنطيون والانفاليد وغيرها كالخيام ترى قوس النصر شامخًا معجبًا بمقامهِ بين الشانزليزه وغاب بولونيا وهذا نضير الخضرة كأَنهُ زمردة في خاتم باريس .

الفسحة الباقية بين الرواق المسقوف والدائرة المجوفة بُنيت اربع قاعات للتاجير وتجزأَت كل قاعة الى غرف اعدت قهاوٍ ومطابخ للاكل حتَّى اذا شاءَ الزائر البقاءَ بالبرج كل يومهِ يجد كل حاجاتهِ فوق وقد نقشت على دائرة جدران هذه الطبقة الحديديَّة اسماء العلماء والفلاسفة الذين نبغوا في فرنسا بهذا الجيل تخليدًا لذكرهم .

والطبقة الثانية تعلو عن الارض ١١٥٫٧٣ مترًا ومساحتها ١٤٠٠ متر ووسطها مشغول بآلات المصاعد ولها رواق دائري مسقوف كالطبقة الاولى يشرف منهُ الناظر على دائرة اوسع من المطل الاول وتصغر لديهِ المرئيات وتتساوى القصور والشوارع وتذل الربوات والآكام المجاورة فترى الاحداق ما وراءَها وتبان فرساليا خلف سجوف الغاب والرياض كجارية حسناء ويجد الزائر في هذه الطبقة مطبعة جريدة الفيغارو الشهيرة التي اكترت هذا المحل لتنشر فرعًا من مسترسل جريدتها مصبوغًا بصبغة المعرض فقط معقودًا عقاصةُ من اخبارهِ وللزائر حق الولوج الى المطبعة وكتابة اسمهِ على سجلها مع نكتة تبدو لهُ عن حال البرج ويدفع افرنكًا واحدًا ولما رأَى احد الادباء كيف يستخرج بانو البرج ومستأْجروهُ معادن النقود من مناجم الجيوب بكل حيلة لطينة وذوق جميل كتب على السجل هذه العبارة الفرنسويَّة وهي جميلة الجناس لا اعربها حتَّى لا تفقد رونقها : C'est un tour ingénieux que la tour d'ingénieur :

والطبقة الثالثة علوها ٢٧٦ مترًا مساحة قاعتها ١٦٫٥ مترًا وتسع ٨٠٠ شخص قد اقيمت على دائرها حواجز زجاجية تحجب الهواء القارس وتأْذن للنور البهيج فيرى الزائر ذلك المنظر البديع مطمئنًا آمنًا من

لطمات الازياح الباردة بهذا المقام السامي وهناك تبان باريس المدينة العظمى كرسم على قرطاس ولا يصل اليهِ صوت ولا لغط فيحسبها مدينة الاموات ولا عجب فالمرء يبان من هناك كالنقطة السوداء .

اما القمة فمحظور على العامة الصعود اليها لانها خصت للتجارب العلمية فبها مرصد فلكي وآخر متيورولوجي وثالث لدرس حالات الهواء وبالقمة المنار الاعظم وهو كهربائي ومع علوهِ الشاهق كانت تتدفق انوارهُ كالقمر في غلس الرابع عشر وكان ينبثق نورهُ متوازيًا عشرة آلاف مصباح من نور الغاز وترشق سهام اشعتهِ على قصور باريس الشما او قبابها الوضاء او ساحاتها الحسناء فتزيدها بهجة وضياء وهو ليس وترًا بل شفعًا فرفيقهُ لم يكن محصورًا بالقمة بل كان منبثقًا منها ساريًا على سلكهِ الكهربائي حتَّى الطبقة الثانية مكتنفًا كسائر الانوار الكهربائية باكؤس بلوريَّة متحركة مثلثة الالوان مثال العلم الفرنسوي فكان يتألج نورهُ ليلاً فتحسب البرج شعلة قوس قزح تلقي على سماء باريس وارضها رسوم العلم المثلث وكان هذا المنار الملوَّن منبعثًا عن آلة كهربائية قوتها خمسماية حصان ومقرُّها في بطن الارض بكهف احدى القوائم .

وتنتهي القمة برأس كاسي أشبه بشكل الجرس يتموَّج على قنته العلم الفرنسوي

ربما يودُّ القارئ ان يدري ثقل هذا البرج الشاهق فوزنهُ تسعة ملايين كيلو منها سبعة ملايين حديد وانفق على بنائهِ ٦ ١/٢ مليون فرنك اما منافعهُ العلمية لاسيما المتيورولوجية فلسوف يكون لها اثر حميد وفائدة عظمى للعالم اجمع ويكون لفرنسا منهُ فائدة حربية خاصة بها

الينابيع المضيئة

هي من غرائب المعرض واطيب فكاهتهِ شادها البنَّاء كوتان وسوَّاها المهندس بشمان وتولى اعمالها الانكليزي غلوي لان الانكليز تبرزوا بفضل

بدعتها وامتازوا بالتقدم عن سواهم في ابرازها من حيّز التصور للعمل وذلك في غلاسكو ولندن انما ينابيع المعرض كانت اشد اتقانًا واوفر كلفة وأعظم نورًا واثرًا

لا ريب ان الواقف ليلاً بازاء تلك الينابيع اوان ضيائها يهلّل و يكبّر اولاً ثم يمجّد العلم واهلهُ . يمتدُّ صدرهُ ارتياحًا لتلك المناظر و يتطاول فكرهُ للبحث عن علل معلولاتها ولما يقصر فهمهُ عن ادراكها يدأب للتسآل اذ العقل ولوع بكشف الغوامض واستجلاء كنهها يرى اوجه البرك مضيئةً لوامع وثغور الانابيب والتماثيل براقة متلوّنة والماء المتدفقة والجارية والساكنة متضاربة الالوان حرباوية الاشكال تضرب من حمرة الى زرقة ومن زرقة الى خضرة وما شاكل باسرع من لمح البصر تتناوب الالوان كساء الماء تناوب الوان الافق عند الغروب في ليلةٍ مقمرة تعقب صفرة شمسها صُهبة شفقها فشهبة غسقها فبياض بدرها .

وفيما انا غائص في بحر التأمل والحيرة مضطرب على الحالين من الطرب والدهشة سمعت فتى ينادي : بيان الغامض كشف السر : فالتفتُّ اليهِ فالفيتهُ متأبطًا كراريس عنوانها — اسرار الينابيع — فنقدتهُ ثمن كرّاس ٢٥ سنتيمًا ولما عدت الى غرفتي فضيتهُ وتلوت ما بهِ وها زبدة البيان وحلُّ العقدة

بني تحت كل بركة سرداب مدور مرصوص من الصاروخ وسقوف السراديب مثقوبة والثقوب مسدودة ببلور شفّاف متصل قناهُ بقعر ماء الحياض ووجههُ الداخلي بانابيب متجهة فتحاتها الى دكّة عليها مكسِّر اشعة ومرآة منحنية الى درجة ٤٥ ووضع في كل سرداب مصباح ذو قوس كهربائي شديد القوة (يوازي ١٠٠ الى ٥٠٠ نور غاز) يدفع سهامهُ افقيًا وتتكسر الاشعة بالمرآة عموديًا من اسفل الى فوق مارّة بنسيج ملوّن فتندفع في الانابيب ملوّنة بلون النسيج حتّى وجه البلورة المتصلة بماء الحياض فيسير

النور بطبقات الماء متلونًا بلون النسيج المتغير في السرداب

ولكي يصلوا الى تلوين المياه المندفقة من افواه التماثيل والانابيب العكفاء لجاءوا الى مرايا عديدة ينطلق النور من واحدة الى اخرى حتّى الفم المتدفق .

قصر الصناعة

هو المعرض الحقيقي وما سواهُ كمالي تجلّت في اخدارهِ عرائس الصنائع وطلعت في سماءهِ دراري المخترعات واصطنّت في مجالهِ صنوف الاقمشة والحاصلات والادوات والاصناف لتُعرَض وتُعارِض

تلج اليهِ من ثلاثة ابواب اثنين من محذيهِ المجاورين لقصري الفنون الجميلة والثالث وهو الاهم في صدرهِ وواجهة الشان ده مارس ويعرف بباب القبة المركزيّة لانك تلج منهُ الى فسحة هذه القبة البديعة المذهبة والمزخرفة بابهى زينة مبنية على رسوم اربعة هي رموز القوى المحركة والتي عليها مدار الصناعة وسائر الاعمال : البخار والكهرباء والهواء والماء : ومغزاهُ ان قبة الصناعة معقودة في الجيل التاسع عشر على الاربع دعائم المذكورة وكُتبت بين هذه الرسوم اسماء الفنون المتداخلة بالصناعة : النقش والبناء والتصوير والموسيقى

فوق هذه الرسوم دهان تقليد الفسيفساء ممثل على دائر القبة شعوب الارض مقبلة الى المعرض بازيائها والوانها فمن زنجي افريقيا كاشف الصدر ساتر العورة وهندي كبير العمامة طويل القباء وصيني نحاسي اللون مرخي الضفيرة و بدوي ملتحف الوشاح وتركي واسع السروال كبير الحزام واميركي وافرنجي ضيق اللباس معتمٍ قلانس مختلفة الاحجام تلوح على الجميع مخائل الانس وسمات الائتلاف اشارة الى كونهِ معرض سلام ومجمع ائتناس وعلو القبة ٥٥ مترًا

على يمين الباب ويسارهِ غرفتان معدّتان لممثلي الحكومة احدها

الغوبلين وبهِ تنسج البسط والستائر بالرسوم البديعة وبغاية الدقة والاتقان كرسم المصورين على الالواح والاقمشة والاوراق وهذ الصناعة من اجمل الصنائع واصعبها مراساً وانفسها قيمةً وقدراً ومعمل بوڤي للخزف الصيني وفيهِ من الاواني الخزفية المنقوشة والمدهونة ما يبهر الناظر . امام باب قصر الصناعة مدخل الرواق الاوسط ممتدٌ حتَّى مدخل قاعة الالات وعلى جانبيهِ ابواب الغرف المتضمنة الاصناف المعروضة مرسوماً على باب كل غرفة مثال مضمونها ومكتوباً بجانبهِ الاسم الجامع للاصناف

فتقرأ على الباب الاول يمنةً عنوان « الصياغة » وازاءهِ يسرةً عنوان « الجواهر » وتجد بغرفها كلما شاق وراق من انواع الصياغة بالمعادن والحجارة الكريمة من قديم وحديث صنع الفرنسويين وابهج واثمن ما رأيت الماسة الامبراطوريَّة الشهيرة فريدة نوعها ودرة تاج نابوليون الكبير وكانت مناطة على وتد دوَّار ليُرى بريقها من سائر جوانبها وانفس وادق مصنوعات الجوهريَّة مثال من برج آفل طولهُ نحو متر مصنوع من اجود الماس

يتلو باب الصياغة باب الخزف « المعروف بالسراميك » والفسيفساء ويتلو باب الجواهر باب الالبسة والتخاريم — صناعة السراميك قد بلغت فرنسا بها الدرجة الاولى اما الفسيفساء التي شاهدناها في كنائس ايطاليا تعلو رتبةً على الصناعة الفرنسويَّة ولكن عن غرفة الالبسة والتخاريم حدّث ولا حرج فهذه الصناعة بحر والفرنسويون غوَّاصو دُررهِ وقد عُقدت على ذوقهم الخناصر في كل الامصار والزيُّ يصدر من فرنسا الى كل البلدان ومما زاد هذه الغرفة حسناً انها كانت قطب كواكب السيدات

خلف غرفة السراميك غرفة البلور والزجاج وبها من تفنُّن الصنَّاع ما يسترق الاحداق

غرفة الاقمشة الحريريَّة تردفها غرفة القبعات وتقابلها غرفة البسط

والتوريق (صناعة الاوراق المدهونة) ولا ريب ان لا منافس يقارع فرنسا في صناعة الحرير ولا استطيع الوصف المتصل فانهُ يحتاج الى مجلدات

غرفة المنسوجات الصوفية والقطنية تقابلها غرفة الاثاث وتتلوها يمنةً غرف الساعات فالجلود فالطيوب ويسرةً غرف الاسلحة والخيام والمهمات الحربية الثقالة واقمشة الكتان والبزور والحبوب

الغرف الاخيرة ذات اليمين والشمال تشمل المعادن وآلاتها تقابلها غرف الصيد والقنص وفراء الوحوش ثم اصناف الصيدلة ونتاج المناجم

لقد عددت لك ببضعة اسطر ما انفقت على رؤياهُ فقط ثلاثة ايام وبحيث انتهينا من غرف الصدر فاعود بك الى غرف الفخذين المعدة لمعروضات الاجانب

وابتدئ بمن لها المقام الاول في مراتب التجارة والصناعة اعني انكلترا فقد خُصّص لها نصف الفخذ الايسر من قصر الصناعة المشرف على شارع لابوردونه عند مدخل باب راب وهذا القسم وحدهُ يوازي ربع ما خُصّص لمعروضات باقي دول اوربا ومساحتهُ ٥٨٠٠٠ مترًا مربعًا وعدد العارضين من الانكليز بلغ ١٦٠٠ شخص مع ان الحكومة الانكليزيّة لم تُجِبْ فرنسا رسميًا على الاشتراك بمعرضها ولكن الامة الانكليزيّة الحرة والرأي العام بها انتقد سياسة الحكومة والجأَها على عضد العارضين فلم تجد الوزارة مناصًا من الاخذ بناصرهم لاسيما ان أمّ المدن لندن عدّت حطّة بقدرها الامتناع عن جلاء عرائس صناعها في عرس المعرض الزاهي ونهض مجلس بلديتها بامرة رئيسهِ السابق بوليدور كيزر فألّف لجنة عاملة لامداد العارضين وزخرفة القسم الانكليزي بما يليق بمنزلة امتهِ وجمع لذلك اموالاً طائلة ضمنت نجاح مشروعهِ وثبّتت أقدام إقدامهِ . ويرى الزائر من معروضات وصنائع الانكليز في سائر انحاء المعرض انما القسم الاهم جمع في فخذ قصر الصناعة الآنف ذكره فنلج مدخلهُ ونشاهد واجهتهُ مزينة على الذوق

الانكليزي تموّج على جدرانها وابوابها اعلام المدن الانكليزيّة وراية الحكومة والطغراء الانكليزيّة والحيطان مكسوّة ورقًا مدهونًا لامعًا فتلج الابواب وترى نموذجات من الصنائع الانكليزيّة تدلُّ عن مهارة صنّاعها وغنى تجارتها واستفحال الانكليز في التمدن العريق وتعاين بدائع مستعمراتها وحاصلاتها فتتحقق ما تسمعهُ عن سؤدد الانكليز وطول اجنحتهم وامتداد باعهم ولواردتُ تعداد ما شاهدتُ لضاق بي المقام او لو فطنتُ الى الكتابة باسهاب حين المشاهدة لاضطررت ان اصرف ايام السفر في القسم الانكليزي فقط

من ابدع ما نظرت بالقسم الانكليزي إبرًا للخياطة يستغني بها الكفيف عن عناء ايلاج الخيط بالسمّ فبمجرّد وضع الخيط على الابرة بجانب السمّ وشدهِ ينفتح السم و يغلق عليهِ كأ نهُ ادخل بهِ وكذلك قطعًا من الذهب الاوسترالي مستخرجة من مناجمها و ينوء القوي عن حملها وعاينت بالقسم الاوسترالي بابًا عريضًا عاليًا مبنيًا من الطوب المذهّب ممثلاً بحجمهِ مقدار الذهب المستخرج من اوستراليا و يحسب الناظر الباب ذهبًا ابريزًا ونظرت اشكال طيورها وانواع كواسرها وضواريها محنطة مصبّرة تكاد تحسبها حية ومن انواع الفراء والاصواف والنبات ما يصغر بهِ عظيم الوصف ورسوم الاشجار وقطعًا من اخشابها ما يشير عن ارتفاعها الهائل وضخامتها الجسيمة منها شجرة يُطأْطأْ لها راسًا برج آفل واعجب ما رأيت ارومة شجرة متحجرة تشبه حجر الصوّان مجليًا لامعًا الّا انها اشدّ منهُ بريقًا وضياء

مستعمرة كانادا وزيلاندا الجديدة ما عرضتا شيئًا مهمًّا يستحق الذكر انما الهند تبرّزت في فضل صنائعها ورامت تجاري الامم فارسلت اقمشة وحاصلات وافرة ولذلك اعدت لها غرفة خاصّة بالفخذ الايمن بجوار الصينيين وسيأتي الكلام عنهُ . يجاور القسم الانكليزي القسم البلجيكي

والدانماركي ثم الهولاندي والنمساوي و ينتهي بهذه الغرف الفخذ الايسر واني اسرد لمحًا عنها

القسم البلجيكي

لم تشترك بلجكا رسميًا في المعرض اجابة لداعي السياسة لكن الحكومة بمصادقة مجلس النواب عينت سمائة الف فرنك اسعافًا للعارضين واعلنت للحكومة الفرنسوية انها لا تستطيع تعيين معتمد رسمي عنها لكنها تفوّضها بتعيين بلجيكي معتمدًا غير رسمي ولو تمسكت الحكومة البلجيكية باهداب السياسة ولم تأتِ هذا المأتى لسقطت الوزارة لان الشعب البلجيكي يودُّ فرنسا وهو عريق بالحضارة ولو انهُ حديث النشأة السياسية و بالغ اشدَّهُ في الصناعة ولئن هو فتًى في الظهور فاضطرت الحكومة ان تأخذ وظيفة ابي براقش وتتلوّن بوجهين اشتراكٍ فعلي ولكن غير اسمي وقد فُسح لها محل واسع في ارجاء المعرض مساحتهُ ١٢٠٠٠ متر مربع واهمهُ في قصر الصناعة — وواجهة هذا القسم مبنية من الخشب المرسوم رسومًا تمثل امتعة قدماء الفلمنك ولها بابان فوقها خريطتان مرسوم عليهما بلجكا ومستعمراتها في الكونغو بافريقا تلج القسم فتعاين من كل فنّ غصنًا مورقًا ومن كل صناعةٍ ثمرًا ناضجًا والحق يقال ان البلجيكيين بلغوا درجةً قصوى في الصناعة وعدَوا عدْوَ الفرسان في حلبة التقدم حتّى وصلوا الى طليعة الامم الزاهرة فاي صناعة وما عاينت منها نموذجًا حسنًا — راضوا المعادن فاذلّوها والالياف فنسجوها والارض فاخصبوها ونافسوا الانكليز في استخراج الحديد والفحم الحجري والفرنسيس في التخاريم واقمشة الحرير و برعوا في صنائع الزجاج حتّى صاروا اباء بجدتهِ ومصادر مورده ولهم اليد الطولى في نسج الاصواف حتّى صارت انفرس من اهم المدن التجارية وقد وضع رسمها في معرضهم ومن الطف ما شاهدت في هذا القسم في غرفة مخصوصة تدرج صناعة الصوف منذ جزّ من جلود الشاء

حتّى صار جوخاً فاخراً فتراهُ جزّة وسخة متربة ثم نظيفة مغسولة ثم ممشطة مسترسلة ثم نبتدئ تغزل وتتدرج الخيوط في الثخانة والنحول حتّى تصير صالحة للحياكة فيعمل بها فتصير النسيج المرغوب

القسم الدانماركي

الدانمارك قبلت دعوة فرنسا للمعرض العام وعينت حكومتها ماية الف ريال او ١٤٠ الف فرنك لاسعاف العارضين من ابناءها وعددهم ١٥٠ وقد خصص لهم ٥٥٠ متراً مربعاً في قصر الصناعة وخارجهِ

واجهة غرفتهم حسنة الرسم زخرفها اشهر مصوري الدانمارك الموسيو لند فتجد الطيور على الافنان والزهور على الاغصان وعلى جدران الغرفة حصون مملكة الدانمارك وقصورها وتشتمل الغرفة على صنائع الدانمارك واهمها الصياغة والنجارة والحدادة والاشغال اليدوية كصنع الازهار وتقليد النبات الطبيعي .

القسم الهولاندي

الهولانديون انسباء البلجيك وعذالهم فشق عليهم ان يروا جيرانهم سائرين الى المعرض طلق العنان وهم ملجمون من حكومتهم التي رفضت الاشتراك بالمعرض فانتظم عقد من كبار الصناع والتجار لسد الخلل وجمعوا مبلغاً وافراً لعضد ارباب الحرف والصنائع المحتاجين الى نفقات الاسفار وهكذا تسنّى لهؤلاء الكرام ان يعلوا شأن امتهم و يرفعوا منارها بين الامم رغماً عن تخلف الحكومة انقياداً للسياسة وجادت لهم ادارة المعرض بكلما طلبوهُ من المحالّ فكان نصيبهم ٨٥٠٠ متر مربع في سائر ارجائهِ اجاد في بنائها وزخرفتها المهندس الهولاندي ادور نيرمن وقد شاهدت في قسمهم بقصر الصناعة نموذجات من صنائعهم المتقنة كصنائع الطنافس التي يبلغ سمك بعضها عشر المتر وصناعة الاقمشة المشهورة في الدنيا باقمشة دلفت وقد عرضت كرخانة القناني والقوارير المسماة فَلِشِن

مصنوعاتها على نسق جميل فانها رصفت القوارير فوق بعضها على شكل هرم عال والقوارير مختلفة الالوان فكان المنظر بهجًا ووجدت في هذا القسم رسوم ترع عظيمة وجسور جسيمة مما يدلُّ عن منزلة المهندسين الهولانديين وعاينت في غرفة المستعمرات الهولانديّة اقمشةً هنديّة واسلحة شرقية وسرادقًا مماوءًا آنية ثمينة اكثرها من مستعمرات باتافيا في الاوقيانوس الهندي ولهولاندا بجوار برج آفل بناء منفرد لتقطيع الماس فهذه صناعة امتازت بها ولا يُشقّ لها في قطعهِ غبار وسيأْتي الكلام عنهُ

القسم النمساوي المجري

لا اظن غاب عن سماء الذاكرة بريق الخطاب الذي القاهُ وزير المجر في مجلس النواب حين تعرَّض لذكر المعرض الفرنساوي واباءة الحكومة النمساوية الاشتراك بهِ وكيف نصح مواطنيه بعدم الذهاب اليهِ لما يلوح لهُ في سماء السياسة من الغيوم ولما يخشاهُ من النوازل في باريس بتذكار المائة سنة من الثورة الفرنسويّة وما من لاحٍ يلوم الحكومة النمساويّة اذا رفضت دعوة فرنسا للاشتراك بمعرض مفتتح بتمجيد تذكار الثورة الفرنسوية بعد جيل من ظهورها والكل يعلم ان النمسا وعائلتها المالكة أُصيبت من الثورة المذكورة باسهم رزايا اذاقتها اكؤس الخسران والهوان وقُتلت ماري انطوانت ملكة فرنسا واخت امبراطور النمسا على مذبح الثورة ضحية للجمهوريّة ونكاية باخيها الذي كانت ترجو منهُ اعتاقها من ربقة الذلّ وكبح جماح الثائرين ولذلك لا عاقل يرى عليها من الامتناع عن الاشتراك انما أُخذ عليها كيف سعتْ في منع التجار وارباب الصنائع عن التكاتف لاظهار محاسن صنائعهم والمفاخرة بها والاكتساب من عرضها حتَّى اضطرَّ ابناؤها النمسويون المقيمون في باريس ان يجمعوا من انفسهم مبلغ ١٧٥ الف فرنك لقيام اود الراغبين في عرض صنائعهم من بني جلدتهم والتمسوا من الحكومة الفرنسوية محالاً بالمعرض فاعطتهم نحو ٢٥٠٠ متر مربع في

قصر الصناعة وخارجه وكان عدد العارضين ٢٢٥ وقد ندم كثير من النمسويين على تأخرهم عن التعجل في قيد اسمائهم لدى العمدة العاملة في باريس وايسوا منها ذلك مؤجلاً لما نفدت المواضع ولم يبقَ في قصر الصناعة قيد ذراع فعاد المتأخرون بخفي حنين . اهم ما شاهدت بهذا القسم بلور كراخين بوهيميا فان اوانيها بديعة ومزخرفة بذوق ونموذجات من مصاغ وحلي النمسويين وانواعاً من الجلود تدلُّ عن تقدم هذه الصناعة في فينا لاسيما الاحذية فانها ظريفة ورخيصة وقد اتّسع نطاق تجارة النمسا بها والفيتُ ايضاً غرفة مخصصة للاخشاب واخرى للمعادن وللنمسا اليد الطولى في تجارة الاخشاب واستخراج المعادن ولها النائل الاوفر من منهل الاخشاب

لقد انتهى وصف النخذ الايسر فلنثِب الى النخذ الايمن من قصر الصناعة

نلج رواق مدخلهِ سواء من وسط المعرض ام من باب شارع سُفِرن فتلفي معروضات ايطاليا فسويسرا فالولايات المتحدة فاسبانيا فالبرتوغال فرومانيا فنروج فروسيا ثم على خط مستطيل غرفاً مترادفة متوازية بادية من اول النخذ عند مدخل الرواق حتى قاعة الآلات وهي بالتتابع لليونان فالسرب فاليابان فسيام فمصر فالفرس وكلها داخلة ضمن قصر الصناعة وتحاذيها خارجاً عن القصر مقاصير مستقلّة كالسوق المصري والسوق المراكشي والسوق السيامي والروماني والصيني والهندي واليك لمحة عنها

القسم الايطالي

ايطاليا ادهشت الالباب في نكرانها الجميل وجحدها ولاء مَنْ لمّ شعثها ونظم عقدها واحياها بعد الموات اعني فرنسا وهذه الدولة التي ما كانت ظهرت للوجود لولا تمخض فرنسا بالثورة الفرنسوية أَبَتْ حكومتها الاشتراك بالمعرض قائلةً ان التحالف الثلاثي ينفر من تذكار الثورة لكن

ساء جواب الحكومة كثيرًا من الايطاليين واستهجنوا افكار كريسبي وتحركت خواطر الاهلين للاشتراك بالمعرض بهمة الكاتب الميلاني المشهور السنيور سنزونيو وتألفت مجالس التجارة لتحضير نفقات للعارضين فارسلت الى اللجنة الايطالية في باريس المترأس عليها المثري المتمول الشهير اليهودى ده كاموندو مبالغ وافرة وكان جملة المجموع ٢٥٠ الف فرنك ونالت اللجنة المذكورة خمسة آلاف متر مربع في المعرض اهمها في قصر الصناعة

واجهة القسم مزخرفة بذوق مطبوع بالايطاليان وهي مشادة من المرمر والفسيفساء وقد رسمها السنيور مانفردي وكلفت اللجنة ٤٥ الف فرنك

احب الصنائع للايطاليان وابرزهم فيها التماثيل المنقوشة والبلور وصناعة الزجاج واواني معمل سلفياتي بالبندقية (فنسيا) يحقق عيانها السماع عن شهرتها و بالمثل اواني معمل مورانو الشهير فانها تضاهي مصنوعات المعمل الاول وتساعده على رفع منار هذه الصناعة بالبندقية وقد حازت ميلانو السبق في صناعة المرايا وفيرنسا تقدمت خطًا واسعة في صناعة الخزف والسراميك

القسم السويسي

اجابت سويسرا دعوة فرنسا بالقبول والرضى ونافست اعظم الدول مع ضيق بلادها ولكن على قول المثل « واحد بالف والف بخفٍّ » فالسويسي طويل الباع في الصناعة بارز الجبهة في المعارف ثابت القدم في التقدم والفلاح واسع الصدر في الهمة والاقدام صحيح البنية في العمران والحرية يساوي الفرد منه الفًا من الامم الخاملة

قسم الولايات المتحدة الاميركانية

الجمهوريات شقائق ترقص الواحدة في فرح الاخرى وتجيب على الدعوة بالايجاب شأن الاخوان والاحباب فلا عجب اذا رأينا جمهورية

اميركا الكبرى متسارعة الى الاشتراك بالمعرض فورًا بلا تردّد وقد عيّنت مليونًا وربع مليون فرنك سعفة للعارضين عدا عن مصاريف النقل وانتدبت الجنرال فرنكلين رئيسًا على معتمدي الثمانية وثلاثين ولاية المؤلفة منهم لجنة الادارة فتقدم للسفر الى المعرض ۱۵۰۰ عارض واشغلوا بسائره ثمانية آلاف متر مربع قُسمت الى عدة اقسام منفصلة اهمّها واشدّها غرابة القسم الكهربائي في رواق الآلات تحت ادارة مخترع الكهرباء المجيد اديسون وسيأتي الكلام عنهُ

في غرفة الحلي والمعادن شاهدنا من مستخرج المناجم ما يحقق غنى الاميركان فهنالك قطع من الفضة والذهب والماس وسائر المعادن والحجارة الكريمة وعاينتُ في معرض الصائغ الشهير تيفاني حليًا ثمينة تبهج النواظر منها عقد ماس توازي قيمتهُ مليوني افرنك

من غرائب هذا القسم آلة التيلوتغراف التي بها يكتب الكاتب عن بعدٍ وخاتم نحاس دائرتهُ خُمس ذراع واقف في الفضاء غير معلّق ببند او خيط ولا مرتكز على دعامة بل ثُبتَ في الخلاء بقوة المغنطيس والاشجار المتحجرة الواردة من غاب افيزولا وهي من عجائب الدنيا فان غابًا بسائر اشجارهِ وجد متحجرًا شبيهًا بالحجارة الكريمة وشاهدنا آلة تكنس الطنافس بدون ان تثير التراب والغبار وتمثالاً من الشوكولاتة . الخلاصة ان بلاد الغرائب عرضت اثمارها من العجائب

القسم الاسباني

ولو ان اسبانيا حكومة ملكية وملكها من نسل البور بورن الذين كانت الثورة الفرنسوية نكبة لهم ونقمة عليهم فانها عضدت معرض جارتها ادبيًّا ومادّيًا لا رسميًّا وقد اعرضت عن الاشتراك الرسمي لكنها فتحت ذراعيها لغادة المعرض الحسناء وعيّنت نصف مليون فرنك لمن يروم ان يؤانس الغادة من ابنائها وانتدبت رئيسًا للجنة الادارة العاملة احد اعضاء السناتو

ومعتمدًا عامًا احد اعضاء مجلس النواب فكأنها اجابت رسميًا بالقبول

وقد اكرمت فرنسا وفادتها واعطتها محلاً لا تنوف اتساعًا عن خمسة آلاف متر مربع في ارجاء المعرض فبنت مقصورةً لحاصلاتها الزراعية والغذائية ومقصورةً لمستعمراتها وغرفة متسعة في قصر الفنون المستقلة وغرفتين في قصر الفنون الجميلة وغرفة رحبة في قصر الصناعة مساحتها ١٢٩١ مترًا مربعًا واهم معروضاتها الخمور والصنائع المعدنية والاقمشة الحريرية والصوفية والقطنية والكشاكش

القسم البورتغالي

هذا القسم صغير في قصر الصناعة لكن لمملكة البورتغال على ضفة السين داخل المعرض قسم مهم عرضت بهِ عدا عن الحبوب والخمور والمواد المغذية كثيرًا من الصنائع التي كان يجب عرضها في قصر الصناعة كاوانٍ خزفية وفخار مدهون وما اشبه والسبب في ذلك ان البورتغال تمنعت بادىء بدء عن الاشتراك في المعرض لكن انثنت فيما بعد عن عزمها واقبلت عليهِ بهمة احد نبلائها وكتبتها المشهورين الفيكونت مليشيو وعينت نصف مليون فرنك سعتةً للعارضين ولما لم تجد محلاً فسيحًا في قصر الصناعة لتأخُّر قبولها رضيت بقطعة على ضفة السين فشادتها بيدَ ان فرنسا اعطتها غرفة غير فسيحة في قصر الصناعة واهم ما شاهدناهُ بها صناعة المسمار

القسم الروماني

ملك رومانيا الماني المحتد فلا يستغرب نفورهُ من معرض فرنسا انما حكومتهُ دستورية وللامة الكلمة النافذة في تنفيذ اهوائها وهي مكينة الولاء للامة الفرنسوية متوثقة بينهما عرى الوداد فلما رأت جواب وزيرها براسيانو سنة ١٨٨٤ الى دعوة سفير فرنسا على هذا النسق «لا نستطيع الذهاب للمعرض والمانع غير سياسي بل اقتصادي» ثم جواب خلفهُ كارب سنة ١٨٨٨ «لا نستطيع الذهاب للمعرض لمأْرب سياسي غير اقتصادي»

علمت ما وراء الاكمة فنهض احد تجار الرومان في باريس وكتب رسالة طبعها في سائر جرائد المملكة يحث بها الامة على الاشتراك بالمعرض واستفز همتها للانخراط في سلك الممالك المتمدنة فقام في ترديد صدى اقوالهِ البرنس بيبسكو المشهور بحبهِ للامة الفرنسوية وحرَّك ساكن مجلس النواب والاهلين فقرَّر المجلس تعيين مايتين الف فرنك وتألفت لجنة الادارة في بخارست تحت رئاسة البرنس المذكور واضافت الى التعيين المذكور ايراد نصيبٍ سُحِبَ لاعانة العارضين وقدرهُ ٢٢٠ الف فرنك واكتتب الاهلون بثمانين الف فرنك الجملة نصف مليون افرنك ارسلتها الى التاجر سركيو السابق ذكرهُ واناطتهُ ببناء المحال المعينة الى رومانيا في المعرض وزخرفتها وقد اعطت فرنسا الامة الرومانية ١٢٥ متراً مربعاً بقصر الصناعة فشاد الغرفة مهندس الحكومة الفرنسوية مقاداً بزخرفة جدرانها وواجهتها كنائس رومانيا وقصورها واهم ما شاهدناهُ من صنائع الرومان الاقمشة المزركشة على الذوق الشرقي وهي ظريفة وحسنة الشكل والبسط وحياكتها متينة الالتحام ثم انواع اللباس الوطني الاصلي تدانيهِ انواع الاكسية الحديثة الرومانية على النسق الافرنجي من القبعة حتى الحذاء . ولرومانيا غرفة لمعرض السلاح وقسم في معرض المواد المغذية والحبوب والحاصلات على ضفة السين

القسم النروجي

نروج عارضت شقيقتها اسوج واشتركت بالمعرض رسميًّا انقيادًا لرغبة الامة النروجية وفوض مجلس النواب الحكومة بتعيين ١٢٥ الف فرنك اسعافًا للعارضين وعددهم مايتان وخمسون فُسح لهم محل بقصر الصناعة اتساعه ١٢٠٠ متر مربع فشادوهُ على نسق ظريف مثَّلت واجهتهُ ابنية بلادهم

يستدلُّ من معروضات قسمهم ان اهمَّ صنائعهم الاخشاب والمسامير

والجلود والسفن التجارية وقد شاهدنا به صناعة الاخشاب متدرجة من شجر الغاب المقطوع حتى يصير بناء صالحًا للسكن مبهرجًا بالحفر والنقش وقد عرض الخواجا يعقوب ديغر من مدينة تروبخجم انواع البيوت الخشبية التي يرسلها الى الخارج منمرة الالواح والقطع فتصل الى اقصى البلاد ولا يحتاج طالبها سوى لصانع يركب قطعها باتباع النمر

صناعة المسامير مهمة ايضًا وقد نظرنا بهذا القسم مجموعًا من مسامير النحاس منضدة على شكل مثّل بيطارًا بسمّر نعلاً لحافر حصان وبجانبه انواعًا شتى من المسامير مرصوفة على هيئة نجوم او صور او كرات وما اشبه

الجلود المعروضة يغلب فيها جلد الرنة والدب الابيض و يندر سواها

صناعة بناء السفن زاهية زاهرة في هذه المملكة الصغيرة التي مع قلة سكانها فاقت بعضًا من اعاظم الدول في سفنها التجارية وما تقدم عنها سوى انكلترا وفرنسا والمانيا لا بل تكون سبقت سائر الامم بتفاوت عظيم نظرًا لقلّة السكان وكثرة السفن وقد عرضت امثلة من قواربها ورسومًا من كبار سفنها ومن احسن قواربها تركيبًا ومتانةً تلك المعدة لصيد الحيتان والنروجيون مشهورون بهذا الصيد

اما اسوج فاعرضت عن المعرض اعراضًا كاد ان يكون تامًا لولا احد تجارها الموسيو لغوا ولكان ذكرها بين الدول كالصفر بين الارقام لكنّ هذا التاجر النجار في ستوكهلم اقدم من تلقاء نفسه الى المعرض وطلب محلاً من الادارة فاعطته فسحة على يسار برج آفل ركّب عليها بيتًا مصنوعًا من الخشب في محل تجارته بستوكهلم على نسق بيوت النزهة عند السويديين وملأ غرفةً من صنائع اثني عشر عارضًا من مواطنيه اهمها صناعة الشفار والسكاكين لان النولاذ المسقي في بلاد السويد ضارب اطناب الشهرة في الارض قاطبةً .

القسم الروسي

أبتْ روسيا الاشتراك بالمعرض لتناقض المبدإ السياسي بينها و بين تذكار الثورة الفرنسوية وقضى عليها هذا المشكل بوجوب التحاشي عن معرض امة عزيزة عندها وقريبة من منازل حبها لكن الامة الروسية وافراد التجار التمسوا حرية العمل فنالوها وارسلوا بضائعهم ومصنوعاتهم الى المعرض حيثما أعطي لهم في قصر الصناعة محل فسيح مساحتهُ ٢٢٠٠ مترًا مربعًا وكان عدد العارضين خمساية

شيدت الغرفة الروسية على نسق جميل ورُسم على واجهتها ابهى القصور الروسية كواجهة قصر كرملين في موسكو وشبابيك قصر طهرم وابراج كنيسة واسيلي وحصن سوكارف وقبة جرس ايفان والبابان منقولان الواحد نسخة باب قصر كرملين والثاني نسخة باب كنيسة واسيلي

عدد العارضين من الروس خمساية واهمّ معروضاتهم الحلي والاواني الفضية والذهبية فقد تفننوا في صياغتها وابدعوا في نقشها ثم الشالات والاقمشة القطنية والحريرية وكلها صنع موسكو وصناعة الجلود والفراء والزيوت المعدنية لاسيما البترول فهلال هذه الصناعة قد صار بدرًا في افق روسيا مع حداثة ظهورهِ .

ولروسيا ايضًا قسم في معرض المواد المعدنية وكوخ في جوار برج آفل تقليد « عزبة » اودار فلاح روسي آوى اليهِ اثنا عشر صانعًا يشتغلون في رسم الصور والايقونات التي لا بدّ من زينة بيوت السلاف بها

القسم اليوناني

كانت الامة اليونانية في طليعة المتقدمين رسميًا للاشتراك بالمعرض وقد كانت قبلهُ فاتحة معرضًا وطنيًا باثينا لاختبار صنائع البلاد ومعرفة تقدمها ولما علمت منزلتها من التقدم تجرأت على الاشتراك وعينت الحكومة مايتي الف فرنك اسعافًا وزادتها لجنة المعرض الاثيني ماية الف فرنك

فكان المجموع ٣٠٠ الف فرنك حاشا مصاريف النقل لمرسيليا فقد تعهدت بها الحكومة

مساحة قسمها في قصر الصناعة سمّاية متر مربع وقد شاد واجهة الغرفة المهندس سوفوا على نمطٍ جمع بين بناء قدماء اليونان والحديثين منهم فكان جدارٌ مقلدًا اكروبول آثينا وآخرُ معمل لوريوم الحالي وسطّر على جانبٍ اسماء الاربع المدن اليونانية الشهيرة بالقدم اثينا وقرنثية وسبارتا وطيبة تحاذيها غرر مدن اليونان الحديثة بيريا وسراقوزا وكرفو و باتراس

وقد عُرضت بهذه الغرفة امثلة من سائر صنائع اليونان من اظرفها صناعة الدمقس المزركش الشرقي صنع نساء آثينا وقرنثية والديباج الموشّى والبسط الناخرة وقد شاهدنا انواعًا من المرمر وافرة تدلُّ عن تربة اليونان الصالحة للبنيان منها المرمر الاخضر البهي المشبه اعمدة جامع آياصوفيا بالاستانة و يظن ان تلك الاعمدة مقطوعة من مقالع اليونان وقد اشترى كل المرمر المعروض بالقسم اليوناني احد سراة الانكليز وشاهدنا قطعة مرمر احمر مقلّم بالازرق والاسود وجدوها في جزيرة شيو قيل لم يُرَ شبيهه حتّى اليوم

وشاهدنا نموذجات من معامل لوريوم كنتفٍ من كبريت الرصاص والفضة وانواعًا شتى من الفاكهة الناشفة والخمور والرسوم

القسم السربي

السرب هي الامة الاولى التي اشتركت بالمعرض رسميًّا وحالما دعيت اليهِ قررت الحكومة بمصادقة مجلس النواب اعتماد ماية الف فرنك اسعافًا للعارضين ولم يكن هذا المبلغ كافيًا فرقَّعت الخَرْقَ اللجنة السربية في باريس وقد أُعطي لها محل مساحتهُ ٥٦٠ مترًا مربعًا بُنيت واجهتهُ على نسق مذكِّرٍ ببناء السرب القدماء البزنطي وقد عُفيت آثارهُ لما نسجتهُ

اعصر الظلام عليها كيفما هبّت رياح الغزوات فكانت الواجهة خير تقليد واحسن ذكرى

دخلنا الغرفة فالفيناها مفترشة بالبسط السربية ظريفة التخطيط ورخيصة الثمن وشاهدنا انواع الخوخ الناشف وهو تجارة متسعة النطاق في بلاد السرب يرسل منها للولايات المتحدة باميركا وقوارير الجعة (بيرا) استخراج معمل بلغراد ونموذجات من الاجواخ المصنوعة في البلاد وقد ولج السربيون باب هذه الصناعة منذ عشر سنين فقط وثم معروضات معمل السلاح المختص بالحكومة السربية في غرافوجنياتز ويستدل منها عما افرغتهُ الحكومة من كنائن الجهد لانقان عِدَد الحرب والجلاد واحكام وسائل الدفاع عن الوطن واخيرًا صناعة الصور والايقونات على نسق الصناعة الروسية

القسم الياباني

انفقت اليابان زهاء سبعماية الف فرنك في سبيل بناء قسمها بالمعرض واسعاف العارضين وحقًا ان هذه الامبراطوريَّة الشرقية تطير على جناح السرعة في جوّ التمدن فبعد ان شاهدنا واجهة غرفتها الظريفة المرسوم عليها قصر ياباني وحصن دايميو ولجنا الغرفة وعرتنا الدهشة في رؤيا صنائعها من نسيج وحياكة ورسم ونطريز وتوشية وتخطيط وتدبيج بروق للنظر التمتع بمفرداتهِ طويلاً وتحسب الطيور المرسومة على الاقمشة طيورًا حقيقية تغرد على افنانها اما النقش على الاخشاب فحدِّث عنهُ ولا حرج انهم بلغوا بهِ حدّ الاعجاز .

وقد كان عدد العارضين ٥٩٦ ومساحة الارض التي اشغلوها بقصر الصناعة ١٥٠٠ متر مربع .

القسم السيامي

او بالحري قسم مالك سيام لانهُ هو العارض الوحيد والمنتقى من

جيبهِ نفقات هذا القسم المبني غرفة على نسق بناء السياميين والمرسومة على واجهتها صور قصور مدينة بنكوك وهيأ كلها ٠

لقد عرض الملك بالغرفة بعض اشتات صنائع بلادهِ كمطارف الرجال والنساء مطرَّزة بالزهور او الفضة والذهب واوانٍ نحاسية وهوادج وآلات موسيقية وانياب العاج والسروج والزهور اليابسة والارز المختمر

القسم المصري

القطر المصري جارى صاحبة السيادة الدولة العثمانية في رفض دعوة الاشتراك بالمعرض لكنَّ الفرنسويين المقيمين بالقطر عديدون فراموا ان يكون لمصر نصيب من المعرض وتألفت لجنة للقيام بالعمل من اعضائها قناصل فرنسا في اسكندريَّة ومصر وبورسعيد واكتتبوا نفقات المشروع وانفقوا وافر السعي ٠٠ هيهات المال ٠

فلما رأى البارون دلوره‌ده غليون قلة ذات اليد وعدم وجود المال اللازم لبناء شارع مصري في المعرض اتباعًا للرسم الذي عقدت عليهِ الخناصر لم ينثنِ عزمًا فالتمس مدد المسيو شارل ده‌لسبس الذي انتخب رئيسًا فامدهُ هذا مع بعض اصدقائهِ الفرنسويين في مصر بجانب من المال اعانة على بناء الشارع المذكور الذي وقف عليهِ بنفسهِ وبما ان الشارع المذكور خارج عن قصر الصناعة وغرة من غرر المعرض فكاهةً وظرفًا وكان محور اجتماع ومورد الشاردين سافرد لهُ فصلاً خاصًّا اما قسم قصر الصناعة فلولا اقدام السوريين المصريين على عرض صنائعهم بهِ على نفقاتهم الخاصة لكان قفرًا بلقعًا ٠ واهمّ المعروضات الاقمشة الحريرية والقطنية صنع بلاد الشام والاثاث والرياش والبسط والاواني النحاسية المنقوشة والخشبية المحفورة مما اشتهر من صناعة بر الشام في اسواق القطر المصري

القسم الفارسي

مملكة فارس اشتركت رسميًا بالمعرض وقد فوّض عظمة الشاه

الموسيو دورسي بتنظيم الغرفة الفارسية وتزيينها في قصر الصناعة ومساحتها ٢٧٥ مترًا مربعًا وقد حوت صنائع الفرس من شالات وبسط واواني الخزف والمهندات والعوالي والحراب والخناجر والمديات والافيون والصموغ وسائر ما اشتهر من صناعة الفرس وقد عُرِض بها ايضًا مجموع عاديات من صنائع الفرس القدماء والفضل في هذا المجموع الى الموسيو لمر والموسيو ريشو

ها قد انجزت من الكلام عن قصر الصناعة وان احبَّ القارىء الراحة كما كان يميل الزائر اليها من تعب المشي فاخبرهُ ان بالفسحة المتوسطة بين صدر القصر ومحاذيهِ على الدائر حانات ومطابخ وقهاويًا ومجالس انس وطرب بين آلات روسية وقينة فرنسوية وشاد ايطالياني ومغنى نمساوي تعيد النشاط لمن انضاهُ الكلال

هلمَّ بنا الآن الى رؤيا المقاصير المحاذية لقصر الصناعة من جهة شارع سفرن وابتدىء

بشارع مصر

سبق القول ان هذا الشارع كان ايةً في الظرف وقطبًا يدور عليهِ محور الانس بني على نسق شارع من شوارع القاهرة بزمن الخلفاء وقد نقلت لبناء دورهِ اخشاب بيوت تقادم عليها العهد في مصر فتداعت الى الخراب ودُكّت لتبنى على نسق البناء الحديث فاشترى البارون ده لور هذه النوافذ والمشربيات الخشبية والخراريج التي كانت تطِلُّ منها نساء القاهرة بدون ان تُرَى وبنى بالمعرض بيوتًا تقلِّد تمامًا بيوت المصريين منذ ثلاثة او اربعة اجيال وجامعَين ومأذنة ومدرسة والمأذنة شبيهة بمأذنة جامع قائد بك

واناط بالجدران تماثيل تماسيح وابي هول جاء بها من مصر مع خزف قديم العهد كان كاسيًا قبة دارٍ وهو من اجود انواع القيشاني واكترى مائة

وستين ولداً من قادة الحمير نقلهم مع حميرهم الى السوق المصري فيركب الزائر الحمار ويحسب نفسهُ في احد اسواق القاهرة وكم كانت السيدات الافرنجيات معجبات بركوب الأُتن وكنَّ يتهافتنَ عليها تهافت الحمام على اغصان البان راكبات ضاحكات سابقات لاحقات فصار السوق بهنَّ مجرى سباق ومجرَّ حبور ناهيك عن الاولاد فكان هنالك مقامهم الهني الدائم

وكان بالسوق حوانيت للصاغة والحاكة والفخارين والمطعمين والحنَّارين والحلوائيين ومحال انس وطرب تشدو بها القيان وترقص الراقصات على النسق المصري فتغصّ بالزائرين وتزدحم بها اقدام العوَّاد وللخواجه بولاد فضل وافر في اتقان مجلس انس عاد عليهِ بالثناء ولهُ بالربح الجزيل ولعوَّادهِ بغنم الطرب والسرور

الخلاصة ان هذا الشارع بمجالس انسهِ وقهاويهِ ومناداة المؤذن باوقات الصلوة ونقرات الدفّ والدربكة وغناء الالحان الشجية ومناظر الاباريق والقلل والحصر وبياعي عرق السوس وشراب الليمون وراحة الحلقوم يوهم حتَّى ابن مصر انه موجود في شوارع القاهرة حتَّى ان البعوض هاجر مع الحمير والحمَّارة تكميلاً للمرام وما نقص سوى اشعة شمس مصر الساطعة

سوق مراكش

هذا مجاور لسوق مصر ومتصل بهِ ويخفق عليهِ العلم المراكشي والمصنوعات المعروضة بهِ البسط والاوشحة والاغطية الصوفية واقمشة حريرية واكثر ما يرى في سوق المغاربة باسكندرية من اقمشة وجلود حتَّى المسوح والاخفاف وشاهدنا بهِ مجلس طرب تعزف بهِ الآلات وترقص فيهِ فتاة على نغمات اللحن المغربي وطاهياً يطبخ المآكل المغربية وصنَّاعاً ينسجون ويحوكون

مقصورة سيام

بناء خشبي ظريف الشكل حسن التنصيل شرقي الذوق خالٍ من البضائع شيد بجانب سوق مراكش مثالاً لبيوت الاشراف في مملكة سيام وهو مؤلف من طبقتين مربع الشكل محدب السقف

مقصورة الرومان

بناء خشبي شادتهُ اللجنة الرومانية على نسق بيوت النزهة في بلادهم وهو طريف الشكل داخلاً وخارجًا ومما زادهُ حسنًا وبهاء وجعلهُ قطب اجتماع ونقطة ازدحام صيرورتهُ مجلس أنسٍ نشدو بهِ قيان الرومان وتعزف فيهِ آلاتهم وتخدم بهِ بناتهم لابسات مطارف الاوطان ومغناهم مطرب شبيه بمغنى المجريين لكنَّ بهِ غنة شرقية تأخذ بمجامع آذان الشرقي فينشرح بها صدرًا وبالمقصورة طاهٍ يطبخ الالوان الرومانية ويسقي الاشربة لمن شاء وشرابهم المألوف التزويكا وهو عرقي مستخرج من الخوخ والتمابوزا وهو نبيذ طيب الطعم اشبه بالمسكات

مقصورة الصين

كانت الصين منكوبة من طغيان نهرها الازرق فرأت حكومتها بذل المال في اعانة المنكوبين اولى وافضل فتجافت عن المعرض لكنها اذنت لمن يروم من التجار ان يسافر للمعرض واعفت بضائعهم من رسوم الجمارك بيد لم يتحرك للصينيين ساكن وما انتصب لهم عامل فتصرفت ادارة المعرض بالارض التي خصصتها بالصين وما أشغلت ولما هبت ثائرة الخواطر بين تجار كنتون لعرض صنائعهم والتمسوا محلاً بقصر الصناعة اجيبوا انهُ لم يبق بهِ قيد شبر ولدى الحاحهم في بدء عام سنة ٨٩ اعطتهم ادارة المعرض ثلاثماية ذراع مربع بجوار مقصورة الرومان فبنوها على نسق دير بوذي بثلاثة ابراج وارسل اربعة من كبار تجار كنتون بضائع ملأت خمسة اسباع المقصورة وحفظ السبعان للتجار الصينيين المقيمين في باريس

حقًّا ان صنائع الصين لجديرة بكل اعتبار وحريّة بالثناء لانها تخلب الابصار فترى لحاء الخيزران مجدولة والبردي محبوكة بتفننٍ مدهونة برونق مرسومة باتقان والابريسم مطرزًا بالطيور وافنانها وبالملوك والخدم والخواتين والحشم والخزف صقيلاً مجليًا مدهونًا مشهورًا والعاج مشغولاً بدقة تحير الالباب وانواع العلب مفصصة ترصيع النجوم بالافلاك ناهيك عن البسط الناعمة الفاخرة والستائر والمراوح بالصور الباهرة

المقصورة الهندية

مبنية على نمط حصن او طاب في دلهي وهي مؤلفة من رواقين موصلين الى قبة بالوسط ويقابل الرواقين من الخارج رواشن حسنة المنظر والكل مدهون باللون العندمي مخطط بسطور بيضاء يحسبها الرائي كشاكش على حلة ارجوانية . وشاد المهندس تحت القبة بالوسط فسقية قائمة على اسود البحر تقليدًا لصناعة الهنود القدماء وهنا يرشف الزائر اجود انواع الشاي اما الصنائع المعروضة فهي المناديل والشورايات والعصائب الحريريّة وأشغال العاج والابنوس

المقصورة السندويجية

مملكة جزائر سندويج اشتركت رسميًّا بمعرض باريز وعينت الحكومة ٢٠ الف فرنك نفقة للعارضين وعددهم خمسون وبما ان الصناعة فقيدة في هذه الجزائر التي سطع عليها نور التمدن منذ عهد بالغ الجدة فاكثر المعروضات بهذه المقصورة من حاصلات البلاد الجماديّة والنباتية فشاهدنا بها البن والسكر وقصب السكر والتبغ والارز والدقيق وكثيرًا من حاصلات البلاد الحارة وبما ان الجزائر بركانية التربة فالفينا من جملة المعروضات حممًا وفلذًا من صخور بركانية وكذلك الياف الرامي وحصرًا مجدولة من انواع الخوص وثيابًا محبوكة من لحاء الاشجار وامتعة خشبية وموائد مرصعة وخزانة للملك مع صورته ورسم الملكة واسماها كلاكوا

وكابيولاني

مقصورة غواتيمالا

هنا يبتدئ او بالحري ينتهي صف القصور الاميركانية البادية منذ مدخل جسر يانا جهة اليمين بعد مقصورة ترعة السويس وتتناسق حلقاتها الى هذه الحلقة الاخيرة منها

فهذه المقصورة مبنية من الخشب على نسق بيوت النزهة في غواتيمالا وشادها المهندس غريدن الفرنسوي على نفقة جمهورية غواتيمالا التي عينت ٢٥٠ الف فرنك للمعرض ومساحتها خمساية متر مربع ولها طابقان

ففي الطابق الاول وجدنا مجموع اطيار غواتيمالا وحشراتها وهوامها وهي عديدة عانى الفرنسوي بوكار جسام المشقات في سبيل جمعها ثم حيوانات البلاد لاسيما ضواريها كالنمورة والافاعي واولاد آوى وضاريا يدعى طاير وهو من اشدها فتكًا وشاهدنا في الطابق الاعلى ضمن خزائن زجاجية نموذجات من حاصلات البلاد كالبنّ والنارجيل والسكر والشمع والكاوتشوك والقرمز واخشابًا عديدة الانواع مصنوعة منها اثاث البيوت والجلود بانواعها والاحذية باشكالها

يتلو مقصورة غواتيمالا مقصورة باراغواي ثم اوروغوى ثم سن دومنك ولم نلجها لانها فارغة ومقفولة فاضرب صفحًا عنها

مقصورة سلفادور

بلاد جمهورية سلفادور اقل اتساعًا من غيرها لكنها من اوفر الجمهوريات اللاتينية الاميركية ثروةً واحسنها صناعةً فحسن لديها الاشتراك بالمعرض رسميًا ووكلت المهندس بكتور ان يشيد لها صرحًا على نسق ابنية بلادها فجاء طبق الاصل شبيهًا بالبناء الاسباني الاندلوسي ودهن داخل المقصورة وزخرفه برسوم المطلات البديعة في بلاد سلفادور اهمّ المعروضات بهذا الصرح حاصلات البلاد ومعادنها كالبن والنيل

وفلذ نحاس وفضة وذهب واخشاب واعشاب وقد قرأت عن الاهلين انهم متحلون بالمعارف رافلون بحبوحة العيش والعمران متزايد بدون ان تحتاج البلاد الى الاستدانة فهي ولية امرها

مقصورة نيكاراغوا

لئن كانت ضيقة المجال صغيرة المساحة لكنّها حسنة البناء مكسوٌّ خشبها الخارجي بالآجرّ المدهون والطوب ذي المينا وقد شاهدنا بها انواع طيور بهية الريش وضية الالوان وحاصلات البلاد واهمها الكاكاو وهو لوز بني اللون يدخل في تركيب الشوكولاطة ويتلوهُ في الاهمية البن ثم الاخشاب والمعادن والكاوتشوك

مقصورة شيلي

كانت مقفولة مدة زيارتنا المعرض فما شاهدناها

مقصورة بوليفيا

رئيس جمهوريّة بوليفيا يدعى ارنشه وهو من ذوي الثروة الطائلة وكبار الاغنياء اكتسب ثروتهُ بما يملكهُ من مناجم الفضة في بلادهِ وقد كان سفيرًا لحكومتهِ في باريس واحبَّ الاقامة بها وتولّع بمجتمعها فلما انتخب رئيسًا لجمهورية بلادهِ غادر باريس عاقدًا الولاء مع الفرنسيس ومذ حطّ الرحال في بوليفيا بادر في اقناع مجالس الدولة بلزوم الاشتراك في المعرض فاذعنت لرأيهِ وقرّرت اعتماد ثلاثماية الف فرنك اسعافًا للعارضين

والمقصورة مبنية على شكل غريب باربعة ابراج على نسق ابنية بوليفيا الحديثة ووجدنا بها انواع المعادن من فضة ونحاس ومنغنيسيا ومجموع حيوانات مصبَّرة والكاكاو والبن وكثيرًا من الحبوب

مقصورة فنزويلا

ما شاهدنا بها شيئًا كمقصورة شيلي

مقصورة المكسيك

هي غرة في جبين البناء الاميركاني ودرة في عقد المقاصير انفق عليها المال الوفير وما ضُنَّ في سبيل زخرفتها بالقليل ولا الكثير لان جمهورية المكسيك بسطت كفَّ الكريم في الاشتراك بالمعرض وعينت مليون فرنك لبناء صرحها ووكلت سنيرها بالترأُس على العمدة العاملة في باريس المؤلفة من مشاهير ابنائها المقيمين في فرنسا واسبانيا فقامت اللجنة في مهمتها خير قيام وشاد المهندس المكسيكي انطونيو انزا هذا الصرح على نسق البناء الذي وجدهُ الاسبانيون في المكسيك اوان الفتح ولا يجهل حافظ التاريخ ان بلاد المكسيك حين اكتشاف اميركا كانت ارقى في العمران والحضارة من سواها في تلك الاصقاع المحجوبة وقد اشار في واجهة البناء عن معابدهم برسمهِ هيكل الشمس ووضع على الجدران صور ملوكهم ومعبوداتهم السابقة مرسومة على الواح نحاسية والبناء كلهُ من الحديد والصلب والفولاذ ومساحتهُ ٢١٥٩ مترًا مربعًا

وشاهدنا ما بهِ من المعروضات وهي وافرة بين ازهار واثمار واشجار وحبوب وبزور وقراطيس وخرائط وكتب ومطابع وفلذ صخور واحجار ومعادن واخشاب للاثاث وللبناء والياف للنسيج وتبغ باوراقهِ او مصنوع مبروم او مفروم وسكر وحلوآت وخمور ومستقطرات

مقصورة الجمهورية ارجنتين (او الفضية)

بلاد ارجنتين خصيبة التربة وفيرة الكلإِ والمرعى قليلة السكان بالنسبة الى اتساع البلاد ولذلك قد بذلت الحكومة ما في الوسع لاستجلاب الغرباء واحسان الوفادة واقطاع الاراضي الجيدة التربة الغامرة لتصير عامرة بهم فهاجر ولا يزال يهاجر اليها العدد الكثير من الايطاليان والاسبانيين والفرنسيس وينزلون بها على الرحب والسعة وربما هذا الميل بها لعمران بلادها قادها الى الاشتراك بالمعرض لتظهر ثروة بلادها ووفرة

حاصلاتها وان بلادها بلاد التبر والنضار فصرفت في سبيل الفخفخة ما فوق طاقتها لانها انفقت مليونًا وربع من الفرنكات لتشييد صرحها حتّى يكون لها المقام الاول بين جمهوريات اميركا الجنوبية فجاء صرحها طبق مرامها غاية في الحسن والابهة وقد اشتغل بهِ مشاهير المصوّرين والدهّانين والنقاشين الباريزيين وشادهُ المهندس بالو على نسق بديع اشبه بالقصور الحديثة تتوسطهُ قبة عليا مكتنفة باربع صغرى وللقبب كؤوس زجاجية غير بسيطة بل كهربائية بجنازها نور الشمس نهارًا وتسطع بنور الكهرباء ليلاً وعددها تسعاية فمنظرها مدهش ليلاً

والقصر مبني طبقتين مساحة السفلى ١٦٠٠ متر مربع والعليا ١٤٠٠ والكل من الحديد والصلب والخارج والداخل مزخرف باحسن النقوش ومدبج بالخزف ومرصع بحجارة ثمينة ومنصّص بالنسيفساء وقد رُكّب البناء بنوع يستطاع تفكيكهُ ونقلهُ الى بوينس ابرس عاصمة الجمهوريّة

الذي عايناهُ من معروضاتها القطن والسكر والشاي والتبغ والكاكا والبن والاشجار والاعشاب والنباتات العديدة المختلفة لان البلاد كما ذكرت خصيبة المرعى والكلاء ولذلك اهمّ تجارتها بالحيوانات فانها ترسل الى اوربا آلاف آلاف من المواشي سنويًا عدا اللحوم المحنوطة وخلاصة اللحوم ومن افيد ما نظرناهُ آلة لكبس اللحوم وحفظها غضّة طريّة خالية من شائبة النتانة والفساد

مقصورة برازيل

كانت حكومة البرازيل امبراطوريّة على عهد المعرض وامبراطورها دون بدرو متجولاً بفرنسا سنة ١٨٨٨ وكان اعيان وتجار البرازيل راغبين في الاشتراك بالمعرض فعينوا لجنة في باريس ووجّوها بمخاطبة الامبراطور بهذا الصدد فما عارض وهو الوحيد من الاباطرة الذي رضي عن طيبة خاطر بالاشتراك رسميًا في المعرض فصرّح عن قبولهِ لمجلس

النواب وهذا قرّر نفقة ثمانماية الف فرنك يضاف عليها نحو مايتي الف فرنك جمعت بالاكتتاب . وقد خُصِّص للبرازيل ١٢٠٠ مترًا مربعًا بجانب برج آفل فشيد الصرح ثلاثة طوابق على اربعماية متر تعلو الطابق العلوي قبة زجاجية وبرج مربع علوّهُ اربعون قدمًا يتضمّن السلم الموصلة الى الطوابق

القصر جميل البناء منظرهُ قَيْدُ النواظر مزخرف زخرفة حسنة رسمت عليهِ تماثيل ستة كناية عن الانهر الستة الكبار التي تروي بلاد البرازيل وتبعث بها الخصب يكتنف التماثيل رسوم انجم واعشاب تنمو على ضفاف الانهر ونقشت على اركان البناء طغراآت الولايات يتوسطها رمز العلم البرازيلي ورُقمت الجدران بخطوط من الخزف اللميع

وجدنا البناء الداخلي من الحديد المدهون نقشت جدرانهُ وسقوفهُ بأكاليل وطاقات من الازهار المذهبة تلتصق بالقصر حديقة اشتملت على نباتات البرازيل غضّةً يتوّج رؤُوس قدودها الازهار وقد تفتحت اكمامها او السنابل وقد انشقّ لثامها او الاشجار وقد تمايلت اغصانها او الانجم وقد اورقت افنانها وبالحديقة حوض تسخّن ماؤُهُ بالحرارة الصناعية وينبت فيهِ فيكتوريا ارجيا وهو نبات مائي عظيم الشان يبلغ من الكبر والشدة ما يكاد يُرتاب بخبرهِ لولا ثبوت خُبْرهِ فانهُ يحمل طفلاً صغيرًا على ورقةٍ من اوراقهِ العريضة البيضاء

وشاهدنا من معروضات البرازيل حاصلات وافرة اهمها البن الذي اشتهرت بهِ

لقد انتهيت من الكلام عن القصور الاميركية وقبل الانتقال من الجناح الايمن اجتاز الحدائق والرياض والقهاوي والمطاعم متخللة هذه القصور والج قصر الفنون الحرة وهو خاتمة كتابتي عن الجناح الايمن

قصر الفنون والمهن

او الصرح الجامع تاريخ الشغل المشتمل على بيان مسالك الصنائع ومعارجها والمواد الداخلة في تاليفها منذ الاعصر الطاعنة في القِدَم وهو معرض برفُّ نورهُ في روض من الفوائد مونق ويشفُّ نورهُ عن رونق من الحسن مشرق يُرِي الزائر مدارج التقدُّم ولآتِهِ بنظام عقدت فرائدهُ بالترتيب التاريخي ويفيد المستفيد عن مناهج الشغل اليدوي والآلي التي بمواظبة التطرق تمهد وعرها وتسهل صعبها حتَّى صارت فسيحة الرحاب واسعة الجناب تنقل بالاتها الاطواد كالقباب وتمكّن أعاظم الاعمدة كالاطناب وقد جدَّت ادارة المعرض جهد المستطيع في تطبيق المناظرة بين العدد والآلات السابقة واللاحقة فتعذر عليها البعض وتيسر لديها البعض بحيث ان الدول تضنُّ على وتر المقتنيات العاديات التي لا شفع لها ضنَّ الجبان بروحهِ فاضطرَّت ادارة المعرض ان تعتصم بالتقليد ادراكًا للمنى فيشاهد الزائر في حلقة الآلات التجاريَّة اول آلة اخترعها ستفانسن (نسخة طبق الاصل المحفوظ في متحف سوث كنزيكتن بلندرة) تناظر الآلة البخاريَّة الحديثة الخارجة من معمل كروزو الشهير فيرى البون الشاسع بين الحداثة والكمال وفي حلقة النظارات تلسكوب غليليو (مثالاً منهُ والاصل محفوظ في متحف البندقية) يضاهيهِ التلسكوب الجسيم المصنوع لمرصد نيس فيحكم بالفرق بين الطفولة والقوة والفرق مثل الصبح ظاهر

بيد ان الحكومة الفرنسوية لم تألُ جهدًا من التماس الآلات الاصلية الباقي منها اكثر من آلة وأُخذت على سبيل العارية من انكلترا عاديات عدد وافرة كاول قطار حديدي صُنع الى الدوق ولنتن الشهير فوجدناهُ موضوعًا بازاء حجرة قطار فاخرة صنع اليوم

ويشتمل هذا القصر على اربعة اقسام — القسم الاول لعلمي الانثروبولوجية

والاثنوغرافية القسم الثاني للفنون الحرة القسم الثالث للمهن القسم الرابع لمعدات النقل وجر الاثقال

وانتخب لكل قسم لجنة من العلماء والادباء تدبّر مهامهُ ولجنة عليا مرأَسة عليها طرًّا ولها المرجع الاعلى رئيسها جول سيمون السياسي الفيلسوف ونائباهُ الاميرال لاغرافيار وكاترفاج عالمان مشهوران وعضوان بالاكاديمية وانتدب المهندس سديل لبناء القصر وتخطيطهِ فجاء محفلاً في اجمل حلة واجل حلية

فشاهدنا في رحبة الحوش الاول تاريخ المراسح بمعداتها وآثارها المحفوظة من سجوف وادوات زينة و براقع وغدائر وملابس ومطارف حتَّى سائر لوازمها الراهنة وتاريخ التصوير باقدامهِ واحجامهِ مع عرض امثلة من كل عصر والادوات والمواد المستخدمة في تصوير ذاك العصر كالقماش والشمع والزيت وما اشبه حتَّى التصوير الحالي ومعداتهِ وتاريخ النقش في بيان نموذجات منهُ يصعد اول مثال منها الى ارقى درجة في سلَّم قدميتهِ وآخر مثال الى صنع جيلنا مع رصف المواد التي استخدمتها اجيال الناس في الحفر والنقش كالمرمر وانواع الاحجار والنحاس والشمع والعاج وتاريخ الموسيقى بعرض آلات الطرب مفتتحة بالعود المصرى المحفوظ في متحف اللوفر عن زمن الفراعنة متناسقة بآلات طرب اصناف الخلق واجيالهم الغابرة مختتمة بالبيانو الحاضرة وتاريخ الكتابة الخطية والمنشورات والاعلانات فعاينت كتابة اكثر مشاهير الرجال منذ قرنين واكثر واعلانات الثورة الفرنسوية فما بعد وكل ذلك نسخ اصلية لا منقولة وتاريخ التنجيم والرصد وصفتّ الادوات المخترعة لهذا الشان وتقدمها مع تقدم الزمان وتاريخ الكيميا بعرض موادها التي يكلُّ الوصف عن تعدادها فهي بحرٌ لا يعرف لهُ ساحل

وانتقلت الى الحوش الثاني فتلوت من معرض مشاهد تاريخ الانسان

(علم الانثرو بولوجيا) موضوعاً بقوالب مسبوكة على الاقوال المنقولة او منقولاً من موضوعات الارماس ومحنوظات التحنيط فتمر لدى هذه الاجسام الخرساء وتخال نفسك في منطاد سريع الطيران يسير بك سرعة البرق فوق بلدان المسكونة فترى سكانها باجسامهم وهيئاتهم والوانهم ثم ينقلك الى عالم الارواح فتتقمَّص في اجسامها الاصلية رغبةً في زيادة معرفتك وترى اصناف الاجيال الغابرة حاضرة لديك خالعة العذار عارية الاجسام وملقية رداء الخجل حبًّا بافادة حفدتهم زائري المعرض عن هيئات واشكال اجدادهم السالفين

واجتزت منهُ الى الحوش الثالث فتجلَّت لنا بهِ الخرائط الجغرافية قديمة وحديثة متناسقة بحسب درجات سنّها مشيرة الى معارف الاعصر في علم الجغرافية ومقدار علم السالفين عن جسم والدة الجميع (الارض) ثم آلات الجراحة منبئة بتفنن عِدَد المتأخرين وحسن اتقانها عن الشأو البعيد الذي ادركوهُ بهذا الفن ثم الى الحوش الرابع الشامل ذرائع النقل وجر الاثقال فالفيت بهِ كلما تستطيع ان تجمعهُ امة قويّة وغنية ومتنورة من آلات النقل القديمة والحديثة والادوات التي تشيد الجسور والطرق الحديدية والمنائر والمركبات والمراكب والسدود والحواجز ونظرت صفًّا طويلاً انخرطت في سلكهِ عربات عديدة متنوعة الاشكال مختلفة الزخرفة اصلية غير منسوخة مجموعة من ثلاثة اجيال مضت يدلُّ صنعها وزخرفها عن رتبة الصناعة ودرجة الذوق في زمان عملها وشاهدت زهاء خمسة آلاف رسم تصوَّرت بهِ الآلات والمعدات والادوات التي ذهب اثرها وبقي خبرها منذ الفي سنة قبل التاريخ المسيحي الى اليوم مع رسوم الاثقال الهائلة التي رفعتها كمسلات مصر وعمد آثينا وتدمر ورومة

وامممت الحوش الخامس فبرزت لنا عرائس الصنائع في اخدارها هنا حجرة مهندس والادوات الداخلة في صناعتهِ وهنالك حجرة سكّان متضمنة

الآلات والمواد اللازمة لحرفتهِ مع اشكال المديات والخناجر المصنوعة تحاذيها غرفة زجاجٍ مع سائر لوازمها حتَّى المواد التي يتألف منها الزجاج البسيط والملوَّن والبلور ونموذجات من مصنوعاتهِ تدانيها حجرة مصوِّر شمسي معروضة بها الآلة الراسمة منككة ومركبة والاوراق والدهان المستعمل وعليهِ قِس حوانيت الصائغ والطبَّاع والصبَّاغ وما اشبه

ومما طاب لي رؤياهُ في هذا القصر الفاخر بموجوداتهِ الرائع بذاتهِ معروضات المنطاد (البالون) باشكالها المتقلبة مع تقلبات عمرهِ منذ تمخض بولادتهِ مخترعهُ منغلفيه حتَّى صار الى عهد المراهقة في يومنا الحاضر والامل ان يبلغ اشدَّهُ في عهد قريب

خرجنا من قصر الفنون والمهن وعُجنا من الجناح الايسر بقصر الفنون الجميلة في الجناح الايمن وهو مبنيٌّ بازاء القصر السابق ذكرهُ و يرادفهُ في شكل البناء الخارجي لتمام المناظرة والمقارنة

قصر الفنون الجميلة

ولجنا القصر من باب الرواق المدعو رواق راب نسبةً الى الشارع المشرف عليهِ وهذا الرواق النسيح يتضمن نموذجات من التماثيل التي نحتها نحَّاتو الفرنسيس منذ عشر سنين واكثرها محكم الصنع رقيق الاشارة يومي الى حوادث تاريخية او رمزية او تماثيل افراد تستوقف نظر الرائد المستعجل ومع اني اتَّخمت من رؤيا التماثيل في ايطاليا وجدت معدة النفس متنبهة برأى بعض هذه التماثيل فاكلت بالاحداق بعضها واخص منها التمثال الراسم ميرابو واقفاً على السلم متبوعاً من زملائهِ نواب الامة ومخاطباً الحرس الملوكي بهذا القول المأثور: وجدنا هنا بامر الامة واليها المرجع فلا نخرج الاَّ بحدّ الاسنة

دخلنا من الرواق الى القصر فوجدتهُ شاغلاً من الصور المجموعة من فرنسا وسائر دول اوربا ما لو صُفَّت نخبها فقط على خطٍّ مستقيم لاشغلت

مسافة خمسة آلاف متر وقد اشتركت سائر الدول حتّى المانيا في معرض الفنون الجميلة وعارضت بعضها البعض منافسةً في بدائع التماثيل ونفائس الرسوم التي انتجتها اقلام المصورين ومناقيش الناحتين ويكلّ اللسان عن وصفها واليراع عن حصرها

ويكتنف هذين القصرين المتقابلين على دوائرهما الخارجية مجالس انس وحانات وقهاوٍ ومطابخ

كتبت يسيرًا من كثير عن هذا القصر الجميل لئلاَّ يملّ القاري من شرح التصاوير والتماثيل فاخرج منهُ الى مقصورة موناكو المجاورة لهُ

مقصورة موناكو

ضيقة المجال لكنّها حسنة الهندام رائقة المنظر على الذوق الايطالي بُنيت على نفقة شراكة الحامات في موناكو وشراكات اخرى خاصة مساحتها ٢٠٠ متر مربّع رُقمت جدرانها بالدهان الاحمر والابيض كرقاع الشطرنج واحاطت بها الحدائق احاطة المعصم بالسوار واهمّ المعروضات بها المياه العطرية وبعض الاشربة والخذف وبعض النباتات البحرية جمعها ولي عهد الامير من لُجّ البحر في سياحتهِ العلمية التي افاض عنها في المجلة العلمية المدعوة رفوده دومند

خرجت من مقصورة موناكو متمشيًا بين غياض مخضرة مارًّا ببيت الفلاَّح الروسي ومرسح فرنسوي حتّى وصلت الى غرفة مقطع الماس الهولاندي الذي سبق التلميح عنهُ فولجتهُ

مقطع الماس

ووجدتُ الصنَّاع مكبّين على اشغالهم امام موائدهم هذا يقطع الماس وآخر يسوّيهِ وثالث يجلوهُ وبعد ان نقطع الماسة توضع في قالب يدور بقوة غازية فتتسوّى على الشكل الذي نراهُ بهِ ثم تجلى وقد كان يدار هذا القالب فيما مضى بلولب تحركهُ الارجل وقيمة الماس الموجود بهذه الغرفة

تبلغ مليوني افرنك • انتقلت منهُ الى بانوراما سفن الترانسأتلانتيك

وهو مرأى يعذب للعين ورده فانك تلج بهِ كانك سائر الى ظهر سفينة من هذه السفن الشهيرة العظيمة التي هي في المرتبة الاولى بين نوعها وتحدق نظرك بما تراهُ فتحسب نفسك في قاعة استقبال احدى سفنها تحفُّ بك الموائد الفاخرة والستائر المخملية والمقاعد الدمقسية وتقف على الطَرَف فتطلُّ على البحر وجون السفن في الماقر وكلما تراهُ خيال والحقيقة قماش جسَّمهُ المنظار

عرَّجت من هنا الى القاعة المجاورة

قاعة المواد الغذائية

هي قاعة ام سوق ام بلد لا ادري ما وصفها فقط اعلم ان مساحتها ثمانية آلاف متر مربع والعارضون بها ثلاثة آلاف نسمة عرضوا بها مصنوعاتهم من المآكل والمشارب مدموغة بشاراتهم وطوابعهم فهي مائدة الموائد جمعت كلما طاب وراق ومطبخ المطابخ قام في خدمتهِ احسن الطهاة

سِرْ معي ايها القارىء الى القسم السفلي من هذه القاعة المبني على ضفة السين والمخصص للمدام والخمور وشِمْ قوارير الخمور مبنية كالبيوت طبقات منضدة فوق بعضها ونقرأ اسماء لا اوضاع لها في لغتنا العربية الانوفة من التفنن بالمسكرات والتي اذا جُمعت مع اسماء الاعلام صنّاعها وتجارها لالَّفتْ قاموساً واياك الوقوف امام الحانة المركزيَّة لئلا يسطو عليك شعاعها فتصير من الندمان وأُلفاء المكان وتوقَّ بنت الدنان (شامبانيا) لانها في بيت ابيها تأْسر اللب واللسان وتسحر الذوق الى حد الافتتان وغضّ الطرف عن كل رفيق الجام صافي المدام وملْ الى صورة رُسمت بها الكرمة منذ غرست حتَّى حبس عصيرها في قارورة تفرقع حين فتحها فرقعة البارود وتنشبُّ شبوب الفوارة وترغي مثل الشلاَّل واقرأْ

الشرح عن هذه الاستحالات لفائدتها العلمية ثم اعطف على بناء متزوِ خشبي تركهفا شبيها بالذي تنضج فيه الشامبانيا والمعاصر والخوابي والمناخل وسائر المعدات

ومتى انتهيتَ من رواق الاشربة عِجْ برواق المآكل وقِفْ هنيهة لدى معرض البراميل وتامل بالبرميل الجسيم الذي ذاع ذكرهُ فملا الاسماع فالصهاريج تعجز عن ايعاء ما يوني فان وزنهُ عشرون طنًا ويسع الف وخمساية هكتوليتر وقد اضطر صانعهُ لنقلهِ ان يحملهُ من مدينة ابرني الى باريس على مركبة يجرُّها اثنا عشر ثورًا

بعد ان قضيت واجب الاندهاش لدى مارد هذا البرميل رقيت الى سلم رواق المآكل فنظرت عند المدخل صانع كعك وبائعهِ (بسكوت) وتأملت بطريقة صنعهِ فهناك معجن يُعجن الدقيق بهِ ثم ينقل الى آلة ترققهُ قطعًا قطعًا الى السمك المرغوب ثم ينتقل منهُ الى آلة قاطعة وبعدها تمرُّ القطع في آلة طابعة ومنها الى الفرن فتستمر بهِ عشر دقائق وتخرج منهُ لفراش المبيع فيشتري الجائع وينتقل الى معمل تقطير بجانب الفرن فيرى الانابيق المعدة للتقطير واواني الشراب وتصفيتهُ فيبلُّ كعكهُ بالشراب حتَّى لا ياكلهُ ناشفًا فيما هو يتفرّس في كيفية التقطير وصنع الشراب الحلو ثم يمرّ على مجهز قهوة يحمصها ويدقها ثم على صنّاع الملبس والمربّى والاشربة الحلوة واخيرًا على معمل شيكولاته

وبين الرواقين المذكورين محلٌّ خُصّ بعرض انواع الزيت والشحم والسمن والجبن

تحاذي قاعة المواد المغذيّة

قاعة الزراعة

وهي قاعة هائلة بالطول والاتساع تمتد من الشان ده مارس حتّى الاسبلاناد انفاليد بسيطة لا زخرفة لها وفخرها فيما حوت

هنا ترى علم الزراعة ضارب الاطناب مشيد الاركان في هذه البلاد الخصيبة ويتحقق المرء عياناً سعادة الامة التي تساعدها الحكومة في نهضة التقدم لا بل تمخضها عليهِ واول شيء يطلع عليهِ الزائر الهمة العليا التي بذلتها الحكومة الفرنساويّة في تعميم المعارف الزراعية فان لوزارة الزراعة قسماً كبيراً معروضةً فيهِ الوسائل التي نفعت بها البلاد كالجريدة الزراعية المدعوة الاحصاء الزراعي التي يكتب بها افاضل العلماء الباحثين عن الاحوال الزراعية ونوزع على المزارعين وارباب الاراضي والنياشين التي تمنحها لذوي السبق في ميدان الزراعة والمدارس الزراعية وفي مقدمتها المدرسة الوطنية الزراعية ومدارس زراعة غرينون وغرانجوان ومونبليه وقد شاهدتُ من الرسوم والاساطير اللاحقة بالجدران عن التجارب الزراعية التي اثمرت خيراً واسماء كثيرين من خيرة مزارعي فرنسا المتلقين العلم في هذه المدارس

وشاهدت معروضات مدارس البيطرة الوطنية (ويقصد بلفظة الوطنية هنا المختصة بالوطن اي الحكومة) لان وقاية المواشي والخيول من توابع الزراعة "ومعروضات المراكز الزراعية" وهي محافل تبلغ الخمسين عداً وتبحث في الزراعة سالكة ثلاث طرق للوصول الى غاية مباحثها الاولى بالطريق الفيزيولوجية الثانية بالتجارب الزراعية في النباتات وكيفية استخدام السماد الثالثة في الافحاص الكيماويّة التي تجريها على الاراضي والسماد — ومعروضات "منابر الخطابة" وهو العلم الزراعي الشفاهي تلقيهِ على المزارعين علماء خبيرون خطباء يقرنون القول بالعمل يسيرون من محل الى آخر ومن ولاية الى اخرى مجرّبين امتحانات علمية زراعية حيثما تحطُّ رحالهم فيقتبس منهم الفلاح كثيراً ثم معروضات «مدارس مبادي الفلاحة» وهي عديدة في ارياف فرنسا

وقد شاهدت من انواع الحبوب والحاصلات كلما تزرعهُ فرنسا

واهمها الحنطة والبنجر (الشمندر)

يلاصق هذا الرواق رواق ثان معدٌّ الى آلات الفلاحة والحصاد وهو مفيد جدًّا للمزارعين وحبذا لو زارهُ مزارعو بلادنا ليروا فضل الادوات الجديدة على القديمة فانها اخف حملاً واشد انقانًا واوفر راحة واحكم عملاً واوفى حاجةً وحبذا لو يستخدم مثلها في بلادنا وقد حازت فرنسا مرتبة عليا في صناعة الغرابيل وآلات الدرس والحصاد والمحاريث ولا يوازيها الاَّ انكلترا واميركا وقد عاينت آلافًا من الادوات ساكنة بمحالها وقد يتحرَّك بعضها في رواق ثانٍ بقوة الكهربائية لكن لم يسعدني الحظ برؤياها

وجلتُ بعدهُ في الغرفة المختصة بزراعة الكرم ووجدت هناك تفاصيل مستطيلة عن الاجراآت العملية التي وقَتْ الباقي من الكروم من ضربة الفيلوكسرا وأنعشت السقيم من حالة نزاعهِ والفضل عائد الى الفيلسوف بستور الشهير والفيتُ ايضًا زاويةً عرض بها خمَّارٌ كبير طريقة اصطناع الخمر والآلات البخاريَّة التي يستخدمها للعصير والتصفية والمصَّاصات التي تمتص وتنضح ٣٥ الف ليتر بالساعة

يجاور هذه الغرفة غرفتان اخريان الواحدة للحشرات المضرة والنافعة ونظرت انواع الحشرات المضرة ورسومها اما الحشرات النافعة فالمقصود بها النحل ودود القز ففرنسا لا تعتني بتربية النحل لكنها في مقدمة الامم الآخذة بتربية دود القزّ حتَّى صارت مصدر بزورهِ لان بستور بعلمهِ وابحاثهِ عالج الداء العارض على بيض القز (البزور) فوقاهُ من الآفة التي كانت تمزرهُ

والغرفة الثانية مبنية على ضفة السين وبها معرض تربية الاسماك والاصداف الحيوانية فانهُ علم خاص ذو فائدة عظمى بهِ تنقل الاسماك وتولد في الحياض او الانهر او البحيرات وتنمو فتصير مورد معاش ومنهل مكسب

للصيادين وقد ربح الفرنسويون من تربية الاصداف الحيوانية المسماة (ويتر اوغندوفلي بلغة اسكندرية الايطاليانية) فانهم حفروا على الشطوط البحرية حياضاً تجتمع بها المياه المالحة المتصلة بالبحر وتنمو على شطوطها هذه الاصداف

خرجنا من هذه القاعات العظيمة معرّجين بطريقنا على مقصورة فنلاندا التي شادها هذا الشعب القطبي على نفقتهِ وليس بها ما يستحق الذكر سوى صناعة الاخشاب ولا حرج على هذا الشعب النشيط لقلة بضائعهِ بل على مناخ بلادهم التي تغيب الشمس عنها بضعة اشهر

ثم ولجنا قاعة البترول وهي بجانب جسر يانا وقد عُرضت بها الادوات والآلات الفاعلة في استخراج البترول والنفط ونقلهِ وتصفيتهِ وتكريرهِ وبها سلّم مؤدية الى بنوراماتري رسم المستودعات في مقاطعة واشنطون باميركا وكيفية استخراج النفط في سفح بلاشان بقرب باكو الروسية

رواق الآلات

قبل ان اختم الكلام عن الشان ده مارس يجب عليَّ الالمام بشيء من الرواق الاعظم المسمّى رواق الآلات . والمشاد خلف قصر الصناعة وقد كان يجب عليَّ ذكرهُ بالترتيب بعد قصر الصناعة لكني ابقيتهُ للآخر لعظم اهميتهِ وقد جمع هذا الرواق او القصر الباذخ الواسع الشاهق نمطاً من غرائب العصر وبدائع مخترعاتهِ وعظائم آلاته وهو ذاتهُ بدعة من بدائع البنيان ينطق ببيان العيان عن قوة الآلات بهذا الزمان

ولجنهُ وابلغ الايجاز في وصف اتساعهِ ان امتداد البصر يكاد لا يبلغ اخرهُ فطولهُ ٤٢٠ متراً وعرضهُ ١١٥ متراً وعلوهُ ٤٨ متراً وهو رواق واحد غير مقطوع ولا منفصل متين العمد الحديدية المؤسسة على اطراف البناء والوسط خالٍ من الاعمدة والعضد كانهُ ساحة مجال والعجب

العجاب في بنائهِ انهُ مقبوٌّ رغمًا عن هذا الانساع الهائل والسقف المحدب مكسوٌّ ببلور سميك ينفذ النور ويحجب الشعاع ويستند على عوارض حديدية مرتكزة على عمد الاطراف ومساحة مجالهِ ثمانون الف متر مربع يأْوي حين الحاجة ثلاثين الف جندي واثني عشر الف جواد مع فرسانها في الرواق العالي الدائري ولا ريب ان البناء متين ومحكم الصنعة وهو ثمين ولو كان حديدًا لانهُ سبيكة من الباب ذهبية وضنًّا بصفاء هذه الالباب وشهرتها اسجّل ذكرها بهذا الكتاب فالبنّاء الراسم يدعى دوتر والمهندسون الذين اتبعوا الرسم وشادوهُ كنتامينْ وبيادون وشَرْتن

منظر البناء يدهش ولكن لا يفيد سوى المهندس انما الآلات وحركتها والمعامل ومصنوعاتها تفيد كل الزائرين

وليعلم القارئ ان القوة الكهربائية التي حرَّكت المعامل والآلات توازي ٥٥٠٠ حصان وقد نصبت في وسط الرواق اعمدة حديدية على علو سبعة امتار والمدى بين الواحد والآخر ١١ مترًا ترتكن عليها عوارض حديدية متصلة تسير عليها القوة الكهربائية وتحرك بكرات معلقة بها والبكرات تدير سيور جلود والسيور تحرّك الآلات وكان يتمشى على هذه العوارض جسر سيَّار من الطرف الى الآخر ذاهبًا آيبًا حاملاً من يروم من الزائرين متحركًا بقوة الكهرباء وهو من بدائع المعرض استنبطهُ العالِم فيكرو مدبر الخدمة الالية والكهربائية في المعرض

ولنبدأْ في الجولان بهذا المضمار الفسيح ونأْخذ جانب اليسار لننتهي باليمين فنجد على يسارنا القسم السويسي التي ابدت بهِ سويسرا آلات عديدة تتحرك بقوة الخفاء ولا خفى ان هذه البلاد ذات جبال شاهقة وانهار متدحرجة فاستخدم الشعب قوة تدحرج الماء وسقوطهُ من علٍ في تحريك معاملهِ وقضاء حاجاتهِ وقد شاهدنا معامل الغزل والحياكة تدور وتشتغل والآلات التي رفعت مياه شوفُنْد من اعماق الارض وآلات كهربائية

وغازيةٌ متعددة ثم القسم البلجيكي فشاهدنا الالات المروّحة التي عملتها شراكة كوكريل لتنفخ الهواء وتبعثهُ في المناجم وآلات غزل وآلات كهربائية وبخاريةٌ ومعمل ورق نابر ورؤياهُ يسر الخاطر جداً فيرى الزائر الخِرَق كيف تصير بالانضمام الى بعض الاجزاء عجينًا ايضًا سائلاً كرغوة الصابون ثم يتدحرج من الخلقين على مصافٍ متدرجة باتساع المناخل وضيقها حتَّى يصير السائل عجينًا رخوًا مرفوقًا فيدور على محاول حارّة ملفوفة باللبّاد ترقّقهُ وتنشّف مائيتهُ حتّى يصير ورقًا وهناك آلة قاطعة تقطعهُ وآلة اخرى تقطع الورق على شكل المغلفات

يتلوهُ القسم الاميركي للولايات المتحدة فرأيت كثيرًا من الالات القوية انما الاهم بينها الآلات الكهربائية ولا اكتفاء للولايات المتحدة في هذا الباب لان مخترع الكهربائية اديسن اميركي ومن جملة العارضين ولهُ غرفة مخصوصة بهذا القسم يحيط بها عشرون الف مصباح كهربائي ومملوءة بآلات الفونوغراف وخلاف آلات كهربائية وبجانبهِ آلات قويةٌ كهربائية لشراكة طمسن هستن ولكومبانية بل التلفونية وابدع ما شاهدت اقلامًا كهربائية تكتب الف نسخة بالساعة فيكتب الكاتب اساطير على ورق مخصوص بالقلم الكهربائي فينتقش الخط على الورق و بوضع القرطاس المنقوش على المحبرة فتؤخذ عليهِ النسخ

القسم الانكليزي في رواق الالات منحطٌّ جدًّا عن مرتبة هذه الامة في اصطناع الالات فاما ان اللجنة الانكليزيةّ توانتْ عن شمولهِ بعنايتها او انّ مصاريف نقل الالات والمعامل باهظة ما شاء افراد الانكليز تحمل نفقاتها واحقُّ شيء يذكر فيهِ آلة للسحق اذا وضعت ارومة شجرة تحت مطرقتها امست مسحوقًا ناعمًا . لم تشترك سوى هذه الدول الاربع في رواق الالات واشغلت الباقي من مجالهِ الفسيح آلات فرنسا التي ادهشت الزائرين في قدرة صناعتها في كل فن

فشاهدنا هنا معمل ورق دار بلي والكاغد المصطنع متين وملس بفضل عن المعمل البلجيكي المار ذكرهُ ومكابس الطباعة ومعمل ورق سيكارة تدور كلها على آلات بخاريّة

ثم آلات الطواحين ومعامل السكر وآلات المناجم فنظرنا الادوات التي تستخدم في استخراج الفحم الحجري وباقي المعادن ثم الالات والادوات الكهربائية وهي عديدة من اهمّها البكَر الرافعة الاثقال التي رفعت العمد الحديديّة لبناء برج آفل وآلات الضغط على الهواء والباثقة الانوار في اعلى المنائر وآلات التلغراف والتلفون والساعات المضيئة في لجج البحار واعماق المناجم

ثم الرافع المائي شبيه الالة التي كانت ترفع القطع الحديديّة في برج آفل وتوجّهها حيثما يريد الصانع وآلات النجارة للقطع والحفر والتنزيل وآلات الطوب والاجرّ والخزَف وآلات الكيميا والصيدلة والاقرباذين وآلات التلوين والصباغة والاضاءة بالغاز

ثم آلات النسج والحياكة والغزل والفتل والتطريز والتخريم وتليين الحرير وطي الشقق وآلات الخياطة والتفصيل وآلات الاسكاف وآلات دهان الورق وتلميعهِ والالات الصابّة احرف الطباعة ثم الات السكك الحديديّة وادواتها من خلاقين وقضبان ومحاور وعجلات ومنائر ومفاتيح ومغالق ومخدات للقضبان ثم آلة الالات اي الالة التي تركب الالات تطوي وتثقب وتجعِّد وتملِّس وتبرِّد وتقطع اي معدن او مادة أريد صنعها وتلعب بها كالانامل بالعجين او الشمع

ثم شاهدنا آلات يدوية لعمل الحبال والامراس والخيوط والالات والازرار والدبابيس والفُرَش والمغلفات وسد القوارير والتجليد وصنع السيكارات واكياس النموذجات (عوينات او مساطر) والعُرَى ومشوط الشعر واكثرها تشتغل امام الزائرين

ثم آلات البناء كآلات الحفر والرصّ التي استخدمت وتستخدم في ترع السويس وبناما وفرنثية والالات الوازنة ثقل الاحجار النوعي لتختبر قدرتهُ على احتمال الاثقال فوقهُ وادوات القطع والهندمة والبناء وادوات صانع الاقفال والزجّاج والدهّان والالات التي تستخدم في عمل الارصفة على شواطي البحار والمضخّات والدّراكات (منظفات البحار من الرمال) والالات المستخدمة في حفر الترع وعمل المواني وتشييد الجسور . وبعد ان شاهدت كل هذه الالات الدالة عن تمدن صانعيها والعائدة على رفاه الحياة وراحة بني آدم خرجتُ كاسف البال حزينًا متذكرًا بالشرق قائلاً ياوطني متى تهبُّ من سنة النوم وتنهض لمثل هذه الاعمال فنرتاح الى البقاء بك ونفتخر بالانتساب اليك وهل ترى عيناي فيك مثل هذه المناظر قبل ان يغلق اجفانهما حارس المنية

لنودع الشان ده مارس مزوّدين منهُ بنظرة طبع رسمها على لوح الفؤاد ونجتاز جسر يانا فنجد عند مدخل المعرض هنا جسرًا خشبيًّا ينتقل بهِ الزائر فوق شارع بيلي وهو رصيف ضفة السين جهة التروكادرو

التروكادرو

تنزل من الجسر الى ممشى مكتنف بالحدائق الغناء والمروج الخضراء تصعِّد الزهور الباسمة انفاسها العطرة وتزدهي النباتات اليانعة بالوانها النضرة وتستنشق الهواء عليلاً بليلاً مطيّبًا معطّرًا

انعم بالزهور ما اطيب اريجها وانعش ريّاها وابهى رؤياها وقد غدت في ايامنا بهجة الافراح وسلوى الاحزان فبها يستقبل المولود ويكلل الزواج ويشيّع الفقيد وهي الخل الوفي الصفي الرفيق من الحياة الى الممات حتّى الى اللحود وتهوى من يشاكلها في طيب الارج ورقة الحاشية ونضارة المنظر اعني النساء ولا غرو فشبيه الشيء منجذب اليهِ ألا تراها زاهية على رؤوسهنّ فائحة بين صدورهنّ زاهرة على موائدهنّ

ولما كان للزهور والنباتات مقام عظيم في كل العصور لاسيما في جيلنا ارتأَت ادارة المعرض ان تجعل لها نصيبًا في المعرض فبذلت عنايتها في عرض النباتات وزرع الزهور واشجار الفاكهة والبقول في بستان التروكادرو وقسَّمتها وفصَّلتها على نسق رائق للنظر واصبح البستان في غياضهِ ورياضهِ والماشي المتخللة بينها كانهُ معصم مخضَّبةٍ خضابهُ الرياض المخضرة ومماشيه الخطوط البيض

أَتريد حجَّةً على اتساع البستان وتعدُّد نباتاتهِ وزهورهِ انَّ بهِ من صنف الورد ٤٥٠٠ شتلة وقد الفينا بين غياضهِ قصرًا لوزارة الاشغال عرضت بهِ رسوم اعمالها في فرنسا و بناءً فسيحًا مشيدًا من اشجار الغاب واغصانها وعيدانها ويشتمل على نموذجات الاشجار واخشابها المزروعة في غابات الارض وطول البناء ٤٢ مترًا وعرضهُ ١٦ ونظرنا ضمن البناء كوخًا بهِ صور احراش بديعة تنطق باحسن بيان عن مهارة مصورها

هلمَّ بنا بعد النزهة في البستان ورؤْيا النباتات الغضة في الحدائق والاشجار اليابسة في البناء الشجري نصعد الى الرابية المبني عليها قصر التروكادرو او قصر المعرض الغابر سنة ١٨٧٨ وهو مبني على شكل الهلال او القوس وسطهُ اعلاه لانهُ منضد من طبقتين ورواق مكشوف سياجهُ درابزين تعلوهُ التماثيل وخلف الرواق المكشوف القاعة الكبرى تسع ستة آلاف نسمة وتشتمل على الارغن الذي صنعهُ الموسيقي كافاليه كول سنة ١٨٧٨ و يعزف بحركة البخار وعلى جانبي القاعة مأْذنتان شاهقتان علوهما سبعون مترًا يستطيع الزائر الصعود الى احديهما بالمصعد و يدفع افرنكًا وتحت شرف الرواق المكشوف ينابيع مياه تتدفق متدحرجةً عن علوّ بضعة امتار في حياض متحدرة تحدر الرابية المبني القصر عليها وتحت الينابيع جوق تماثيل رامزة عن نهر السين والجداول المنصبة فيهِ وتماثيل اخرى حول الحياض ترمز عن القارات الست اوربا واسيا وافريقيا واميركا

الشمالية والجنوبية واوستراليا وعلى زوايا الحوض الاكبر اربعة تماثيل ثور وحصان وكركدن وفيل وكل التماثيل من النحاس . وقد خُصَّ قصر التروكادرو في عرض الصياغة الفرنسويَّة من ايام الصليبيين حتَّى اليوم وذلك في القوس الايمن من قاب القصر (القاعة الكبرى) وخُصَّ القوس الايسر بايواء قوالب الرسوم والآثار الفرنسوية قوالب مسبوكة على الآثار الاصلية كواجهة باب كاتدرة شارتر وهيكل كنيسة مار تروفيم وما اشبه من بقايا البناء القديم الفرنسوي وهذا القسم لا يهمُّ سوى الفرنسويين لانَّ اجدادهم لم يبرعوا في الهندسة كالرومان واليونان لتكون بقاياهم مؤنسة وحشة الغرباء انما القسم المختص بالصياغة فوافر الفائدة لزائرهِ وقد التمستْ اللجنة المدبرة من اساقفة الكنائس الاواني الفضية والذهبية المحفوظة من الايام السالفة في الهياكل فاجابت الاساقفة ملتمس اللجنة وشاهدنا كثيرًا من اواني الكنائس وصورها المفضَّضة او المذهَّبة وصلبانها مغايرة لصور الافرنج بايامنا ومجانسة للنسق القسطنطيني ممَّا يدلُّ عن عراقتها في القدم وشاهدنا كثيرًا من الحلي القديم كالاقراط والخواتم والعقود والدمالج والاساور والخلاخل وقليلاً من اواني المُلْك لان الملك لويس الرابع عشر المعروف بالملك الكبير اضطرَّ بعد حروبهِ العديدة ان يقاوم تحالف اوربا عليهِ فنزع الاواني الفضية والذهبية وادوات الابَّهة والبهرجة وباعها او صبَّها نقودًا ليقوم باعباء الجيش دفاعًا عن الديار والقليل السالم من زمانهِ يبتاعهُ الانكليز والاميركان ولاسيما الروس لان الصياغة في زمانهِ بلغت من الذوق والاتقان درجةً عليا

بعد ان انهينا من مشاهد التروكادرو الداخلية والخارجية عدنا نجتاز الحدائق الغنَّاء مارّين بالاكواريوم (مجتمع اسماك نهريَّة) فنظرنا ما بهِ من الاسماك والسراطين والدبابات التي تعيش في المياه العذبة ثم خرجنا من جنة التروكادرو وانتقلنا فوق الجسر الخشبي عائدين الى

الشان ده مارس لنركب القطار الحديدي ديكو ڤيل عند مدخلهِ ونسير الى القسم الثالث من المعرض ساحة الانفاليد او معرض المستعمرات

فركبنا القطار الحديدي ديكو ڤيل وهو ضيق الخط وممتد من طرف ساحة الانفاليد الى الطرف الاخير من ساحة الشان ده مارس و يسير كل عشر دقائق والاجرة بهِ نصف افرنك درجة اولى وربع افرنك درجة ثانية و يقف في ثلاث محطات متوسطة في نقط المعرض لينزل الزائر حيثما يشاء تسهيلاً لانتقالهِ ووصلنا من محطة جسر يانا عند مدخل الشان ده مارس الى باب فسحة الانفاليد على رصيف اورسي بمدة خمس دقائق

ساحة الانفاليد

ساحة فسيحة طولها خمسماية متر وعرضها مايتان وخمسون فمساحتها ١٢٥ الف متر مربَّع خُصَّت بمعروضات المستعمرات وقد شُيدت بها قصور جميلة على نسق بناء الاهلين الذين تأوي معروضاتهم واول حلقة من سلسلة هذه الابنية قصر الجزائر

قصر الجزائر

الجزائر مستعمرة فرنسويَّة ضمَّت الى املاك فرنسا سنة ١٨٣٠ مساحتها ٢٧٨ الف كيلو متر مربع و يحدها شمالاً البحر المتوسط وغرباً مراكش وجنوباً الصحراء وشرقاً تونس و يبلغ عدد سكانها ٣٣٢٥٠٠٠ منهم ٢٧٠ الف فرنسوي او متفرنس و١٩٠ الف اجانب اغلبهم اسبانيون والباقي عرب وطنيون وقد شاد هذا القصر الجميل المهندس بالو على نسق جامع الصيد في الجزائر فجدران الباب والقبة مكسوة بالخزف مزخرفة على الذوق الشرقي والمأذنة رائعة المنظر تشرف على حديقة غضة جمعت نباتات الجزائر الفاصلة ما بين القصر وسوق المغاربة والسوق بحوانيتهِ ودكاكينهِ كانهُ احد اسواق المغاربة في مدن المشرق حتَّى ان ضيق الزقاق شبيه تماماً لازقة الجزائر والمغاربة حيثما كانوا و بالجامع ثلاث

قاعات فسيحة حاوية مصنوعات الجزائر التي تقدمت في مضمار المدنية ومن اهمّ حاصلات الجزائر الحبوب والخمر وقد اعتنى الفرنسويون في زراعة الكرم بهذه البلاد وفي غرس النخيل في القفار مستنبطين المياه لها من احشاء الارض بواسطة الآبار الارتوازية وبجانب الجامع رحبة بنيت فيها القهاوي ومجالس الانس حيثما يسمع الزائر آلات طرب المغاربة وغناء قيانهم ويرى رقصهنَّ وكان باحد القهاوي مشعوذ عربي يضرب احد فكَّيهِ بالسيخ فيلمع من الفك الآخر وكانت جموع الافرنج من نساء ورجال كثيرة الاختلاف والتردد على هذه المجالس لرؤيا اعمال المشعوذ وحركات الرقص المغربي

البناء في ساحة الانفاليد كالبناء في ساحة شان ده‌مارس متقابل متناسق بفصل الجناحين المتوازيين سكة مغروسة بالاشجار المظللة وقصر الجزائر قائم بالجناح الايسر وتجاورهُ مقصورة تونس

مقصورة تونس

شادها بامر باي تونس المهندس هنري صلاح الدين الخبير باحوال البناء التونسي فجاء البناء في المعرض مقلداً تمام التقليد بيوت تونس وواجهات المقصورة منقول رسمها على واجهة قصر الباردو بتونس وسوق الباي ودار الباي اما الواجهة الخلفية فانها ممثلة بناء القيروان القديم ووسط المقصورة مقبوّ والقبة شبيهة بقبة جامع العقبة وعلى الجانب روشن جميل وهنالك باحة فسيحة تصطف على جوانبها حوانيت الباعة وتشبه بامتعتها سوق المغاربة وطباخ يطبخ المآكل التونسية يلاصق دكانة مجلس انس تشدو وترقص بهِ القيان على الزي التونسي

داخل المقصورة مقسوم الى ثلاثة اقسام الايمن لمعروضات الزراعة والايسر لمعروضات الصناعة والاوسط للآثار والرسوم واستغني عن تعداد الاقمشة فكل من زار اسواق المغاربة في اسكندريّة او مصر او

احدى مدن الشرق يعرف تلك المنسوجات الصوفية المتينة

القصر السري

نسبةً الى السرة من الجسم لانهُ مبني في وسط الساحة وهو احسن قصور ساحة الانفاليد زخرفةً واوفرها اتساعًا واكثرها موجودات وامتعة واكلفها قيمة بناه المهندس سوفستر باني برج آفل على نسق جميل جدًّا

وهو مؤلف من طابقين سفلي وعلوي ويحتوي السفلي على ثلاث قاعات ودائرة متوسطة والعلوي على اروقة مشرفة على الدائرة فيسير الزائر بها متفرجًا على معروضات الطابقين وللقصر قبة شاهقة علوها خمسون مترًا مكسوة بالطوب المدهون داخلاً وخارجًا

وقد جمعت بالقصر معروضات المستعمرات الفرنسويّة التي لا مقصورة خاصة بها في فسحة الانفاليد بيد انهُ ضُمَّ اليها قليل من معروضات المستعمرات الممتازة ببناءٍ مخصوص تكميلاً للمحاسن

ولجناه واستوقف انظارنا مجموع تماثيل مرصوفة تحت القبة في عرصتها والاصنام مضمومة الى بعضها كطاقة زهور وهي رسوم المعبودات البوذيّة منسوخة طبق الاصل فتأمر النفس بمشاهدة هذه المعبودات الغريبة حبًّا بالاستطلاع على كنه معانيها وتستنكف العين من قباحة منظرها فيرتدُّ الطرف عنها حاسرًا كليلاً ومن العجائب ان الساجدين لها التابعين لظلها هم اوفر الاديان عددًا ويحفُّ بهذا المجموع اسلحة واخشاب منصّصة بالصدف والبسة ورياش شرقية يعجز عنها الوصف

عكفنا جهة اليمين فشاهدنا معروضات بونديشري او الهند الفرنسويّة ثم تايتي «جزائر بالاوقيانوس الباسيفيكي» وكاليدونيا الجديدة ومدغسكر وجزيرة ريونيون ومعروضات هذه الجزيرة اجمل حلة وحلية من غيرها

ثم عدنا الى يسار الاصنام فشاهدنا معروضات المستعمرات الفرنسويّة غربي افريقيا وشرقي اميركا وهي سنبيار وميكولن وغينيا والانتيلس

والسنغال والغابون

الاروقة العليا مكملة معروضات ذات البلاد العارضة تحتها في الطابق السفلي وتشتمل على خرائط جغرافية لزيادة الايضاح . خرجنا من القصر مجتازين الروضة الاريضة امامهُ وبها حوض وزوارق انامية تستحق الالتفات اليها وعطفنا الى وراء القصر لنرى أكواخ الزنوج ومساكنهم وقراهم

فمررنا بمطبخ كريول وآخر انامي وببرج صلة تحيط بهِ قرية سنغالية بسكانها من الزنوج فشاهدنا مبيتهم ومطعمهم وبعضاً من صناعتهم والبرج المذكور شبيه بالابراج التي تبنيها فرنسا في السنغال لوقاية جنودها من مفاجأة الزنوج وهو لا يقوى على رمية قنبلة لكن اين المدافع للزنوج السنغاليين

ومررنا في بيوت الاولوف سكان سن لويس بافريقا وهم زنوج ساعون للحضارة وشاهدنا مساكنهم مفروشةً اثاثاً افرنجياً ضنع صناعهم انما البناء من الطين كبيوت فلاحي بر مصر وهم مسلمون وقد شيد مصلًى لهم بجوار مساكنهم على نسق معابدهم وعاينّا مساكن الطورو والنجاون والكيبور من زنوج افريقا

ومررنا بمقصورة مدغسكر المبنية على نسق بيوت سراتهم ثم ولجنا قصر انام والتونكين

قصر انام والتونكين

اللغة الانامية ينطق بها سكان انام والتونكين وكل المستعمرة الفرنسويّة في الهند الصينية ماعدا كمبج وكلهم من عنصر واحد رغماً عن اختلاف ازيائهم وعوائدهم والذي حصلوا عليهِ من الحضارة نفذ اليهم من الصين حتَّى ان مساكنهم مبنية على نسق بيوت كنتون حاشا الزخرفة وحسن الذوق والمواد المستخدمة في ابنيتهم هي الاخشاب وعيدان الخيزران

والاجر والجبس والبناء بالحجر مخصوص بالقصور والمعابد لندرة الحجر الصلد في بلادهم

وقد شاد قصرهم بالمعرض بنّاؤُن اناميون على نمط معبد من معابدهم وكان يتكأكأ الناس عليهم حين البناء و يستغربون قعودهم القرفصاء حين الراحة وقد تفرَّستُ بالانامي او التونكيني فوجدتهُ دميم المنظر صغير القامة افطس الانف نحاسي اللون عريض الوجه اسود الاسنان

والبناء مدهون ومخطط كمساكن الصينيين وهو مربَّع وذو عرصة متوسطة قام بها صنم بوزه مثيل الموجود في هنُوي والتمثال جسيم ويحيط بالعَرَصة رواق دائري اصطفت بهِ تماثيل عظماء التونكينيين

وما بين الرواق والجدران الخارجية غرف فسيحة تشتمل على معروضات انام والتونكين من محاصيل ومصنوعات كالاسلحة والحلي والاواني الفضية والخزف والامتعة المنصَّصة وصناعة الخيزران البالغين بالتفنن بها درجة قصوى . انتقلت من هذا القصر الى قصر الكوشنشين (الهند الصينية)

قصر الهند الصينية

لا افيضُ الكلام عنهُ لانهُ يشبه في كثير من موجوداتهِ وهيئة بنائهِ القصر السابق لتقارب البلدين في العوائد والمشارب وهو مبني على نسق بيوت الكوشنشينيين الذين هم من الجنس الانامي ايضًا و يستدلُّ منهُ ان الاناميين كالرومان القدماء والعرب يشيدون دورهم بعرصات مكشوفة يتوسطها حوض او فسقية تعيش بها الاسماك او تكتنفها الازهار ومن اهمّ حاصلات الكوشنشين الارز والفول السوداني والبن والنيل

معبد انقرواط

معبد بديع الشكل رائع المنظر بني على مثال المعبد الاصلي انما نسبتهُ اليهِ نسبة النجم الى القمر فالمعبد الاصلي موجود في بلاد انقر بمملكة سيام

وقد شيّدهُ قوم الخمير الذين كادت تندثر سلالتهم ويضمحل ذكرهم لولا ان نطقت رسومهم بفضلهم وشهدت اطلالهم عن حضارتهم وقد كشف اخيراً عن كثير من اطلال انقر وأُفصح عن معجم الكتابات المنقوشة و بعضها بتاريخ الجيل الثاني وقد وجد الناقبون بقايا من عهد العصر الحجري واستخلص من تنقيب العارفين انهُ عاش بين الجيل الثالث قبل التاريخ المسيحي الى الجيل العاشر منهُ قوم الخمير واستوطنوا جزءا من بلاد الهند الصينية وكانوا ذوي الباب ومعرفة ونبغوا في فن البناء وآثارهم تدلُّ على انهم اسمى الجنس الصيني الهندي تركيباً عقلياً وكانت حبل العلائق موصولة بينهم و بين الهند

ومساحة المعبد الاصلي ستة آلاف متر و يحيط بهِ خندق عرضهُ مايتا متر وعرض قبتهِ المخروطة ثمانون متراً فلا يتوهم زائر ساحة الانفاليد انهُ رأى الاصل بل يعتبرهُ مثال الاصل كنسبة الرسم الفوتوغرافي الى جسم الانسان المرسوم بيد انهُ قَيْدُ النظر و يستوقف طرف الزائر من اول لمحة فان قبتهُ المخروطة الشكل الوضية المذهبة شبيهة بمظلات (شمسيات) مرصوفة فوق بعضها متفاوتة بالحجم بادئة بالكبرى ومنتهية بالصغرى او بشجرة هندية ذات طبقات مُنضَّدة متدرّجة في الصغر المتناسب حتَّى يستدقّ اعلاها وكل طبقة مؤلفة من غصون متفرعة من دائر الشجرة مشتبكة ببعضها على شكل دائرة تكسوها اوراقها الدقيقة حلّةً خضراء غامقة و يوجد مثلها في حديقة انطونيادس باسكندرية

خرجنا من معبد انقرواط الى

الكفر الجاوي

وهو كفر مؤلف من ستين جاويًا مبنية بيوتهُ من قضبان الخيزران على نسق بيوت فلاحي جاوة (وجاوة او جافا هي الجزيرة الكبيرة في الاوقيانوس الهندي التابعة لملكة هولاندا وسكانها ٢١ مليون نسمة) ولما

ولجناها خلْنا انفسنا في ارض جاوة بين قراها وكان منتصف النهار وهاجرة الشمس تقرب الزعم من الحقيقة واول ما زرنا بيت زعيم القرية فرأينا قضبان الخيزران مسمَّرة باشجار مضروبة بالارض كالاوتاد والبناء قائم فوقها لكي تعلو المساكن عن سطح الارض وتقي الآوين بها من سطو الضواري وكان في بيت الزعيم بعض الفتيان المَلَقّيين لابسين رداء ابيض و يبيعون حلويات ومشروبات وفاكهة من حاصلات بلادهم وشاهدنا بيت بائع قلانس وقبعات يصنعها الصانع داخل المسكن من قش الخيزران وحانوت طباخ عندهُ طاهية تطبخ الارز وتعرضهُ للمبيع والكنفر موصول المساكن وغاصٌّ بسكانهِ وهم مزيج من الملقيين والصينيين احضرهم برفقتهِ احد الفرنسويين الاغنياء المقيم في جاوة وذلك على نفقتهِ ولهُ في ذلك فضل عظيم لان الكنفر الجاوي كان من اطايب المفترجات في المعرض والنساء المَلقيّات يدهنَّ شعورهنَّ بالزيوت ويظهرْنَ للناس نصف عراة خاضبات اجسادهنَّ خضابًا قريبًا من الوانهنَّ كلون الحوَّارى ولهنَّ في ذلك مهارة يُحْسَدْنَ عليها

ويشتمل القصر على مجلس انس اصطدمت بهِ المناكب من اقبال الناس عليهِ رقصت بهِ غواني احد امراء جاوة رقصًا غريب التفنن طارت شهرتهُ حتَّى دعينَ الى المراقص الزاهرة والمحافل السامية في باريس والفتيات الراقصات الجاويات جميلات الاوجه بالنسبة الى محاسن جنسهنَّ وكنَّ عاريات سوى حول الاحقاء فانهُ مستور بالخز والديباج الفاقع الالوان وكنَّ يتدرّعنَ و يضعنَ الريش على رؤُوسهنَّ والغرابة ان الآلات التي كنَّ يرقصنَ على نغماتها مؤلفة من اجراس ومراجل وصنوج ليس الاَّ

عطفنا من الكنفر الجاوي على بنوراما كل باريس ولم نلجها وانتقلنا الى الجناح الايمن من ساحة الانفاليد وهذا الشطر مخصَّص بوزارة الحربية

وتوابعها و بعض الجمعيات الخيريّة فعرضت وزارة الحربية مدافعها الهائلة ومناطدها الجسيمة وانواع الادوات والمهمات الحربية حتّى الملابس والخيام وعرضت جمعية مدد الجرحى كل ادواتها ومعداتها لخدمة الانسانية وعرضت ادارة التلغراف كيفية نقل الرسائل البرقية وعُجنا بين هذه الادوات ببعض غرف للافراد كغرفة عرضت بها سائر انواع المياه المعدنية و بيت مبني نموذجًا لبناء البيوت النافعة للصحة وآخر نموذجًا لبيوت فلاحي فرنسا

بعد ان قضينا من زيارة هذه المعروضات نكصنا على الاعقاب خارجين من المعرض فودّعناهُ وداع خلٍّ مفارق تملّك بانسهِ حشاشة الفؤاد وعدْنا الى فندقنا لنرتاح وقد سلبَ المعرض سبعة ايام من عمر رحلتنا (عدا زورات السهر) ورقدنا باكرًا لنبدأ في صباح الغداة بتفقد مشاهد باريس

نهضنا في ٢٠ حزيران و بعد الفطور نزلنا الى ساحة الكونكورد ومنها ولجنا

حديقة التويلري

وهي حديقة غناء لها ذكر طائر الشهرة لجوارها من قصور الملوك السالفين وكانت قبل عهد لويس الرابع عشر مشتملة على منازل للطيور والارانب وحياض للاسماك ومزاود للخيل وكانت مسوّرة من جهة ساحة الكونكورد ومنفصلة عن برج التويلري بالشارع المدعو باسمهِ وطرأ عليها بعض التغيير سنة ١٦٦٥ لما امر الملك لويس الرابع عشر بتحسينها فاعتنى بها المهندس لنوتر وشاد المصاطب المتوازية على ضفة السين وشارع ريڤولي ودُعيت هذه مصاطب الفليان لجوارها من دير الفليان واشتهر هذا الاسم في حوادث الثورة الفرنسوية لانهُ أُطلق على حزب سياسي وهُدمت مزاود الخيل في غضون الثورة وشُيّد مكانها دار الندوة حيثما

سُنّت شرائع الثورة وتداولت نخبة الامة وانتظمت جلسات نواب الكونفنسيون حَتّى سنة ١٧٩٢ وكذلك التأم بها مجلس الخمسماية سنة ١٨٩٨ ثم هدمت فيما بعد وصارت حديقة التويلري جنة الاشجار والازهار

فشاهدنا بها الاشجار الباسقة والنباتات اليانعة والازهار الفائحة تخللها تماثيل النحاس او الاحجار نحت اشهر نحاتي فرنسا كتمثال الشهرة وعطارد نحت كوزفكس والرون والسون نحت كستو والربن وموزل نحت فنكلف ورأينا عند منتصف الحديقة روضتين مدورتين على نسق مربع على يمين الممشى الاوسط و يسارهِ وهنالك تماثيل اطلانت وهيبو من نحت كستو وابولون و يوليوس قيصر نحت طيودن وهرقل نحت كومينو ثم وراء الروضتين تمثال الجندي الفلاح وقراع اسكندر وسنسناتوس نحت لامِرْ وفدياس نحت براديه وغيرهم تماثيل عديدة منبثة في ارجاء الحديقة الفسيحة

و بالحديقة بنوراما الجيل بدفع من يشاء الدخول اليها افرنكًا واحدًا فيرى في البنوراما صور مشاهير القرن الحاضر

قوس نصر كرُوزل

اجتزنا من حديقة التويلري بشارع التويلري ورأينا مكان قصر التويلري الذي حرقهُ الكمون سنة ١٨٧٠ جنينة ازهار عطريّة صارت كالذيل المزركش لمطرف الحديقة الكبرى ووقفنا عند نهايتها و بداية ساحة كرُوزل لدى قوس نصر شادهُ نابوليون سنة ١٨٠٦ على نسق قوس نصر سبتيم سفرو بروما وهو معقود على اربع اعمدة من كل واجهة والعمد من المرمر الاحمر مرتكزة على قواعد نحاسية وتعلو الاعمدة تماثيل كماة فرنسويين لابسين رداء زمانهم الحربي و يعلو القوس مركبة النصر ملجمة باربعة جياد نحاسية أُوتي بها من البندقية وأُعدّت لتكون مطية الى تمثال نابوليون لكنّ صروف الزمان حالت دون مناهُ فجلست مكانهُ امرأة

تمثال عود الملكية

وجدنا عند منتهى ساحة الكروزل تمثال غمبتا واقفًا موقف الخطيب وقد نقشت على القاعدة آيات من بلاغتهِ الشاهدة لاستماتتهِ في حب حبوة وطنهِ وقد اقيم لهُ التمثال سنة ١٨٨٨ على نفقة اكتتاب وطني بلغ مجموعهُ ٣٥٥ الف افرنك وللتمثال مسلّة عالية عليها تمثال ليث ذي جناحين امتطت عليهِ فتاة قابضة باليد الواحدة على رمز الصاعقة و با لاخرى على لوح مسطور عليهِ بيان حقوق الانسان وبجانب غمبتا عصبة تماثيل نحاسية مشيرة الى اللجنة المدعوة «الدفاع عن الوطن» وكان غمبتا روح جسمها سنة ١٨٧٠

تمثال غمبتا محاط بمقاصير اللوفر فهيّا بنا الى الكلام عن هذا القصر الشهير

قصر اللوفر

هو قصر فسيح الجناب مؤلف من عدة مقاصير جميلة الهندام متصلة نافذة في بعضها البعض فتحسبها قصرًا واحدًا وقد كان قديمًا برجًا مدورًا ذا جدران سميكة متينة شادهُ الملك فليب اوغسط يكتنفهُ ثلاثة عشر برجًا لوقايتهِ ونزل بهِ الامبراطور الشهير شارلكان ضيفًا على غريمهِ فرنسيس الاول الملك البطل و بعد زمن وجيز من هذه الضيافة استحسن الملك المذكور دكّ البرج القديم وتشييد القصر الحالي مكانهُ واناط مشاهير زمانهِ في بناء القطر وزخرفتهِ فبني القصر المدعو الآن مقصورة الساعة اي صدر اللوفر لان لقصر اللوفر الحالي صدرًا وجناحين مستطيلين وصرف البنّاء لسقو نقد جهدهِ في الابداع واستنزف النحّات الشهير حنا غوجون جوهر فكرتهِ في سبيل زخرفتهِ وساعدهُ في العمل بولص بنص نحّات شهير مثلهُ فبرز القصر عروسًا تنفضل بالمحاسن عن سواها من ابنية الفرنسيس الباقية من عهد النهضة الاوربية وما كاد يتم بناء القصر حتّى امرت

الملكة كاترين مديسيس بتذييلهِ في بناء متصل حتّى رصيف السين وولجت بالعمل البنّاء شمبيج كرهًا في لسقو الآنف ذكرهُ ولا يزال هذا القسم من القصر مدعوًا حجرة الملكة ولما تبوّأ الملك لويس الثالث عشر وجد ان القصر ضيق عن مقام المُلك فولّج البنّاء لمرسيه بتوسيعهِ وارتأى هذا ان يجعلهُ مربعًا وان يكون كل شطر ماثلاً للآخر قدًّا وظرفًا وبنى الثلاثة اضلاع على نسق الضلع الذي بناهُ لسقو فبرز القصر في احسن حلة واجمل المعاني المتناسبة وصار الفراغ المربع بين الاضلاع الاربعة حديقة غنّاء ثم آلت السدّة الى لويس الرابع عشر الملك الكبير فازاد واجهات القصر تحسينًا وزخرفة ببناء الاعمدة الخارجيّة وتمّم محاسنها نابوليون الاوّل

ورغب هنري الرابع صلة قصر اللوفر بقصر التويلري المتوازيين فشرع في بناء اروقة تصل القصرين فاحترقت سنة ١٦٦١ فاناط لويس الرابع عشر المصور الشهير لهُ برون برسم بناء اتم واجمل فشرع في بناء بعض مقاصير الجناحين واستمرّت غير كاملة الاتصال حتّى سنة ١٨٤٨ اذ صدر مرسوم الحكومة الجمهوريّة الثانية باتمام العمل وتمّ في ولاية نابوليون الثالث بهندسة البنّائين فسكونتي ولافول لكن أبى القدر جمع وصال القصرين فما دانت لهما الايام مدة يسيرة حتّى حرق قصر التويلري سنة ١٨٧١ واتصلت النيران بمقصورة فلورا من الجناح الجنوبي والمقصورة مرسان من الجناح الشمالي

وقبل ان نلج القصر الذي غدا متحفًا من اعظم متاحف الدنيا يجب عليّ ان اسمي للقارئ المقاصير حتّى لا يضلّ بين عدادها فالقصر الاصلي القائم بالصدر هو القصر المربع المدعو مقصورة الساعة وحوشهُ الداخلي السفلي مخصّص لعاديات التماثيل وكذلك اغلب الطابق العلوي منهُ والجناحان احدهما جهة الشمال على شارع ريفولي ويشتمل على مقاصير

كولبر وريشيلبو وتزغو وروهان ومرسان وهي الآن منقطعة لاشغال وزارة المالية والواجهة الخارجية على الشارع المذكور مزخرفة بتماثيل كبار القوّاد ابّان الثورة وسلطنة بونابارت مثل مرسو وهوش ودسكس وكليبر وماسينا وسولت ونيْ ولَنْ والجناح الثاني جهة الجنوب على ضفة السين ويشتمل على مقاصير دارو ودينون ومليان ولاديغير وتراموال وفلورا والاخيرة منقطعة لمقام مدبر الضابطة في باريس وما بقي من المقاصير يشتمل اغلبها على صور مشاهير المصورين الاجانب والفرنسويين فاللوفر من حيث انهُ متحف يعدُّ في الرتبة الاولى بين متاحف العالم وابوابهُ مفتوحة للقاصدين كل يوم من الساعة العاشرة صباحًا خلا يوم الاثنين والاولى لمن يروم التدقيق والدرس ان يشتري كتابًا مخصوصًا للايضاح عن خزائن المتحف ويزورهُ على يومين او ثلاثة لكن ضيق الوقت من جهة وصرفي زمنًا في متحف الفاتيكان على التماثيل والصور من جهة أُخرى حالا دون ما اتمني ولذلك مررت بهِ مرور الطيف فاذكر ما بقي بذاكرتي من خطرتهِ

فالمتحف مقسوم شطرين للتماثيل والصور كما تقدم ايرادهُ فولجنا متحف الصور من باب مقصورة دينون على فسحة كرُوزل وبعد ان ولجنا واستودعنا المظلات والعصي عند حاجب الباب لانهُ محظور عليها في المتاحف واخذنا منهُ رقمًا بها (نمرة) نستلمها بموجبهِ حين الخروج سرنا بالطابق السفلي من مقصورة دارو ورقينا بالسلّم فوجدنا بازائنا غرفة تماثيل فاجتزنا منها الى رواق تصاوير مختص بعهد النهضة الايطاليانية ومنهُ الى الرواق الكبير لمصوّري الايطاليان المشاهير مثل روفايل وفرونازي وتيسيانو وفينشي ثم الى رواق آخر ايضًا لمصوّري الايطاليان ثم الى رواق لمصوّري اسبانيا مثل مشاهيرهم موريلو وفلاسكوز وروزا ثم الى الرواق الالماني والهولاندي والبلجيكي وهي ثلاثة غرف كبيرة متصلة ثم

الى الرواق الكبير لمصوّري فرنسا في الجيل السابع عشر مثل بوسين ولسيور ولورين وسنتر ولبرن وجوفنه وغيرهم من المشاهير ثم دخلنا قاعة دينون وهي بديعة الزخرفة والبهرجه قد كُسيت جدرانها وسقفها بالدهان الجميل المذهب ورأينا مرسومًا على السقف صورة الملك لويس القديس والكنيسة المقدسة وصورة الملك فرنسيس الاول في معمل صانع وصورة لويس الرابع عشر متمّمًا بناء اللوفر وبجانبهِ نابوليون يقفو اثرهُ ثم دخلنا الى قاعة المملكة وهي فسيحة طويلة وافرة الزخرفة والبهرجة مسقوفة بالبلور ومكسوّة بالتصاوير الثمينة رسم مشاهير مصوّري فرنسا ثم مررنا بالقاعة المربعة وهي لا تقلّ قدرًا بالذات والموجودات عن سواها بل تفضل عن سواها بانها جمعت اثمن الصور قيمة ثم الى قاعة دوشاتل ودعيت بهذا الاسم نسبةً الى سيدة وهبت المتحف خمس صور كبيرة غالية القيمة وضعت بهذه القاعة ثم الى رواق ابولون وهو انسان عين القصر ودرّة عقدهِ بناهُ الملك هنري الرابع واتقن زخرفتهُ ورسم جدرانهُ المصوّر الشهير لَبْرن وقد خُصِّص هذا الرواق للحلي والمصاغ وشاهدنا بهِ بقايا حلي المملكة وجواهرها ثم الى القاعة المدورة وهي منقوشة بالفسيفساء صنع بلوني ثم الى قاعة السبع مستوقدات وهي غاصّة بصور المشاهير الفرنسويين ثم الى قاعة هنري الثاني ومنها الى قاعة لاكاز نسبةً الى الموسيو لاكاز الذي وهب المتحف مجموعًا ثمينًا من الصور النفيسة ثم الى قاعة مفروشة فرشًا ثمينًا وبها سرير ملكي وهو سرير لويس الرابع عشر ثم الى قاعة اخرى بها هبات من الموسيو تيارس والموسيو سال ونزلنا من هناك بسلّم قصر الصدر الى الطابق السفلي ومررنا بحوشهِ (حوش مقصورة الساعة) لنرى عاديات التماثيل

كان يوم احد وكنا عاقدين النية على الذهاب الى فرساليا بعد الظهر فادركنا الوقت واضطررنا على تأجيل رؤيا ما بقي من اللوفر الى اليوم التالي وعُدنا الى الاوتل آكلنا وارتحنا ثم امتطينا مركبة الى محطة

سن لازار مجنازين بشارعي فينيون والهافر والمحطة قريبة من فندقنا وهي فسيحة وجميلة فقطعنا تذاكر ذهاب واياب افرنك و٦٥ سانتيم بالدرجة الاولى من باريز الى فرساليا مسيرة اربعين دقيقة بسكة الحديد ويسافر القطار كل ساعة ويقف على المحطات التالية كليشي . اسنيار . كوربڤوا . نوو بسورسن . سن كلود . فيل دڤري . فيروفلي : ثم

فرساليا

بلد جميلة سكانها خمسون الف نسمة ومتى وصلت اليها سر في شارع دو باسيس ثم اعطف على شارع بروإس فشارع هوش حيثما تجد مصلبة بفسحتها تمثال هوش وهنالك ساحة السلاح الهلالية الشكل بازاء حوش القصر الشهير المتفرعة منهُ طرق سن كلود و باريز وسو

للقصر صدر وجناحان فالصدر بني في عهد لويس الثالث عشر وتممهُ وفسح ارجاءهُ على النمط المحفوظ حتَّى الآن الملك لويس الرابع عشر وهو مؤلف من طابقين وبالحوش الواقع بين الجناحين تمثال نحاسي للملك لويس الرابع عشر وستة عشر تمثالاً مرمريًّا لخلافهِ من اعاظم فرنسا

ولجنا القصر وهو بهيُّ الزخرفة فسيح الغرف بديع المطل محفوف بالجنائن العامرة والدِمَن المخضرة واهمّ ما شاهدناهُ في داخلهِ الكنيسة وقاعة المفترجات التي التأم بها السناتو من سنة ١٨٧٦ حتَّى سنة ١٨٧٩ وغرفة منامة لويس الرابع عشر وغرف الملك وغرفة حرس الملكة وحجرة مدام منتنون الشهيرة صديقة لويس الرابع عشر وحجرة ماري انطوانت وكلها مزخرفة وبعضها مرصع ورواق البلور وطولهُ ٧٥ مترًا وجدرانهُ من المرايا وقاعات هرقل والخصب والزهرة وديانا والمريخ وعطارد وابولون وقد استحسن الملك لويس فيليب ان يجعل الطابق السفلي متحف صور نفيسة فجمع بهِ رسومًا يُغالى بنفاستها واتقانها لاسيما مواقع بونابرت لاشهر مصوري القرن الحالي واقتصر عن الاطالة فما الخبر كالعيان ومن دخل

حجرة ماري انطوانت فليسأَل الحجَّاب عن السلَّم السرية التي وضعها لويس السادس عشر

نزلنا من القصر الى البستان الشهير الطائر صيتهُ في الآفاق لغرابة نوفراتهِ المائية ولطافة هندستهِ ويفصل القصر عن الروض سطح منبسط مرصوص يشرف الواقف بهِ على الروض الجميل والبرك الشهيرة ومن نكد الحظ لم يتيسر لي مشاهدة النوفرات متدفقة بالمياه الى العلى لان هذا المشهد يحصل مرةً في الشهر (يوم الاحد المُعقب بداية الشهر) وقد شاهدهُ اخي الذي تخلَّف عني في باريز واخبرني ان المشهد بديع فان المياه تحلِّق الى العلى بغزارة متقابلة متلاطمة متعاكسة مستقيمة معوجة منحرفة على اساليب شتى

بعد ان صرفنا برهةً بالروض النضير ركبنا مركبةً قاصدين قصري التريانون الشهيرين في عهدي لويس الرابع عشر وماري انطوانت

قصر التريانون الكبير

شادهُ لويس الرابع عشر سنة ١٦٨٧ وقضى بهِ حظوظهُ ويشتمل الآن على اثاث بونابرت وكثير من ذخائرهِ والسرير الذي رقدت بهِ ملكة الانكليز لما قدمت باريز نزيلةً بها في عهد نابوليون الثالث والحاجب يفسّر للزائرين عن تاريخ الرياش المذخورة هناك من مساند ومقاعد وكراسي وطاولات واسرَّة والكبراء او الملوك الذين صنعت لهم

بجانب هذا القصر غرف المركبات الملوكية الفاخرة المزركشة والمذهبة من عهد لويس الرابع عشر حتَّى اليوم وقريب منهُ

قصر التريانون الصغير

الشهير بحوادث ماري انطوانت وهو صفحة من تاريخ حياتها ولجناهُ وشاهدنا من آثار هذه الملكة الجميلة ما يذكر المرء بافراحها واتراحها ويستمطر الدمع من العيون والحاجب المقيم هناك يشرحُ عن متين

الموجودات وهذا القصر مبني بوسط الحديقة الغنّاء المدعوة الحديقة الانكليزية فتمشينا بها قليلاً . ابنا من التريانون بشارع تظللهُ الاشجار مجتازين فرساليا حتَّى بلغنا المحطة فعدنا من حيث قدمنا و بعد العشاء نزلت ليلاً منفردًا مع صديق لي عزتلو بوغوص بك غالي الى ملهى (حديقة باريس)

كونسر جاردِن ده باري

مجلس انس يختلف اليهِ الناس على اختلاف المراتب والاجناس وتمتنع عنهُ السيدات الحرائر بعد الساعة ١٠ مساء لازدحام الغيد الاوانس فيهِ ومكانهُ في حديقة متوسطة بين الشانزليزه ورصيف كورلارن وسمعنا فيهِ غناء وتمثيلاً من نوع الاوبرت وتخلل الغناء والتمثيل ادوار الرقص على نسق اجواق الممثلين في مرسح روسيني او البارادبزو باسكندرية فمضينا هناك هزيعًا من الليل اطارح الحديث رفيقي الانيس المؤمى اليهِ ونراقب ضروب الخلاعة الباريزيَّة البادية في حركات وسمات الظباء السائمات ثم عدنا الى فنادقنا متذكرًا القول الماثور اذا قدمت على سفر فاصحب رفيقًا ذا سمر

نهضنا باليوم التالي في ا غرة تموز الى حوش قصر الساعة في اللوفر وهناك عدة غرف مفعمة بالتماثيل اصلية ومنسوخة عن الاصل اولاها غرفة التماثيل الحائطية و يتلوها غرفة هرقل ثم غرفة فيدياس ودهليز مقصورة دارو ملآن بالتماثيل وكذلك دهليز مقصورة دينون ورواق موليان وقاعة السلام وقاعة سبتيم سفر وقاعة امبراطورة الرومان وقاعة اوغسطوس قيصر وقاعة مديا وقاعة الزهرة وقاعة بسيكه وقاعة ملبومن وقاعة بالاس وقاعة المصارعين وقاعة تيبر جميعها ملآنة تماثيل ثمينة وفي حوش صدر القصر على يمين الداخل عاديات منحوتات عصر النهضة والمنحوتات الحديثة مثل تماثيل ريشيليو ومزارن وبوسيه وميرابو وفرنكلين

وواشنطون وروسو وديدرو وفولتر ومدام ده باري معشوقة لويس الخامس عشر والنباتي بوفون

اما العاديات الآسية والمصرية فمودعة في الطابق العلوي المطل على فسحة اللوفر ولو رمت تعداد التماثيل والصور بدون تقرير شرح على متن اسمائها لضاق صدر القارىء وملّت اناملي فبالايجاز اختم ما افتتحت بهِ المقال ان متحف اللوفر من انفس متاحف الدنيا واغلاها قيمةً

وراء قصر اللوفر كنيسة سن جرمن لوكسروا وهي ظريفة الواجهة مبنية على نسق بناء الجيل الثاني عشر وقد تزخرفت وتحسّنت فيما بعد بعناية النحات غوشن والبناء لسقو السابق ذكرها

عجنا بشارع اللوفر مارّين في بورص التجارة المشروع في بنائهِ ولم يتمّ بعد ثم اجتزنا الهال سنترال القائمة بازائهِ

الهال سنترال

هي اسواق فسيحة تباع بها اصناف البقول والفواكه واللحوم والاسماك بناها المهندس بلتار من الحديد الزهر اثناء سلطنة نابوليون الثالث

عدنا منها الى شارع اللوفر حتى منتهاهُ عند قصر البوسطة وقد سبق الكلام عنهُ فعكفنا بشارع اتيان وهناك بنك فرنسا وهو اعظم مستودع للمال في الارض ومفوض من الحكومة باصدار سندات تتداولها الايدي بقيمة النقود المسكوكة و يتعاطى اشغال البنوكة من خصم سفاتج وسلف على سندات دولية وامانات نقود وما اشبه وقد تأسس سنة ١٨٠٢ وللبنك قاعة مذهّبة تجتمع بها المساهمون حين الاقتضاء

البالي رويال

او القصر الملكي بناهُ ريشيليو سنة ١٦٢٤ وكان بالغًا اوج سعدهِ فاشترى عدّة صروح مجاورة لقصر اللوفر ودك بنيانها ليشيد قصره مكانها ووكل بالعمل المهندس لمرسيه فبرز القصر مختالاً في حلةٍ بهية وكان بازائهِ

صرح سيلري يحجب ما بينهُ و بين اللوفر فهُدم وصار قاعًا صفصفًا واقام بهِ الوزير الكردينال حتى مماتهِ ووهبهُ بعد منيتهِ الى الملك لويس الثالث عشر فاستحال اسمهُ من قصر الكردينال الى القصر الملكي (بالي رويال) وترعرع لويس الرابع عشر تحت سماء هذا المنزل ولما صار اليهِ الملك اقطعهُ لاخيهِ دوك ارليان سنة ١٦٧٢ فرممهُ البنّاء مورو ثم حرقهُ الكمون سنة ١٨٧١ فرممهُ المهندس شبرول والآن يلتئم فيهِ مجلس الوزراء

وللقصر حديقة جميلة تكتنفها اروقة مخازن وحوانيت ثمينة بموجوداتها من الحلي والمصاغ والجواهر فمن كان ذا حاجة لمشترى حلي او مصاغ يجد مرامهُ هناك وكانت الحديقة في الزمان الغابر اوفر اتساعًا من يومنا الحاضر بل كان يتوسطها مجال (ملعب خيل) فاحترق سنة ١٧٩٨ ولها شهرة ابان الثورة فكان يؤمها الثائرون للاجتماع

وهي الآن ذات اشجار نضيرة وازهار بهيجة ورياض سندسية تعزف بها الموسيقى مرارًا بالاسبوع وبين رياضها المدفع الذي لما تسامتهُ الشمس ينطلق دويًا ايذانًا بالهاجرة (منتصف النهار) ويتخلل رياض الحديقة بعض التماثيل من النحاس والاحجار

بجانب البالي رويال

التياترفرانسي

او المرسح الفرنسوي على شارع ريشيليو بناهُ المهندس لويس سنة ١٧٨٢ ويسع الف واربعماية جليس والتمثيل بهِ يوميًا والاجور معينة بمعرفة الحكومة التي تدفع راتبًا سنويًا لنفقاتهِ وهي من عشرة فرنكات الى افرنكين حسب رغبة المتفرج ومرتبة المقعد الذي يستأجرهُ وقد اكتريت مقعدًا في احدى الغرف القريبة من المرسح بسبعة افرنكات وحضرت تمثيل رواية لاسكندر دوماس (الابن) وقد اجاد بها المشخصون بنوع اني حسبت الحادثة الملفقة واقعة حقيقية ومما لذَّ لي سماعهُ حسن البيان وصراحة

النطق ولا عجب فالمرسح الفرنسوي مشهور بانهُ المورد الصافي لحسن بيان اللغة الفرنسوية

عطفنا بشارع سن اونوره الى شارع ريشبنس و بتنا بفندقنا ونهضنا باليوم التالي في ٢ تموز وسرنا في شارع فوبور اونوره فمررنا بصرح بورغز وهو من اجمل قصور باريز ومقام سفارة انكلترا وبجانبهِ

قصر الاليزه

بناهُ المهندس موله سنة ١٧١٨ لكونت افره ثم آوت اليهِ خليلة لويس الخامس عشر مدام بمبادور الشهيرة بالحسن والافتتان و بعدها المالي بوجون ثم دوقة بوربون كندة فالقائد الشهير مورات نسيب نابوليون واحد ابطالهِ المعدودين ووقّع بهِ بونابرت تنازلهُ بعد معمعة واترلو واقام بهِ الامبراطور اسكندر الاول سنة ١٨١٥ وكذلك ولنتن بالسنة نفسها ثم صار الى دوك بري بعد عود الملكية للبوربون وثوى بهِ نابوليون الثالث من سنة ١٨٤٩ الى سنة ١٨٥١ ثم الكونتس اوجيني في عهد خطبتها عليهِ ونزل بهِ السلطان المغفور لهُ عبد العزيز وكذلك المرحوم الامبراطور اسكندر الثاني اثناء معرض سنة ١٨٦٧ الى ان صار مقامًا لرئيس جمهورية فرنسا بعد سنة ١٨٧٠ والقصر حسن البناء لكن ما استطعت الولوج بهِ لانهُ مقام الرياسة . ووراء القصر حديقة يانعة بالاشجار الجميلة مطلة على الشانزليزه

اجتزنا شارع ماريني مارّين بين رياض الشانزليزه وحدائقهُ العطرة وهناك مجال (ملعب خيل) لم نلجهُ بل قصدنا

القصر البلوري

او قصر الصناعة (بالي ده لندستري) استحسنت حكومة نابوليون الثالث بناءَهُ على نسق قصر البلور في لندن لكن شتّان بين الاثنين فقصر لندن مفرد في الحسن وقد وهبت الحكومة وقتئذٍ الارض المبني عليها

القصر الى شراكة تجارية لتشيده وتنتفع به ٩٩ سنة ثم يصير ملكًا للحكومة فقصّرت الشراكة عن النجاح واستلمت الحكومة القصر واستخدمته للمعروضات الوطنية السنوية لاسيما معروضات التصوير والنحت السنوية المعروفة بلفظة (صالون) وطول القصر ٢٥٠ مترًا وعرضهُ ١٠٨ وطول قاعتهِ الوسطى الزجاجية ١٩٢ مترًا وعرضها ٤٨ وعلوها ٨٥ وعند مدخلهِ جوقة تماثيل حسنة النحت متقنة الصنع تمثل فرنسا والصناعة وراء قصر الصناعة

مقصورة مدينة باريس

وقد شيدت في معرض سنة ١٨٧٨ بنحة شان ده مارس ثم بعد انتهاء المعرض نقلت الى سكة كورلاربن على ضفة السين لانها مبنية من الحديد والطوب ومكسوة بالخزف المدهون وبجانبها

بنوراما حصار باريس

ولجناها دافعين الرسم افرنكين عن كل فرد ولو كان يوم احد لكان الرسم افرنكًا واحدًا وبرى بها المتفرج هول الحصار لاسيما حيثما هدمت القنابل المنازل المجاورة للحصون وطال بها لسان الحريق والمنظر مؤثر والرسم متقن

دنا وقت الغذاء فاكلنا في رستوران (مطهى) السفراء بجوار البنوراما وبعد الراحة ركبنا العربة سائرين في شارع الشانزليزه حتّى وصلنا الى

قوس النصر الاكبر

المعروف بقوس نصر النجم فترجلنا لرؤياهُ وهو شاهق البنيان ومبنيٌّ من المرمر ومنحوت بمنقاش اعظم نحاتي القرن الحاضر امر ببنائهِ بونابرت الامبراطور سنة ١٨٠٦ تخليدًا لمجدهِ ومجد الجيش الفرنسوي الذي قهر اوربا ونولج المهندس شالغربن في اشادتهِ لكن حالت الظروف دون العجلة فسار العمل بهِ على قدم المهل والتواني ولم يبلغ القاعدة حتّى سنة

١٨٠٩ ولمّا تزوّج الامبراطور بماريا لويزا شقيقة امبراطور النمسا مرّ من تحت عقدهِ الملفّق من قماش مدهون وقد توعّده الخراب مرارًا حتّى يسّر الله عسيرهُ وتمّ بناؤهُ سنة ١٨٣٦ وعلوهُ ٥٠ مترًا وعرضهُ ٢٢

على الجانب الايمن من واجهتهِ المشرفة على الشانزليزه سرب تماثيل نحت النقاش رود تمثّل حماسة الجنود المتطوعة سنة ١٧٩٢ من شبان فرنسا للدفاع عن وطنهم ونشيدهم اللحن الحماسي المشهور والنحت غاية في الانقان ناطق بافصح بيان عن حماسة اولئك الشجعان وعلى الجانب الموازي سرب آخر مكلّلة بتيجان الظفر نقش النحات كرتو وعلى الواجهة الخلفية سرب ابطال تمثل المناعة يوازيها سرب آخر تمثّل السلام

فوق السرب الحماسي رسم مشهد القائد البطل مرسو وفوق سرب الظفر نقش موقعة ابي قير وفوق سرب السلام معمعة اسكندريّة وفوق سرب المناعة عبور جسر اركولا

على الجانب الايمن جهة الشمال سرب ممثل واقعة اوسترلينتز وعلى الجانب الايسر جهة الجنوب معمعة جمّاب وتحت عقد القوس ٩٦ نقشًا مذكّرة بالوقائع التي فازت بها فرنسا في غضون الجمهوريّة والسلطنة الأولَيَيْنِ واسماء كبار القوّاد الذين اشتركوا في تأييد الظفر وعددهم ٣٨٤

وقد انفق على تشييدهِ عشرة ملاوين فرنك ومرّت تحت قوسهِ رمّة بانيهِ عائدة من منفى السجن في جزيرة سانتا هيلانة فسبحان القهّار الدائم وليعتبر ابن آدم ان دوام الحال من المحال

ركبنا وسرنا في شارع الغراند ارمي (الجيش العظيم) حتّى افضينا الى باب ملّيو عند طليعة غاب بولونيا (بواده بولونيه) فسرنا في شارع مليو بطرف الغاب حتّى بلغنا حديقة التدجين

جاردن دكليماتاسيون

وهي حديقة فسيحة انشئت سنة ١٨٦٠ لتدجين الحيوانات الغريبة

والفضل عائد الى مؤسسها جفراوسن هيلار ويمرُّ بها جدول تسبح بهِ الحيوانات المائية

لها عدة ابواب انما الباب المعوَّل عليهِ باب فسحة سَبْلُن فولجناهُ ودفعنا الرسم افرنكًا واحدًا عن كل فرد (يوم الاحد نصف افرنك فقط) فوجدنا الحديقة غاصَّة بالحيوانات وقد الف منها المستوحش وانس المتأَبد ولكل نوع منها حظيرة خاصَّة بهِ فشاهدنا الافيال والهجن والظرافات والغزلان بأَنواعها والايلة والنعامات والاغنام والابقار والماعز والجواميس والتيوس والنسانيس والسعادين والحُمُر والطيور من العنادل والقاري والشحارير والببغاء حتَّى النسور والطواويس والطيور السابحة كالبط والاوز واسد البحر وهذا الحيوان غريب التركيب فان رأْسهُ رأْس اسد وبدنهُ بدن سمكة ولهُ زئير الاسود يسمع عن بعد ويسبح في الحوض آونةً ثم ينتفض من الماء ويطلع للبر فيقلب بطنًا لظهرٍ ويتمطَّى تارةً على قفاهُ وطورًا على جانبهِ ويوجد على ضفة الجدول كنٌّ لحمام الزاجل يتطبع على حمل رسائل الهيجاء . خرجنا من الحديقة عائدين بشارع مليو ثم انطلقت بنا المركبة في مجرى لُنشان الخارق غاب بولونيا من باب مليو حتَّى المضمار المدعو باسمهِ (مضمار لُنشان) وبما ان غاب بولونيا اصبح المنتزه المألوف اليومي للباريسيين عدنا اليهِ مرتين وثلاث واليك اليسير من وصفهِ

غاب بولونيا

مساحة هذا الغاب ٨٤٨ هكتارًا ودعي بهذا الاسم نسبةً الى كنيسة بُنيت سنة ١٣١٩ بضاحيتهِ على نسق كنيسة بولونيه (مدينة فرنسويَّة على ساحل المنش) وهو مزروع بالاشجار الباسقة اليانعة تتخللها المماشي المهندمة الجميلة والزهور العطرة والمجاري الرائقة المسلسلة في بحيرات صافية مكتنفة بجزائر صغيرة وبجانب البحيرة قهاوٍ ومطاعمٍ ومغائر تتدفق

منها المياه تدفقها من الصخور الطبيعية ورواشن لراحة المتنزهين والعازفين وترى المشاة زرافات ووحدانًا تسير بين نباتات الغاب مستظلة بافيائها مستنشقة نسيمها البليل ورياها الزاكي فكم من ذي عائلة استصحب امرأته وعياله مشاة بين خضرة هذا المرج النضير جالين الصدور من صداء الهموم وكم من حبيب يواعد عشيقته باللقاء بين دوحه السائر فيبثان الشوق و يتبادلان الحديث محجوبين عن الرقباء وكم من محب القراءة يتابط كتابه بعد الفراغ من شغله و يلتمس لذة الراحة وفكاهة السمر مختليًا بين نباته الغض اما السيدات المثريات الفاتنات والغيد المتبرجات المتبهرجات والخود الرداح الملاح والرجال ارباب المناصب والغنى والمقامات والشبان محبو اللطف والظرف وعبدة الخلاعة والزي والزهور فمحور اجتماعهم مجرى لونشان حيثما تتسابق المركبات الفاخرة وتتغامز العيون الفاترة وتسطع البدور الزاهرة وترفل الحلل النفيسة العاطرة وتزهو الازياء الجديدة الطلية على القدود السمهرية فتفتن الابصار وتنتقل من الغاب الى سائر الامصار وانتسب مجرى لونشان الى دير قديم بهذا الاسم وكان مشادًا هناك ومزارًا لاهل باريس في سبة الآلام (الاسبوع المقدس عند النصارى الواقع قبل الفصح) وتطرق الشارع للزيارة حتى صار اليها الدائم . وفيه مضماران لسباق الخيل و يحصل بها السباق السنوي الذي تنقل اخباره اسلاك البرق و بعد ان جلنا مخارق الغاب عدنا بشارع لونشان على الطريق الذي اتينا منه فتعشينا وسرنا الى الاوبرا وكنا اشترينا التذاكر بالنهار لان أوراق الدخول تنفد يوميًا قبل الظهر من اقبال الراغبين فترى الناس مزدحمين قبل الظهر على غرفة المبيع بجانب الاوبرا وكثيرون يشترونها من بياعي اوراق المرسح في البولفارات بدفع علاوة على قيمتها والاجور من ٥ الى ١٧ افرنكا حسب رغبة الزائر ومنزلة المقعد الذي يستأجره فاستأجرنا ثلاثة

مقاعد في غرفة على الجانب بثلاثين افرنك وسرنا قبل الساعة الثامنة لان الستار يزاح الساعة ٨ مساء فولجنا

الغران اوبرا

وهو بديع البناء تولج برسمهِ واشادتهِ المهندس غارنيه بعد ان حاز السبق في المنافسة وشرع في العمل سنة ١٨٦١ فاعاقهُ عن السرعة وجود الماء بغزارة عند الاساس فما أُحتفل بتدشينهِ حتّى سنة ١٨٧٥ الواجهة السفلى مؤلفة من سبع قناطر يتخلل حناياها تماثيل رامزة عن الغناء والنشيد والدراما والرقص والموسيقى وواجهة الطابق العلوي مؤلفة من ستة عشر عمودًا مضمومةً زوجًا زوجًا ويعلوها صور ونقوش وبين الاعمدة تماثيل نصفية لاشهر مؤلفي الاغاني والالحان ولجنا الباب فصرنا امام السلم وهي بديعة في الظرف لا مثيل لها فما اظرف مرقاتها واروقتها

قاعة الاوبرا فسيحة تسع ٢٢٠٠ مقعدًا ورياشها ثمينة اما التشخيص والغناء والرقص فحدِّث عنهُ ولا حرج وقد طار ذكرهُ واشتهر ولا يستغني السمع بهِ عن البصر وكانت الرواية قصة روميو وجوليت تأليف خالد الذكر الشاعر الشهير شكسبير

وقبل العود الى الفندق اذكّر القارئ بوجوب التردّي باللباس الاسود المخصوص بالزيارات الحافلة اي ان يعتبر نفسهُ ذاهبًا الى عرس او وليمة حافلة لان عوائد الاوبرا تحافظ على هذا الفرض

نهضنا صباح ٢ تموز واجتزنا بشارع كبوسين ثم بتي شان الى المكتبة الوطنية

المكتبة الوطنية

هي من اعظم مكاتب الدنيا واغناها وتشتمل على المطبوعات والمنسوخات والمرسومات والمسكوكات ويستطيع الزائر رؤيا قاعات المطبوعات والمنسوخات والمرسومات يومي الثلاثا والجمعة من الساعة

١٠ صباحًا الى الساعة ٤ مساء وكذلك قاعة المسكوكات الّا انها تفتح بعد نصف ساعة وتقفل قبل نصف ساعة

تشتمل قاعة المطبوعات على مليونين ونصف مليون مجلد والفضل في هذا المجموع النفيس عائد على الحكومة لاسيما على مبتكر المشروع الملك فرنسيس الاول البطل الباسل رضي الله عنهُ وعن امثالهِ من الملوك الذين اخذوا بناصر العلم فان هذا المغفور لهُ امر بنسخ كل الكتب الموجودة في زمانهِ بايّة لغةٍ كانت وامر المطابع ان تقدم للمكتبة نسخة من كل مطبوع يصدر منها وظلّ هذا المرسوم المفيد جاريًا حتّى يومنا انما صار الرسم نسختين من كل مطبوع ثم توالت الهبات والوصايا للمكتبة الوطنية من العلماء وافراد الناس حتّى بلغت هذا القدر العظيم

وتشتمل قاعة المرسومات ١٤٥٠٠ مجلّد و ٤٠٠ خريطة وتتضمن المجلدات على مليونين ونصف مليون رسم وتحوى قاعة المنسوخات على تسعة وتسعين الف مجلد وقاعة المسكوكات على اربعماية الف مسكوك (مداليا) وبها غرف تشتمل على هبات ذوي الكرم مدعوة باسم الواهبين كغرفة دوك لوين وخلافهِ وللمكتبة قاعة للقراءة وبابها من شارع كُلْبرْ وقاعة للشغل تسع ٣٢٤ جالسًا وبابها من شارع ريشيليو وكلتاهما مفتوحتان للعموم يوميًا من الساعة ١٠ صباحًا الى الساعة ٤ مساء عدا يوم الاحد . ويوجد في باريس مكاتب اخرى لم نزرها كمكتبة سينت جنفياف في فسحة البنشبون وتشتمل على ١٧٠٠٠٠ مجلد ومكتبة مزارين في صرح الانسيتيو (١٢٠٠٠٠ مجلد) ومكتبة الترسانة في شارع سولي (٢٠٠٠٠٠ مجلد) ومكتبة مدرسة الفنون الجميلة في شارع بونابرت (١٢٠٠٠ مجلد) ومكتبة المدرسة الكلية (١٢٥٠٠٠ مجلد) ومكتبة بلديّة باريس (٧٠٠٠٠ مجلد) ومكتبة الفنون والمهن بشارع سن مارتن بجانب الكونسر فاتوار ٢٥٠٠٠ مجلد) ومكتبة الاوبرا بشارع أوبر (١٦٠٠٠ مجلد) و ٦٠٠٠٠

مرسوم للملابس وخلافها ومكتبة مدرسة الطب (٩٢٠٠٠ مجلد) ومكتبة مدرسة الحقوق (١٥٠٠٠ مجلد) وكلتاهما بحارة اللاتين

نزلنا من المكتبة الوطنية بشارع فيفيان الى البورص اي

البورص المالية

شُرع في بنائها بعهد بونابرت سنة ١٨٠٨ وعارضت تقلبات الحروب نجازها فما تمّ البناء حتّى سنة ١٨٢٦ وانفق عليهِ ثمانية ملايين افرنك طولها ٧٠ متراً وعرضها ٢٩ ولها رواق خارجي محيط بها مركب على ٦٦ عموداً متناسبة الطول والبعد والدائرة علو العمود الواحد عشرة امتار ومحيطهُ متر واحد

تدخل اليها فتجد القاعة الكبيرة المعدة لاشغال البورصة و بوسطها حلقة يجتمع بها السماسرة المعينون بمعرفة لجنة الاجنسيات حيثما يتعاطون مبيع الاوراق المالية وهي قطب عظيم تدور عليهِ سندات دول عظمى

خرجنا من البورص بشارع فيفيان الى بولفار منمارتر فسرنا بهِ مجتازين بولفار بُنْ نوفل و بولفار سن دنيس و بولفار سن مرتين فبلغنا

ساحة الجمهورية

وهي ساحة فسيحة ذات نوفرة جميلة واشجار باسقة محدقة بتمثال الجمهوريّة المسبوك من النحاس نحت النحّات موريس وعلى قاعدتهِ نقوش رامزة عن الحريّة والمساواة والاخاء وبجانبها ليث من النحاس ازاء وعاء الاقتراع فمعنى الليث القوة والوعاء ارادة الامة بالانتخاب

عطفنا منها بسكة التمبل (الهيكل) والكلفر (الجلجلة) و بومارشه حتّى افضى بنا السير الى

ساحة البستيل

مُهّدت هذه الساحة مكان السجن القديم الشهير الذي دكّه الثائرون في ١٤ تموز سنة ١٧٨٩ وكان تدميرهُ شرارة الثورة العملية وفاتحة الحريّة

ولذلك اتخذهُ الافرنسيس عيداً وطنياً لهم ولا يزال رسم السجن مخططًا على حجر صوان بالفسحة وقد نُصِب بوسط الساحة عمود من النحاس مماثل لعمود فندوم تذكاراً لظفر الثائرين سنة ١٨٣٠ وضع اساسهُ الملك لويس فيليب سنة ١٨٣١ وانتهى عملهُ سنة ١٨٤٠ والعمود مجوَّف تتبطنهُ سلّم مؤدية لذروتهِ وعند الذروة تمثال الحريّة من النحاس المذهب قابضة باحدى يديها على قيود محطمة ورافعة بالاخرى مشكاة الهدى والتمثال نحت النقاش دومون

علو العمود خمسون متراً ووزنهُ ماية وثمانون الف كيلو وتجد تحت القاعدة قبواً جُعل مستودعاً لرمم الذين قضوا نحبهم يوم الثورة المذكورة وعددهم ٦١٥ نفساً نقشت اسماؤهم باحرف الذهب على العمود . عطفنا من ساحة البستيل بسكة هنري الرابع ومررنا على جسر سولي مجتازين في جزيرة سن لويس ضمن نهر السين وعبرنا منها بجسر سن لويس الى جزيرة السيتي المحاذية لها وترجلنا امام

كنيسة نوتردام

من زار ايطاليا ورأى كنائسها البهية لم يرُق لهُ منظر خلافها ولو كانت شهيرة مثل كنيسة نوتردام فهذه مع كونها كاتدرة باريس عاصمة فرنسا لا توازي الكنائس الثانويّة في ايطاليا واحسن شيء فيها واجهتها وزخائرها التاريخية لانها قديمة العهد بُنيت سنة ١١٦٣ وتمّ البناء بعهد فيليب اوغسط ملك فرنسا سنة ١٢٢٣ على نسق البناء الغوطي

وقد شهدتْ هذه الكنيسة حوادث جمّة مهمّة كدخول الملك فيليب فالوا راكباً جواده محاطًا من بطانتهِ الامراء عقيب ظفرهِ في موقعة كاسل ولا يزال تمثالهُ ممتطياً جواده محفوظًا في الكنيسة بجانب العضد الاخير من جهة الجنوب وتتوّج بها هنري السادس ملك انكلترا ملكاً على فرنسا سنة ١٤٢١ ثم بعد خمس سنوات اقيم بها احتفال عظيم لخروج الانكليز

من فرنسا وأُقيم بها تمثال الهة الحكمة أبّان الثورة وخطب بها عبّادها ثم أُرجعت الى الدين المسيحي سنة ١٨٠١ وتتوّج بها بونابرت سنة ١٨٠٤ طول الكنيسة ١٢٢ مترًا وعرضها ٤٨ وعلوها ٣٥ وعلو برجيها ٦٦

للواجهة ثلاثة ابواب يعلوها نقوش دينية كالدينونة يوم الحساب وفي الطابق الاول فوق الابواب رواق مزخرف يشتمل على ٢٨ تمثالاً لملوك فرنسا السابقين فيليب اوغسط وهو اخرهم والتماثيل حديثة العهد لان القديمة الاصلية تحطّمت سنة ١٧٩٣ ويعلو الرواق تماثيل ادم وحوا والعذراء مريم تجثو الملائك لديها ويتوسط البرجين الشاهقين مسلّة ظريفة تعد من شواهق الابنية الحجريّة

بمستودع الكنيسة (سكريستيا) ذخائر ثمينة كقطعة من خشب الصليب ومسمار منهُ على قول بعض الثقاة واواني الكنيسة والحلّة البهية التي تكرّس بها بونابرت ورسم الولوج بهِ نصف افرنك

بازاء كنيسة نوتردام

المورغ

وهو بناء تعرض في قاعتهِ رمم القتلى بالطريق او الغريق اذا كانوا مجهولي النسب فمن فقد لهُ نسيب يغشى المكان المذكور فيتحقق اذا كان قتيلاً او غريقًا ويستلم رمّتهُ

عطفنا من المورغ برصيف الزهور (كي ده فلر) وعبرنا جسر اركولا وترجّلنا امام صرح البلديّة

او اوتل ده فيل

صرح مبني حديثًا مكان القديم الذي حرقهُ الكمون سنة ١٨٧١ تولّج باشادتهِ المهندسان بالو ودبرت وأُنفق عليهِ ٢٥ مليون افرنك وتنبيك هذه الكلفة انهُ من اجمل وابهى ابنية باريس وكان معنا بالفندق مهندس اميركي فقال لي على مائدة المساء ان صرح البلديّة من افخر الابنية هندسةً

وظرفًا يستأذن بالولوج بهِ من الحاجب فاذن لنا وصعدنا الى سائر قاعاتهِ المزخرفة واندهشنا من انساع قاعة الاعياد فان طولها ٥٠ مترًا وعرضها ١٧ ويحصل بها المرقص السنوي (بالو) الذي ينتدب اليهِ رئيس الجمهورية والوزراء والسفراء والامراء والوجهاء وارتقينا بالمعراج المؤدي الى قبة الجرس وهي ظريفة البناء وشاهقة العلو تشرف منها على صروح باريز ومنازلها وتحتها تمثالان عظيمان رامزان عن التيقظ والحزم حاملان طغراء المدينة وتمثال آخر فاخر رامز عن مدينة باريز وتعلو واجهة الصرح ساعة يحيط بها تمثالان لنهري السين والماران وعلى اعالي البناء تماثيل كماة شاكي السلاح والقصر طليق الجوانب بهيّ الواجهات الاربع الحاوية بين حناياها ١١٠ تماثيل من مشاهير الباريزيين وفوق اعمدتها تماثيل نساء ممثلات مدن فرنسا المهمة

بين بابَيْ القصر الحديديين باحتان احداها لصاحب الشرطة ضابط البلدة والاخرى محل الادارة وبين عقدي المدخلين قاعة رؤساء البلدية حيثما توجد الواح مرمرية منقوشة عليها اسماء المتوفين من اعضاء المجلس البلدي

عُدنا على جسر اركولا الى رصيف الزهور ونظرنا المستشفى الاكبر

اوتل ديو

ومدخلهُ بفسحة كنيسة نوتردام تأسس في القرن السابع وكان صغيرًا فبني الجديد بازاء القديم سنة ١٨٦٨ و ١٨٧٨ فسيحًا طليقًا واسع الجنبات شاملاً ٢٢٠ الف متر مربع و ٤٥٠ سريرًا

سرنا بشارع لونس المؤدي الى فسحة قصر الحقانية

بالي ده جستيس

كم تكدَّرت لان ضيق الوقت وايذان الهاجرة بوجوب الاياب الى الفندق حرماني من ولوج هذا القصر وقنعت منهُ بمنظرهِ الخارجي فان لم

يكن هنالك سوى تذكار تاريخهِ لكفى فعلى زائر باريس ان لا يتغاضى عنهُ فيندم حيث لا ينفع الندم

فهذا القصر قديم العهد بل هو اقدم بناء في جزيرة باريس ونقل التاريخ لنا انهُ بُني قبل حصار النورمنديين باريس وتوسع في زمن الملك فيليب الحسن وأُصلح اثناء ولاية الملك لويس الثاني عشر وقضى نحبهُ بهِ الملك لويس الجسيم وتزوج بهِ الملك فيليب اوغسط وصدرت بهِ مراسيم الملك لويس القديس وظلَّ مثوى الملوك الى ان صار مقام البرلمان ولهُ برج شاهق شيد لساعة كبيرة ركّبها ساعيٌّ الماني في عهد الملك شارل الخامس وزخرف ميناها الفرنسوي بيلون وتعلو البرج قبة جرس ذات ذكرى وخيمة بمذبحة سن برتلمي . وللقصر برج ثانٍ مدعو برج الفضة وكان مستودعًا لذخائر الملوك وثالث مدعو برج المنقار الحسن (بونبك) وكان مقامًا للتفتيش واشتهر فيما مضى بانواع العذاب التي كانت يبلى بها المتهمون رغبة في استنطاقهم و باسفلهِ السجون المظلمة التي كانت تتقطع بها جسوم المحكوم عليهم بالتقطيع احياء على اسنّةٍ حديديّة تقشعرُّ من سماع اثرها الابدان ثم تلقى في هاويةٍ (قوتل الجور ما اكفرهُ وتبًّا للجهل ما اقساهُ فانهُ يجعل الانسان حيوانًا ضاريًا) والبرج الرابع مسمّى برج قيصر ويُظن انهُ بني مكان برج شادهُ يولبوس قيصر في باريس

على رصيف برج الاورلوج (برج الساعة) مدخل السجن المسمّى كونثيرجري وهو شهير بمن ضمَّ من مشاهير المحابيس وقد زُجَّ بهِ مونغمري قاتل هنري الثاني ملك فرنسا وماري انطوانت ملكة فرنسا وامرأة لويس السادس عشر واليصابات شقيقتهُ وعظماء نواب حزب الجيروندين والسيدة الكاتبة مدام رولان والخطيب دنتون وكاتب الثورة دمولين ورفاقها . ثم حزب هبرت وروبسبير وسن غست واتباعهم . وثم الشاعر برانجه والكاتب برودن والنائب كافينياك والشهير فيكتور هوغو وكثيرون

غيرهم في ازمنة مختلفة ولاسباب متنوعة

وشيدت بالقصر حديثًا ابنية بهية جميلة وتزخرف بتماثيل عديدة بجانب القصر مجلس التجارة مبني حديثًا على رصيف الجزيرة فاجتزنا رصيف الاورلوج وعبرنا الجسر الجديد القائم فوقهُ تمثال هنري الرابع من النحاس راكبًا جوادهُ وابنا الى الفندق عن الطريق رصيف اللوفر ورصيف التويلري فساحة الكونكورد

فاكلنا وارتحنا و بعد القيلولة نزلنا لنتفرّج على مجلس النواب فاجتزنا ساحة الكونكورد وجسرها المنتهي بازاء باب البالي بوربون او مجلس النواب فاستأذنّا الحاجب بالدخول فأَبى قائلاً لا بدّ من رخصةٍ من الكستير حيثما تعطى الرخص او من احد اعضاء مجلس النواب فسأَلتهُ ابن مقام الكستور (Questure) اجاب في قصر الانفاليد فعدلت عن الالحاح عليهِ وسرنا الى الصرح المذكور وقصدت اولاً مقام الكستور وصعدتُ بالمعراج المؤدي الى محل الادارة فلم اجد الرئيس هناك بل تلقّاني حاجب انيس وسأَلني عن مرامي فاجبتهُ طالما سمعت عن المنبر الفرنسوي وقرأْتُ عن بلاغة حضرات النواب فاتمنى ان اسمع اقوالهم لاني غريب قال ارجوك اذن ان تتمهّل ريثما يحضر حضرة الرئيس وفتح امامي قاعة مفروشة بالمخمل الارجواني الفاخر فجلست على احد المقاعد انتظر و بعد برهة جاء الحاجب وقال حضر الرئيس تفضّل فقمت الى غرفتهِ فاعاد عليَّ سؤال الحاجب فاجبتهُ عن امنيتي بان انظر عيانًا واسمع شفاهًا ما اقرأُهُ عن بلاغة الخطباء فطلب مني تذكرة اسمي فناولتهُ رقعةً منها مطبوعًا عليها اسمي ولقبي وحرفتي (تاجر باسكندرية مصر) فقيّد ذلك امامهُ في سجلٍ وسلمني بغاية الانس والبشاشة تذكرة دخول لجلسة اليوم التالي وقال لي بلطفٍ ربما تأْخذك هزّة الاستحسان فالرجاء ان تمتنع عن التصفيق فاجبتهُ سمعًا وطاعةً وغادرتهُ شاكرًا ولقيتُ اخي وامرأتهُ ينتظرانني

في فسحة الصرح فطفقنا نجول بهِ

صرح الانفاليد

بناهُ الملك لويس الرابع عشر مأوى وملجأ لمن زاد عن الوطن ونكب بهِ العجز او الوغى ولم يكن المبتكر لهذا المشروع الحميد بل سبقهُ اليهِ سلفه هنري الرابع لما شاد منزل الاحسان لهذه الغاية·

وأُنيط بناءهُ هذا الصرح بالمهندس بروان سنة ١٦٧١ وانجز عقيب ثلاثين عامًا وهو مؤلف من اربعة طوابق وطول واجهتهِ ٢١٦ مترًا وفوق الباب الكبير تمثال لويس الرابع عشر نحت كوستو وعلى جانبيهِ تمثالا المريخ ومينارفه

داخل القصر مؤلف من خمس عرصات يحيط بها البناءُ والمعوَّل على العرصة الوسطى — تجد بالشرق غرف الضباط والمطابخ وبالجنوب كنيسة سن لويس المزينة بالرايات المظفور بها في المعامع ويعلو مدخل الكنيسة تمثال بونابرت وتجد بالغرب متحف المدافع ويشتمل على الاعلام الفرنسويَّة منذ عهد شرلمان وانواع الاسلحة من دروع واتراس وخوذ ومغافر وسروج بقايا القرون السالفة وتماثيل ٧٨ فارسًا متردّين بردائهم الوطني واسلحة ناريَّة وسلاحًا ابيض وطبولاً ومدافع من عهد لويس الحادي عشر وسلاسل سُلبت من فينا لما حاصرها الاتراك وتشاهد بالشمال المكتبة الآنف ذكرها — أُشيدت خلف كنيسة سن لويس بواجهة فسحة فوبان القبة المكسوة بالرصاص المذهَّب الوضية بمرآها اللامع وهي شاهقة العلو محددة الرأس ويبلغ علوُّها ١٠٥ امتار وترى داخلاً تحت القبة لحد بونابرت مكشوفًا للابصار في خفرة مدوَّرة مرخَّمة وكتب على بلاط الفسيفساء فوز بونابرت في مواقعهِ الجُلَّى

وتشتمل هذه الكنيسة ايضًا على رمس يوسف بونابرت اخي الامبراطور وفوبان ودوروك وبرتران فيسكونتي

منظر قبة الانفاليد عن بعد ابهى منظر في باريس واطلاهُ

غادرنا صرح الانفاليد قاصدين اللوكسمبرج مقام السناتو فسرنا من فسحة فوبان بزقاق فيلار فسكة رِنْ فشارع فوجيرار وترجلنا امام باب القصر

اللوكسمبرج

شيدتهُ ماري مديسيس ملكة فرنسا سنة ١٦١٥ على نمط قصر بيتي في مسقط رأسها فيرنسه وتوسّع سنة ١٨٠٤ في عهد بونابرت وسنة ١٨٣٦ اثناء ملك لويس فيليب وكان مقامًا للامراء الدوقات سلالة دوك اورليان الى ان كانت حكومة الاهوال في غضون الثورة فجعلتهُ محجرًا للمتهمين ثم امسى مجلسًا للشورى في عهد الديركتوار وظلّ دار ندوة حتّى اليوم فانهُ مقام السناتو

والدخول للقصر محظور سوى على اعضاء السناتو او الموصّى عليهم منهم انما الحاجب انيس فلمّا انس منا الشوق الى رؤيا القصر وسماع الخطباء وكان السناتو منعقدًا اذ ذاك وعلم اننا غرباء (والغريب محبوب من الخدَمة طمعًا بصلة منهُ) دنا من عضوٍ كان داخلاً الى دار الندوة والتمس منهُ تذكرة لنا (رقعة زيارة) فناولهُ ثلاث رقاعٍ على مقدار عددنا فولجنا القصر ونفحنا الحاجب ريالاً

للقصر قاعة بديعة الزخرفة والزينة كانت فيما سلف قاعة العرش وهي فسيحة وطويلة مطلة على حوش القصر وتدعى الآن قاعة الخُطى الفاقدة (پاپردو) بحيث لا يسمع لغط لوقع خُطى الماشي بها لأنها مفروشة بالبسط الناعمة—ورواق تماثيل للسالفين من اعضاء السناتو - ثم ادخلنا الحاجب للرواق المطلّ على دار الندوة فجلسنا على مقاعد من المخمل الاحمر منضدة طبقات واعضاء السناتو جلّس على مقاعدهم تحت والمقاعد محدقة بالمنبر كهلال بكوكب والرئيس جالس على دكّةٍ فوق المنبر وحواليهِ كتبة

الوقائع ينقلون بالسنوغراف مقال الخطباء وسمعت منهم الموسيو بوفه ونيسرن ده بور ولم افهم من الاول شيئًا لانهُ طاعن بالسنّ ضعيف الحنجرة واطي الصوت فكان رفقاءهُ يتململون منهُ لامتناع صوتهِ عن بلوغ مسامعهم

ونهضنا بعد نصف ساعة شاهدنا في خلالها حركات الخطابة والرياسة والاعضاء ونزلنا الى الحديقة

حديقة اللوكسمبرج

ولجنا بابها امام مرسح الاودبون وهي قرة الناظر ونزهة الخاطر فسيحة الارجاء ذكية الارج باسقة الاشجار يانعة الازهار وفيرة التماثيل مسرح طلبة العلم ومطلب السارحين للانشراح تعزف بها موسيقى الحكومة وتشتمل على حوض بهي وروض انيق وتتصل بمنشأة (منشية) المرصد وهي سكة فسيحة مصطفّة الاشجار العالية المشتبكة وبها حوض بديع مؤلف من تماثيل افراس نحاسية معلقة في بعضها البعض تتدفق المياه فوقها وقريب من هذا الحوض صرح المرصد

بين اللوكسمبرج والانفاليد حيّ المدارس المسمّى كارتيه لاتين أتينا بشارع اساس فشارع اللوكسمبرج فسكة (بولفار) سن جرمان (وهي حيّ الامراء والشرفاء ولذلك يكنّى بالحي الشريف ومن قرأ بالجرائد الفرنسوية «له نوبل فو بور» فمعنى الكاتب فو بور سن جرمان) حتّى مجلس النوّاب فعطفنا على ساحة الكونكورد فالفندق

تناولنا العشاء وسهرنا قليلاً في احدى قهاوي بولفار الايطاليان ونهضنا في ٤ تموز (لوليو) قاصدين

البنثيون

فالفيناهُ كنيسة لا للتعبد بل لايواء رمم المشاهير شرع في بنائهِ سنة ١٧٦٤ بعهد لويس الخامس عشر ولهُ واجهة مقلّدة واجهة بنثيون رومة وشادهُ المهندس على شكل صليب يوناني ورفع قبّته على نمط قبة مار

بطرس برومة

وكان قبل الثورة مدعوًّا كنيسة القديسة جنفياف فأستبدلتهُ الثورة سنة ١٧٩١ بالاسم الحالي لما دفنت بهِ الخطيب المصقع ميرابو وصار منذ اذ ذاك مدفن عظام الناس ومأوى عظامهم ونقلت اليهِ رمتا فولتير وجان جاك روسو بذات السنة ثم امر روبسبير سنة ١٧٩٣ بدفن مارات بهِ واخراج ميرابو فجرى ذلك ولكن ماطال جورهُ فقد اخرجت رمّة مارات السفّاك منهُ في السنة التالية والقيت في هوّة منمارتر وعادت رمة ابلغ خطباء فرنسا الى المقام المعدود لها

ولما دانت السلطة لبونابرت اعاد البنشيون الى العبادة واستبقاهُ مدفنًا للعظماء من مريديهِ وانصارهِ ثم دالت دولتهُ وعادت الملكية فنفت رمتي فولتير وجان جاك روسو لكن لويس فيليب أبى الاَّ الاعتراف بفضل ذكرهما فعادتا الى البنشيون ودفن بهِ حديثًا سنة ١٨٨٥ الشاعر المفلق الشهير فيكتور هوغو

طول البنشيون ١١٣ مترًا وعرضهُ ٨٤ وعلو قبتهِ ٨٣ ودائرة القبة ٢٣ ويشتمل على المدفن (وبهِ رمم من ذكرنا) وعلى تماثيل وصور لمشاهير مصوّري ونحاتي فرنسا مكتوبة اسماء اصحابها عليها

بفسحة البنشيون تمثال الكاتب البليغ جان جاك روسو وهناك بعض مدارس اخصها مدرسة الحقوق

غادرنا البنشيون مارّين بشارع كلوفيس وعطفنا على شارع لموان فشارع سن برنارد وافضينا برصيف سن برنارد على ضفة السين وهناك سوق الخمور وبلصقهِ

جنة النباتات (جاردين ده بلانت)

ولجناها من الباب الكبير الكائن على قارعة الطريق بفسحة ڤلوبر فالفيناها فسيحة جدًّا ومشطورة ثلاثة اقسام قسم مختص بالنباتات وآخر

بالحيوانات وثالث باشجار الغاب ومساحتها ثلاثون هكتاراً .

فشاهدنا هنالك نباتات البلدان والامصار وازهارها البهيجة واشجارها اليانعة و بقولها المعشبة حتى ارز لبنان ومررنا بقسم الحيوانات (مناجري) فشاهدنا الحمل بجوار الذئب والكلب بقرب الليث والهرّ جار النمر والنسناس جار الفيل والغزال النافر جار الكركدن البليد وحمار الوحش يناظر الايل والفهد نقيض الدب والاوز يعارض البط وآلافاً من الحيوانات الضارية والانيسة والطيور الصادحة والباغمة . وشاهدنا حجرة الافاعي مفتوحةً (بحيث كان يوم خميس تفتح بهِ للعموم) فنظرنا انواع الحيات والافاعي والثعابين والاصلال مجوراً عليها ورائحة الحجرة كريهة اما من انفاس الحيات او ابرازها او الحرارة الاصطناعية الدائمة فيها وقاية لحيوتها ومنظر الافاعي مكرب تعافهُ النفس و ينبو عنهُ الطرف

و بالجنة متحف مفتوح يوم الاحد والخميس مؤلف من ثلاثة دور دار التشريح وتشتمل على هياكل الحيتان والضواري والكواسر في الطابق السفلي وعلى هياكل اجناس البشر و بيان تشريحها في الطابق العلوي ودار النباتات وكان الاولى تسميتها دار السابحات وتشتمل على هياكل انواع الاسماك وطيور البحر والزحافات وذوات الاربع والسابحات الرخوة كانواع الاخطبوط والطيور (في الطابق السفلي) وعلى طيور وحشرات وذوات الاصداف وذوات الثدي التي عاشت وماتت في هذه الجنة (في الطابق العلوي)

وولجنا دار المعادن المشتملة على مكتبة (٨٠٠٠ مجلد) وسائر انواع المعادن وقاعة النباتات الحاوية سائر الاتربة التي يمتص النبات الغذاء منها

الخلاصة ان جنة النباتات من المنتزهات الحسنة والمفيدة و يقصدها اولاد الحي واطفالهُ مع امهاتهم او قيّماتهم فيمرحون في روض غضٍّ انيق

مهندس لهذا المقصد

ازف وقت الغذاء فعدنا الى الفندق سالكين سبيل الارصفة التالية برنار – تورنل – منتبلّو – سن ميشل اوغسطين – مالاكي – فولتير (وله تمثال هنا امام منزلهِ) – ارسي وعطفنا على ساحة الكونكورد و بلغنا الفندق متأخرين الساعة ½١ وكانت ارتفعت المائدة فاكلت ما تيسّر وسرتُ الى

مجلس النواب

فسلمت تذكرة الرخصة للحاجب فدلّني على السلّم المؤدية الى الرواق المشرف على قاعة الجلسات فصعدت اليهِ بعد ان استودعت المظلة عند حاجب الودائع باسفل السلم وكان ذهابي باكرًا الساعة ٢ بعد الظهر لاحظى على مقعد ملائم قريب من شرفة المطل والمقاعد خمسة صفوف منضدة فوق بعضها فالاول القريب من شرفة المطل مخصوص بالسيدات فجلست على المقعد الثاني وظللتُ لابثًا في مكاني غير متقلقل وقد غصّت المقاعد بالوفود حتّى ارتقى الموسيو ملين رئيس المجلس على منصّتهِ وراء المنبر ودقّ الجرس فهرول النواب الى مقاعدهم وجلس حزب المحافظين عن يمين المنبر وحزب الراديكال عن شمالهِ والاحزاب المعتدلة بالوسط ثم وقف الرئيس وتلا قرار الجلسة السابقة

ثم ندب وزير المالية لتلاوة تقريرهِ عن البرنامج لانهُ موضوع الجلسة المعين

فنهض الموسيو روفيه متأبطًا كراسًا ورقى درج المنبر وطفق يتلو على الاعضاء بنود البرنامج للبحث بها

و بعد تلاوتهِ اياها اجمالاً عاد يتلوها افرادًا للمداولة بها وكان المعترضون من النواب يلتمسون الاذن من الرئيس و ينهضون للمنبر و ينتقدون على التقرير فيدافع عنهُ روفيه بفصاحتهِ وحسن بيان وسرعة خاطر تدلُّ عن فضلهِ وذكائهِ

وكان المعترضون كثيرين لاهمية الموضوع وممن اعجبني بيانهُ الموسيو بوردو نائب مدينة ليون فانهُ واضح الاشارة نقي العبارة عالي الصوت طليق اللسان كنا نسمع ونفهم كل مقالهِ وكذلك الموسيو اندريو الا انهُ اشد تانقًا

وكم كنت اتمنى ان اسمع كلمنسو اشهر خطباء المجلس او جول فري او فلوكة من مشاهير الخطباء لكن لا احد منهم صعد الى المنبر ولم اسمع من مشاهيرهم سوى روڤيه

ولما دخل فلوكه احتفل بهِ رصفاؤهُ اما كلمنسو فكان جالسًا على مقعدهِ وهيئتهُ تنبئ ان اعضاءهُ كلها آذان تسمع

وكان الرئيس يدقُّ الجرس كلما حصل لغط وارتفعت الضوضاء مرارًا بخلاف مجلس السناتو فالهدو والسكينة من شعارهِ ويقف خادمان بجانب المنبر يناولان الخطيب راحًا او ماء قراحًا لتبليل ريقهِ وتبريد غليلهِ اذا طال خطابهُ او جدالهُ ويسمح الرئيس بفرص لراحة الاعضاء خلال الجلسة ينتهزونها للانتقال الى غرفة المرطبات حيثما توجد المرطبات والمشروبات واللحوم الباردة ولا تكون الفرصة طويلة بل امد بضع دقائق

ولكل نائب مكتبة امامهُ يكتب عليها ما شاء من رسائل او يؤشر ملحوظات على اقوال الخطيب ليعقبهُ على المنبر معترضًا عليهِ

ولما صارت الساعة الخامسة نهضتُ وقد قضيتُ الوطر وما استطعت رؤْيا القصر لانهُ محظورٌ على الزائرين سوى مدة عطالة المجلس

هيئة قاعة المجلس كهيئة قاعة مجلس السناتو والبرلمان الايطالي وقد سبق وصفها ولا فائدة من الاعادة خرجت بعد ان نفحت امين المظال والعصي اكرامًا (افرنك ١) واستلمتُ مظلتي

يدعى مجلس النواب بالي بوربون اى قصر البوربون وقد بناهُ المهندس جيراردبني سنة ١٧٢٢ لدوقة بوربون وكانت واجهتهُ على شارع

بورغونيه وفسحة بور بون فصارت على رصيف ارسي امام جسر الكونكورد بازاء كنيسة المدلن مصادرة لها حتّى بالشكل الهندسي لانها شيدت رواقاً مؤلفاً من اثني عشر عموداً فوق درج شبيه برواق وعلى جدار الشارع اربعة تماثيل للوزراء الشهيرين في عهد ملوك البور بون كولبر واغسو واو بيتال وصولي

عدت الى الفندق وسرت مع عائلتي الى غاب بولونيا للتنزه

ثم عدنا للعشاء ولما كنت عازماً ان ارحل غدوةً الى الهافر لبعض اشغال تجاريّة رمنا تمضية السهرة في ملهى عدن

آدن تياتر

وهو قريب من الاوبرا ومبنيٌّ بناء جميلاً ومزخرف على النسق الهندي ومدار لهوه على الرقص ولا مثيل للافرنسيس في براعة الرقص والتفنن بحركاته فكانت الخرائد مئات يتخاصرن متعانقات منفردات متجانبات متقاربات ساكنات متحركات راقصات على أطراف الانامل خفيفات كأنهنَّ ريش الحواصل لاعبات واثبات متمايلات على ساقٍ او ساقين يقول رامقهنَّ لغصن البان أين أين والغرابة ان خفّة الاقدام منقولة على ايقاع الانغام كأنهنَّ يدوسنَّ اوتار الآلات فتأن وبارخم الالحان نمن وحضرنا بهِ العاب بنطوميم وتغيرت الملابس وتبدلت المطارف مراراً على اشكال شتى بهيجة مزركشة تتبلج ضياء واشراقاً على وميض النور الكهربائي المنعكس عليها مأربًا لنوال هذا المنظر البهي اجرة المقعد (فوتيل) في الرواق المقابل للمرسح ٦ فرنكات

عدنا من محل اللهو ونهضت بكرة الغداة في ٥ تموز مع شروق الشمس فجمعت ثيابي في الجراب وودعتُ اخي وامرأتهُ على امل اللقاء في لندن باليوم التاسع من تموز

واحضر لي خادم الفندق مركبةً فسرت الى محطة سن لازار وقطعتُ

تذكرة سفر باثنين وعشرين فرنك الى الهافر ووضعت الجراب في المستودع ثم نزلت الى فسحة الهافر بجانب المحطة وفطرت في قهوة ظريفة هناك والساعة ٨ طار بنا القطار قاصداً الهافر

الطريق من باريس الى الهافر جميلة جداً كلها بطاح مخصبة ودمن مخضرّة وهضاب زمرديّة ومروج سندسية ترويها انهر غزيرة المياه لاسيما نهر السين المنساب بين رياضها المنصب عند ساحل الهافر ويستدلُّ من التربة المخدومة والنباتات اليانعة ان فلاح هذه الاراضي شديد العناية بالفلاحة وافر الاهتمام بها وشاهدت المواشي سائمة ترعى بهذه الدمن المعشبة سمينة من حسن المرعى ولذلك اشتهر جبن بري وزبدة كايل وهما بلدتان صغيرتان بهذه المقاطعة

ظللت امتع الطرف بهذه المناظر التي اعشبت قلبي بماءها المسلسل ومرجها المخضر حتّى شارفنا مدينة روان وكنا وقفنا قبلها على محطات قرى او مدن صغيرة لا تستحق الذكر ولا يقف القطار عليها الّا كلمح البصر لأنهُ اكسبرس انما روان مدينة مهمة معدودة في طبقة ثانويّة بين مدن فرنسا فوقف الاكسبرس بها عشر دقائق فاطليت من نافذة حجرتي اطل عليها لما شارفناها فالفيتها مبنيةً بوادٍ على سفح هضبة زمرديّة وعلى ضفة نهر السين اللاثم اقدام ابنيتها ومجراهُ هنا عريض عميق ترسو على ارصفتهِ السفن والمراكب وهي عديدة وبعضها كبير وعلمت ان زمن مد البحر يجتاز النهر سفن كبيرة تحمل ٨٠٠ وترسو في مينا روان الجميل وحبذا لو قطعت تذكرة السفر لها وصرفت بها يوما لان مداخنها العديدة الدالة على سعة صنائعها وارصفتها الغاصّة بالسفن قوابل تجارتها ورياضها الغضّة الانيقة تشوّق المارّ بها الى زيارتها وقد قرأت عنها ان سكانها يبلغون المائة وخمسين الف نسمة وانها مقام رئيس اساقفة ومدرسة لاهوتية وعدة مدارس تجهيزيّة للطب والاقراباذين والعلوم والآداب وبها دار

لسك النقود وعدة ابنية قديمة باقية من الاعصر الخالية لاسيما الينابيع والحياض وكنيسة سن وان وكاتدرة نوتردام وقاعة الاقمشة وقصر الحقانية ومستشفاها من اعظم مستشفيات الارض ولها بيمارستان للنساء ومتحف جامع عاديات المقاطعة ومكتبة تحتوي على ١٢٥ الف مجلّد ومدرسة عليا وجنة نباتات وثلاثة مراسح وجمعية علمية وادبية واخرى للزراعة واخرى للطب والصيدلة واخرى للتجارة والصناعة وهي مسقط رأس الشاعر كورنيل (ولا يزال بيته محفوظًا في شارع بي) والكاتب فُنتِنِلْ وغيرهما من المشاهير وهي في الطبقة الاولى بين مدن فرنسا الصناعية ومشهورة بمنسوجاتها القطنية المصبوغة المدعوة باللغة الدارجة شيت او بصا الى سائر الاقطار وسكانها ماهرون بالصياغة وصناعة الخزف والتقطير وعمل المربيات

محطة روان فسيحة وبها حانوت بقَّالٍ يبيع لوازم المسافرين وحجرة لازاحة الضرورة

الطريق من روان الى الهافر تماثل الاولى خصبًا وإيناعًا وفكاهة للانظار وبلغت محطة الهافر الساعة ١ ونصف من الهاجرة

خرجتُ من المحطة فوجدت مركبات الفنادق مصطفة امام الباب وقد ارشدني رفيق فرنساوي سافر معي من باريس على نزل فَرَسكاتي فنزلت في مركبتهِ وسرتُ الى الاوتل وهو في الطرف الاقصى من المدينة عند فنارها ومدخل بوغازها وموقعهُ جميل وقصره فسيح وهو من اعظم الفنادق وخيرتها واثاثهُ فاخر وغرفهُ فسيحة وهواؤُهُ نقيٌ وبهِ حمامات يقصدها اهل الهافر

فقاولت صاحبهُ على اثني عشر افرنكًا باليوم اكلاً ومنامةً وخدمةً عدا الشراب وبعد ان اغتسلتُ وارتحت فطرت ودخلت الى غرفة الاستعلامات استفسر عن محل بنك الكريدي ليوني ومحل تاجر فرنسوي

بيننا وبينهُ صلات تجاريَّة فناولني الخادم هناك قاموسًا موضحًا عن مقام كل تاجر واسم شارعهِ وعددهِ فنقلت اسم الشارع والعدد وسرت الى بنك الكريدي ليوني وناولت تذكرة اسمي الى الحاجب فناولها للمدير واذن لي بالدخول وترحَّب بي بلطف وايناس فناولتهُ كتاب توصية بي من مدير بنك الكريدي باسكندرية ليعتمدني فيما اروم قضاءهُ من الاشغال وان يقبل سحبي على محلنا باسكندرية فزاد ترحابهُ بي وسألني عن محل نزلي فاجبتهُ فندق فرسكاتي فاستحسن نزولي بهِ واثنى على صاحبهِ ثم عرض عليَّ خدماتهُ فشكرت لطفهُ واخبرتهُ عن مرامي من الاشغال فسار بي الى البورص وارشدني على سمسار الاصناف التي انعاطاها مع الماقر ودلَّني عن حلقة القطن وحلقة البن وحلقة الحبوب ودائرة باقي الاصناف فشكرتهُ شكرًا جزيلاً ثم عاد الى شغلهِ

والبورص جميلة وفسيحة ومبنية في فسحة واسعة وهي مهمة باشغالها ويباع بها يوميًّا مئات من بالات الاقطان برسم روان وباريز وداخلية فرنسا لانها مينا الاقطان الاميركية الواردة لفرنسا ويباع بها يوميًّا عشرات آلاف كيس بنٍّ وهي المستودع الاعظم لهذا الصنف وترد اليها التلغرافات كل ساعة من اميركا وجهات اخرى ويلعب المضاربون بالاسعار وكلما صعد السعر او نزل يؤشر الصعود او النزول على لوح مخصوص بالصنف في البورص حتَّى لا يحصل غشٌّ بالمبيع ولا يغدر السمسار بالتاجر فاذا حصل مبيع واحد بزيادة او نقصان عن السعر المرقوم على اللوح يتغيَّر الرقم متبعًا مجرى التحسين او النزول وهكذا اصغر تاجر يعرف سعر السوق كاعظم مضارب والغريب يستغني عن كثرة التسآل فاللوح دليلهُ

وعاد الساعة ٥ مدير البنك الى البورص ونظر في اشغال البنك ثم سار بي الى التاجر الذي لنا صلات معهُ فترحَّب بنا جدًّا وارانا نموذجات (عينات او مساطر) الاصناف التي يتعاطاها محلنا فارشدنهُ عن المرغوب

باسكندرية واشتريت منهُ رسالة اعجبتني على نسبة السعر المرقوم على لوح البورص وعينتُ بيني وبينهُ التفاوت بين درجات الصنف لاشغالنا العتيدة ثم سرنا من عندهُ لسواه من التجار وعاينتُ النموذجات ودرجات التفاوت وسمنهم الاسعار واشتريتُ صنفًا من عند احدهم واستلمتُ النموذجات وكلفتُ مدير البنك ان يأمر خدمتهُ الموكلين باشغال البضائع ان يستلموا المشتروات طبق النموذجات ووقعنا على النوطة (عقد المبيع) وان يسحب القيمة على محلنا باسكندرية ويرسل بوالس الشحن لهُ ثم عدتُ الى العشاء وكتبتُ الى اخي في باريس ثم نمت ونهضت صباح الغد عقيب الفطور الى البنك ورافقت وكيل البضائع بنفسي حتّى ارشدهُ على رغبة اسكندرية من الاصناف الجاهزة وادقق المطابقة بين نموذجات الصنف المشترى والبضاعة الجاهزة للتسليم فركبنا المركبة وسرنا الى الدوك (محل تخزين البضائع) ودوك الهافر فسيح واسع الامتداد يضلُّ الساري بين مخازنهِ العديدة وشاهدتُ بهِ زهاء ثلاثماية الف كيس بنّ ومئات آلاف طن نحاس وآلاف طن قصدير وهي الكميات الوافرة التي اشترتها شراكة المعادن في باريس برسم الاحتكار وامدَّها بنك الكونتوار ديسكونت فساءت العاقبة عليهما وأودى بهما الاحتكار الى الافلاس كما طنطنت بهِ الجرائد ولا عجب فعاقبة الاحتكار وخيمة على اربابهِ والمجازفة في الاموال ونقد حقائق النقود قيمة لاسعار وهمية او متخيل بها ضرب من الجنون والجنون فنون

وشاهدتُ آلافًا من طرود الاقطان والجلود ركامًا فوق بعضها وقناطير من الحبوب مما يدلُّ عن اتساع نطاق تجارة الهافر التي اصبحت الثانية في تجارة فرنسا والاولى مرسيليا انما اذا ظلّت الهافر نامية نموَّها الحديث تدرك شأوَ مرسيليا ومما يساعدها على نموّها كونها فرضة باريس التجارية . بعد ان عاينت البضاعة المشتراة ووجدتها طبق النموذجات

اذنت لخادم البنك باستلامها فوُزنت على ميزان الدوك (طونولاطة)
ثم جلتُ بين مخازن الدوك كلها وعدتُ الى الاوتل وقد أزِف وقتُ الغذاء
فاكلتُ ونمتُ القيلولة ثم نهضتُ وسرتُ الى البنك فوقّعت على كتابٍ
يفوض البنك بدفع قيمة البضاعة واستلامها وشحنها لاسكندرية والسحب
على محلنا بها و بعدها شكرتهُ ونزلت الى البورص وهو قريب من البنك
فجلست على احد مقاعدهِ بالفسحة اراقب الاسعار والاشغال وحركات
السماسرة الى ان أذنت الشمس بالغروب فعدت الى الفندق ودخلت الى
غرفة القراءة انصفح الجرائد واكتب لاخي في باريس . ورأيت الفندق
ملوءا ومزيّنًا وقاعة الطعام الفسيحة فارغة من الخوان وجدرانها وابوابها
موشاة بالزهور والاكاليل ومدبَّجة با لاغصان الخضراء اليانعة فسألت
عن السبب اجابني صاحب الاوتل عندنا ليلة راقصة هذا المساء فان
شئت تحضرها لك الخيار فشكرتهُ وسالتهُ عن الداعي لها اجابني لاهل
الهافر عادة سنويّة يختارون يوم احد من هذا الشهر لسباق الزوارق
والقوارب والمراكب و يعيّنون جوائز لحائزي السبق و يدعون امراء البحر
وارباب السفن لمشاهدة السباق ويحيون ليلة راقصة اكرامًا لامراء البحرية
وارباب السفن و ينفق على هذه الليلة نادي السباق (كلوب) و يدعون
السباق البحري (regatte) وغدًا الساعة ١٠ صباحًا يبتدئ السباق
و يحصل امام الاوتل خارج البوغاز ويجتمع الكلوب والمدعوون في نادي
فندقنا المبني على شاطئ البحر حيثما تعزف الموسيقى ليليًا و يقدم سكان
الهافر لمجلس أنسهِ . أما جلستَ بهِ البارحة ؟ — قلت كلاَّ لاني كنت تعبان
من السفر والشغل فرقدت باكرًا — قال اذن سِرْ اليهِ بعد العشاء
فالمدعوون للرقص لا يفدون قبل الساعة التاسعة فذهبت الى الغرفة
التي نُقل اليها الخوان وقد قرع جرس الطعام فاكلت ثم انحدرت الى
مجلس الانس (كونسر) التابع للفندق لكن الجالس فيهِ ولو كان نزيل

الفندق يدفع رسم المشروب وكانت الموسيقى تعزف و بقيت بهِ حتَّى ازفت الساعة التاسعة فلبست ثوبي الاسود وجلست مع نزلاء الفندق بصحن الدار نشاهد الوافدات من الغيد الحسان متكئات كاغصان البان على اذرعة ازواجهنَّ او اخوتهنَّ الشبَّان اتكاء الاغصان على الاركان بثياب بيضاء على اوجه كشقائق النعمان يقول ناظرهنَّ ما شاء الله وكان ونظرت ضباط البحريَّة بازيائهم الرسمية مزركشة فضية ولما صارت الساعة ١٠ انقطع الوافدون ودار الرقص على ايقاع الالحان فلبثت متفرجًا حتَّى منتصف الليل فصعدت لغرفة منامتي ونهضت في اليوم التالي ٧ تموز باكرًا جدًّا وانحدرت الى رصيف البوغاز القريب من الفندق فوجدت على رصيف البوغاز خطوطًا مرقومة اعشار متر هي مقياس المدّ والجزر وكان البحر جازرًا اذ ذاك والرصيف عالٍ عنهُ ثلاث قامات وألفيتُ على فسحة الرصيف بناء شبه دائرةٍ ترتفع على صعْدَتهِ اشارات السفن القاصدة مرفأ الهافر او المارَّة في عرض بحرهِ ونكتب على الواح الدائرة من الخارج اسماء السفن التي دخلت او خرجت بذاك النهار وعلى لوح آخر نبأ الاهوية والعواصف على سواحل فرنسا و ينتقل النبأ يوميًّا الى الهافر مع البرق من المرصد المتيورولوجي في باريس ذاكرًا حالة الهدوّ او الاضطراب في سائر فُرَض فرنسا البحرية و بيان وجهة الهواء وظللت اتمشى حتَّى الساعة ٨ فأُبت الى الفندق أفطرت وانحدرت الى الرواق المشرف على جهة البحر حيثما يحصل السباق وابتدأت تتوارد الناس افواجًا امام الفندق على الشاطىء حتَّى غصَّت الفسحة مع اتساعها والساعة ١٠ اذن المدفع ببداية السباق فابتدأت الزوارق الصغيرة ثم قوارب المجاذيف ثم القوارب الشراعية والسفينة السابقة يُعقد عليها اللواء و ينال اربابها الجائزة وظلَّ السباق حتَّى انتصف النهار وحمي الاوار

انحدرت بعد الغذاء والقيلولة الى مجلس الانس (كونسر) فشاهدته

غاصًّا باهالي الهافر والموسيقى تصدح بالحانها ثم خرجت الى المرفإ فوجدت
البحر ممتدًّا مرتفعًا نحو ثلاث قامات عمّا نظرتهُ صباحًا فعظّمت ومجدت
قدرة مبدع الاكوان ومحرّك العناصر ثم تمشيت بالمرفإ فوجدتهُ مؤلفًا
من حوض المدخل الواسع ومن ستة حياض اخرى لمرسى السفن على
الارصفة فتفرغ البضائع وتشحنها على الرصيف ومنهُ . ثم عدت الى الفندق
للعشاء وبلّغت صاحب الاوتل اني عازم على السفر مساء اليوم التالي في ٨
تموز الى سوثامبتون ولندن لان سفن سوثامبتون تسافر مساء الخميس
والاثنين من كل اسبوع ثم رقدت باكرًا لعلمي بصعوبة مراس بحر المانش
لاسيما على صفراوي المزاج مثلي ونهضت صباح اليوم التالي وافطرت
وكتبت الى اخي في باريس عن عزمي للسفر بسفينة سوثامبتون مساء واني
اكون بها صباح ٩ تموز واذهب توًّا الى لندن فاكون بها الساعة ١٠ صباحًا
٩ تموز (وكنت اخذت هذه الاستعلامات من مدير الفندق) فاذا شاء
الذهاب الى لندن فيركب اكسبرس باريس كالي دوفر لندن الذي يسافر
كل صباح من باريس ويصل ركبانهُ الى لندن الساعة ٥ مساء فنصل
الى لندن بيوم واحد وعيّنت الملتقى في فندق اوتل رويال بلندن وهو
من فنادقها المعتبرة وارشدنا اليهِ اخي تيدور الذي نزل بهِ سنة ١٨٧٨
وكتبت لهُ اذا عدل عن السفر لانكلترا واحبَّ البقاء مع امرأتهِ في باريس
الى حين عودتي من انكلترا ليعرفني تلغرافيًّا بواسطة الخواجا انطون صيفي
في لندن ثم طويت الجواب ووضعت عليهِ طابع البريد (تيمبر بوسطة)
ونباع الطوابع في غرفة الاستعلامات والقيتهُ في علبة رسائل البريد وبعدهُ
استاجرتُ مركبة وذهبت الى ادارة سفن سوثامبتون وقطعت تذكرة طبقة
اولى ثمنها ٢٤ افرنك حتّى لندن لان شراكة السفن منوطة من سكة
حديد سوثامبتون لندن بمبيع التذاكر خالصة الاجور حتّى لندن ثم سرت
بالمركبة اشاهد شوارع الهافر وابنيتها فوجدت اكثر ابنيتها جديدة وحسنة

الهندام وشوارعها سكك عريضة لاسيما شارع رصيف انغوفيل فانهُ فسيح ومزروع اشجارًا مظلّةً ونزلت بحديقة مجلس البلديّة وهي في سرّة البلدة تفوح منها روائح الرياحين وتصدح بها الموسيقى

والهافر محصّنة بالقلاع والحصون وبها مكتبة ومعمل تبغ للحكومة وحوض مخصوص لسفن الترانساتلانتيك الشهيرة ذات البنوراما في معرض باريس وصعدت الى ثلاث سفنٍ كانت راسية هناك فالفيتها مثلما رأيتها في البنوراما زَيْنَ السفن حجمًا واتقانًا وبهرجةً وكلما سافرت سفينة منها الى نيو يورك يقف المودعون على رصيف المرفإ مشيعين ولما تخرج السفينة من المرفإ تطلق مدفعًا اشارة الوداع

بجوار الهافر مدينتان صغيرتان يقصدها اغنياء باريس وسراة الانكليز لتمضية فصل الصيف وهما هُنْفِلِر وتروفيل ومنظرهما من الهافر جميل لان ارضهما مكسوة بالثوب الاخضر عنوان الدمن المعشبة والرياض الانيقة

بعد الغذاء والقيلولة وترتيب جراب ثيابي ناديت خادم الفندق طالبًا قايمة الحساب ممضيةً فنقدتهُ المطلوب واوعزت اليهِ بحمل الجراب وإيصالهِ الى سفينة سوثامبتون ومرساها امام الادارة على رصيف المدخل قريب من فندقنا وسرت معهُ فاخترت فراشًا في قاعة البريمو بحيث مأذون للرجال المنامة في القاعة وهنالك فُرُش مبسوطة لهذه الغاية وعدت الى البنك مودعًا الموسيو ميشلين مديرهِ اللطيف الانيس ثم الى البورص فودعت صحبيَّ التاجرين ولبثتُ الى الساعة ٥ فانحدرت الى مطعم على الرصيف (Restaurant) واكلت وشربت من الشراب الوطني المستعمل بهذه المقاطعة عوضًا عن الماء والنبيذ وهو شراب عصير التفاح (cidre) وطعمهُ قابض المذاق شبيه بشراب الليمون الحامض المحلّى بقليل من السكر وانحدرت الى السفينة فجاءني مدير البنك مودعًا وشكرت لطفهُ

والساعة ٨ مساء جرَت السفينة بنا تشقُّ عباب المانش

من الهافر الى سوثامبتون سبع ساعات بالبحر واثنتان بجون سوثامبتون

اجارك الله ايها القارئ العزيز من جور المانش ما ارقَّ القولنج وسائر الامراض لدى مرض البحر وما احلى العلقم لدى مرّ طعمهِ لقد ذقت بالمانش من صنوف العذاب الوانًا حَتَّى كدت اتمنى الموت احيانًا

ولما شُقَّ جيب الظلام و بزغ الفجر شارفنا سوثامبتون وكنا دخلنا جونها الساعة ٣ فصحوتُ لا من الرقاد بل من سكرة الدوّار ونفضت ثيابي التي رقدت بها وغسلت وجهي وصعدت الى ظهر السفينة اشاهد ضفتي الجون حَتَّى رست السفينة بفرضة سوثامبتون

سوثامبتون

هذه المدينة مبنية عند ملتقى نهري انشين وتست ومصبهما في جون طبيعي من احسن فُرض الدنيا فمرفأُها امين للسفن جدًّا وهو سبب تقدمها لان شراكات البواخر العظيمة كشراكة البنينسولار اتخذتها ملجأً لسفنها ونقطة الحلّ والترحال وترسو السفن العظيمة الحمل الكبيرة الحجم لصق الرصيف ويشتغل آلاف من الفعلة لتفريغ البضائع وشحنها وترى البضائع مكردسة ركامًا كانها تلال

انحدرت من السفينة الى الرصيف الى غرفة التفتيش وحمل جرابي عتّال الجمرك فكُشِف عليهِ كشفًا خفيفًا . ثم نقلهُ العتّال الى حجرة القطار امام غرفة التفتيش فنفحت الحمّال نصف شلين وجلست بحجرتي ثم استفهمت عن ميعاد السفر فقال لي خادم السكة الساعة ٧ ونصف وكانت الساعة ٧ حين اذ ذاك فخرجت من حجرتي وتمشيت الى الشارع القريب من الرصيف فالفيت حانوت ماكولات ومرطِّبات فولجتهُ وافطرت كاس شاي بلبن (حليب) واشتريت كعكًا وجبنًا تداركًا للجوع على الطريق ثم عدت الى مكاني بحجرة القطار وشاهدت فنادق معتبرة بجوار الدوك كفندق پابر

وهو من الطبقة الاولى وفندق الشمس (سَنْ) اصغر منهُ

عدد سكان المدينة زهاء الثمانين الف وليس بها من الابنية الفاخرة مايستحق عناء الزيارة بُنيت قبل استيلاء السكسون على انكلترا وسلكت سبل التقدم منذ اختارها الملك ريشارد قلب الاسد مصدرًا لجيوشهِ الصليبية سنة ١١٨٩ فتوسَّعت صلاتها مع البندقية (فنزيا) وسواحل فرنسا ومنها اقلعت عمارة انكلترا سنة ١٢٢٩ و١٤١٥ لفتح مملكة فرنسا واقام بها الملك تشارلس الاول مدة مديدة

طار بنا القطار الساعة ٧ ١/٢ تمامًا من محطة الدوك والساعة ٧ ٢/١ من المحطة الاصلية محطة البلد واجتاز بين مروج خضراء ودمن معشبة وسهول مزروعة شهيَّة النظر مما يدلُّ على فضل هذه الامة العظيمة التي غالبت الصخور والشعاب فصيرتها مروجًا ورياضًا

والمحطة الاولى التي وقفنا بها محطة بشوبستوك قرية على نهر انشين ثم محطة وينشستر وهي مدينة قديمة وكانت حاضرة مقاطعة همبشير وذكرت في عهد فتوحات الرومان فنتابلغاروم لانها كانت مثوى قبيلة بلغاو الانكليزيَّة في ذلك الزمان وتغلَّب عليها الساكسون سنة ٤٩٥ لما فتحوا البلاد وسموها باسمها الحالي وتدينت بالنصرانية سنة ٦٣٥ وصارت مقام الملك الفريد الكبير ثم فتحها النورمانديون وتقدمت في دولتهم حتَّى نافست لندن تجارةً لكن غاب فرقد حظها من سماء النجاح ودمرت جانبًا عظيمًا منها حريقة سنة ١١٤١ فوقف نموها والوقوف مع تقدم الغير تقهقر

بالمدينة كنيسة قديمة العهد بنيت في الجيل الحادي عشر واشتهرت في سالف الزمان ولا تزال اطول كنيسة في انكلترا طولها ٥٥٦ قدمًا انكليزيًّا وبها عدة كنائس اخرى قديمة ومدرسة ومستشفى ومكتبة

وقف القطار بها بضع دقائق وتنقَّل منها الى عدة محطات مجتازًا اراضي اخصبتها يد الانسان وخضبتها بصبغة الخضرة الزاهية ودبجتها

بانواع النباتات حَتَّى بلغنا محطة واترلو في لندن الساعة ٩ و٥٠ دقيقة

لراكب السكة الحديديَّة حق مجاني بثمانين ليبرة عنش (تسعة وعشرين اقة) واذا وجد مع المسافر تبغ يزيد عن النصف ليبرة (٧٥ درهمًا) يدفع رسم خمسة شلينات عن كل ليبرة ومحظور عليهِ حمل اكثر من قارورة خمر واحدة لمشروبهِ

خدمة سكة الحديد غاية في الرقة فحالما خرجت من حجرة القطار حمل الخادم جرابي الى مركبة من المركبات المصطفة امام موقف القطار وقال لي اجرة المركبة شلين واحد فقلت للسائق سرْ بي الى رويال اوتل بجانب جسر بلاك فريار فانطلق بي وعبرنا جسر واترلو وهو من خيرة جسور الارض بني سنة ١٨١١ الى ١٨١٧ وانفق عليهِ مليون ليرة انكليزيَّة طولهُ اربعماية وستون بردًا (البرد ذراع وثلث اي اقل من متر) وعرضهُ ٤٢ قدمًا وعلوهُ ٢٥ قدمًا معقود على تسعة عضد متينة من حجر الصوان وعطفنا على رصيف فيكتوريا الواسع الارجاء المصطف الاشجار المحفوف بابنية فاخرة حَتَّى بلغت آخرهُ جسر بلاك فريار وهناك فندق رويال اوتل الشاهق البنيان الفسيح الجنبات فولجنا حوشهُ وترجلتُ فلاقاني مدير المحل وخاطبني باللغة الفرنسويَّة لانهُ بلجيكي فسألني ان كنت من المسجّلين اسماءهم للنزول في فندقهِ اجبتهُ كلاَّ لم اراسلك بهذا الشان لعلمي باتساع الفندق اجابني اخطات فان فنادق لندن غاصَّة بالزائرين الذاهبين والآيبين من المعرض لاسيما الاميركان ففي مثل هذه الظروف يقتضي على السائحين انباء ارباب الفنادق سلفًا ليوسعوا لهم محلاًّ واني اخبرك باسف ان فندقي ملآن بالنزلاء ولم يبقَ سوى غرفتين مرهونتين لقادمين من باريس مع بريد المساء فان شئت ان تسجل اسمك لبعد غدٍ تفرغ عندي غرف فابقيها تحت امرك فشقَّ عليَّ بلاغهُ وانا متواعد مع عائلتي في باريس بالملتقى في هذا الفندق وخشيتُ تفرُّق الشمل اذا

خاب الملتقى لان لندن كما شاهدت بحر بنيان يضلّ بهِ الجائل فاعربت
لصاحب الفندق عن داعي كدري اجابني كن قرير البال متى حضرت
عائلتك انزلها في قاعة الاستقبال تنتظر قدومك اليها فما عليك سوى
البحث في الفنادق عن محل مناسب لكم وان لم تجد في الفنادق المعتبرة
غرفًا مريحةً لكم فاجتهد ان تجد غرفًا لهذا اليوم وغدٍ وبعد غد تفرغ
عندي غرفتان فسيحتان مشرفتان على الرصيف والنهر مريحتان لكم
فشكرتهُ واعطيتهُ تذكرة اسمي كاتبًا عليها اسم اخي وقلتُ لهُ متى حضر اخي
سلمهُ هذه الرقعة وانا احضر الساعة ٥ ½ مساء واقابلهُ وسألتهُ عن فندق
إِنْشَرِنْ كُرُسْ أَجابني من الفنادق المعتبرة فامتطيت المركبة وقلت للقائد
انشرن كرس اوتل فسار بي الى هذا الفندق المبني على محطة انشرن كروس
(المحطة المعوّل عليها في الذهاب والاياب بين لندن وباريس واوربا)
فسألت الفتاة المولجة بتأجير الغرف عن غرفتين معدّتين أجابت موجود
بالطابق الثالث والرابع اما الاول والثاني ملآنان قلت لها ألا تفرغ غرفة
بالطابق الاول او الثاني بهذا النهار اجابت لا احد انبأ حتى الآن ولا
تستصعب الطابق الثالث لان المصعد (اسنسر) شغال اناء الليل
واطراف النهار وهو مريح ومتين فاذنتُ خادم الفندق باستلام الجراب
من المركبة ودفعت للسائق شلينين عن سياقين ورقيت المصعد الى
الطابق الثالث وانتخبت غرفتين ونزلت بغرفة منهما وقلت للخادمة ها رقعة
اسمي ناوليها لمديرة الفندق وبلغيها عدد الغرفتين (اي النمرة) واحضري
لي ماء لاغتسل بهِ فنقل الخادم جرابي الى غرفتي وجاءت الخادمة بماء
سخن وبارد فاغتسلت وتوضأت وغيرت ثياب السفر بثياب الزيارة
واجرة الغرف وشروط الاكل موضحة على نشرة معلقة بكل غرفة وهي اسعار
محدودة فلا يحتاج النزيل الى الاستفهام من محل الادارة واجرة الغرفة
من ٢ ½ شلينات الى ٧ حسب طبقتها واتساعها واثاثها والسرير الوتر او

الشفع اي الذي يسع واحدًا او اثنين فكان اجار غرفتينا ش ٢/١ ٨ عدا عن حق الخدمة والمأكول والمشروب

نزيل فنادق لندن لا يحتاج الى قفل غرفتهِ فالخادمة تقفلها بعد ترتيبها وتضع المفتاح المنقوش بعدد الغرفة (اي المنمر بنمرتها) عند الحاجبة ازاء مدخل الفندق فلما يرجع النزيل يجدهُ معلقًا عندها انما عليهِ ان يحكم الغلق ليلاً ويمكنهُ حذرًا من مفاجأة نزيل من اللصوص يسرق الامتعة

انحدرت من الفندق الى ساحتهِ الملآى بالمركبات فطلبتُ من سائقٍ كاغدِ التعريفة وقرأتها فوجدتُ الاجور هكذا شلين ١ للسياق اذا كان الراكب فردًا او زوجًا وان زاد الركب عن اثنين فعن كل شخص ٢,١ شلين والولدان بشخص واحد والعفش الصغير معفى انما الكبير مرسوم عليهِ بنسان عن كل قطعة وانتظار المركبة ٦ بنسات والاجرة بالساعة شلينان في مركبات الاربع عجلات و٢/١ ٢ في مركبة الهنسم وهي مركبة لجلوس اثنين (او ثلاثة بحشرة زائدة) يجلس سائقها على منصةٍ خلف الركبان ويقود الاعنة مارة فوق العربة وبينهُ وبين الركبان نافذة صغيرة في سقف المركبة يتلقى منها اوامرهم بالمسير او الوقوف واكثر مركبات لندن على هذا النسق وهي ظريفة الشكل وبدأت باريس تقتدي بها

فامتطيت المركبة وقلت للسائق بالمرستون بلدن أُلْدْ برود ستريت اسم الربع والشارع الموجود بهِ مكتب الخواجا انطون صيني صديقنا وعميلنا في لندن وكنت كتبت لهُ من الهافر عن عزم حضوري الى لندن

وشارع أُلْدْ برود ستريت قريب من البنك الانكليزي والبنك هو النقطة التي تكتنفها الدوائر التجارية والقطب الدائر عليهِ رحى الاشغال كما سيأتيك ولما وصلت المركبة الى شوارع السيتي (لندن القديمة) ومراكز التجارة بدأت تسير الهوينا من ازدحام المركبات الدائم الاستمرار سحابة النهار والارصفة غاصة بالمشاة متتابعة كالنمل على خطوط سيرها ولما

وصلنا الى الشارع المقصود فالربع المطلوب وقف السائق وقرأت اسم الربع على بابهِ فانحدرت ودفعت لهُ شلينًا اجرتهُ وولجت الربع فوجدت على الجدار عند المدخل لوحًا مكتوبة عليهِ اسماء التجار المقيمين به وعدد مكاتبهم وقرأت اسم الخواجا صيفي نمرة ١٢٢ فسألت عنهُ قيل بالطابق الثاني فصعدت السلم وعلى راحة كل طابق لوح معرف اسماء سكان ذلك الطابق واعدادهم (اقصد بالاعداد لفظة النمرة)

فطرقت باب مكتب الخواجا صيفي المكتوب اسمهُ عليهِ من الخارج والباب من البلور المجعّد ففتح احد المستخدمين فناولتهُ رقعة الزيارة فخفّ الخواجا انطون صيفي لاستقبالي وترحب بي ببشاشة ولهفة وانسٍ غريزي فيهِ ووداد معهود منهُ لعائلتي ثم عرض عليَّ دارهُ للنزول بها فابيت شاكرًا واخبرتهُ عن نزولي في فندق تشرين كرس ورويت لهُ قصة رويال اوتل وانتظاري قدوم أخي وامرأتهُ من باريس مع اكسبرس المساء وسألتهُ هل ورد لهُ تلغراف منهُ اجاب لا فايقنت بقدوم اخي فارسل احد مستخدميهِ الى رويال اوتل ينتظرهما هناك ويسير بهما الى الغرفة التي اعددتها لهما في فندق تشرين كروس

وبعد جلوسي هنيهةً حضر الخواجا حنا صيفي اخو الخواجا انطون وسلم عليَّ ثم ابنهُ الخواجا ميخايل واخبرني الخواجا انطون ان بريد القطر المصري مسافر وكان كاتبًا لمحلنا باسكندريّة فذيلت الكتاب بسطرين اطمئن بهما العائلة باسكندريّة ثم انصرفت عائدًا الى الفندق للراحة اذ كنت منضى كلالاً من الليلة البارحة فاخذ الخواجا صيفي عدد غرفتنا بالفندق ليرسل الينا الكتب والرسائل التي ترد لنا وكتب الى ادارة البوسطة بان ترسل التحارير الواردة لاسمي او برسم اخي لمحل الخواجا انطون صيفي ووقّعت لهُ على هذا التحرير ونزلت فشيّعني بلطفٍ قائلاً غدًا يكون اخي برفقتكم حيثما ترغبون الفرجة وسادبّر لكم اجازة دخول لخزائن

البنك واخرى لجنّة النباتات فشكرتهُ واشترط عليَّ زيارتهُ كل يوم واصحبني باحد مستخدميهِ فكلّفتهُ ان يدعو لي بمركبةٍ اجابني لِمَ المركبة فمركبات الاومنيبوس متتابعة متواصلة حتَّى تشرين كروس واجرة الركوب بنس واحد وكل الناس من كبار وصغار يركبون بها فشكرتهُ على الافادة ودلّني على امنيبوسات طريق تشرين كروس وسائر الامنيبوسات مكتوبة على دائرها اسماءُ الشوارع التي تمرُّ بها و بعض الشراكات التي تمرُّ في تشرين كروس ترسم صليبًا بجانب الكتابة والصليب يدعى بالانكليزيّة كروس فرمز الصليب كافٍ للاميّ او الغريب فرفعت يدي الى سائق الاومنيبوس فوقف قليلاً فهرولت ورقيت الدرج وجلست بالمركبة وهي مفترشة بالقطيفة الحمراء وعلى راكب الامنيبوس السرعة في ارتقاء درجها لان ازدحام الطريق وتتابع المركبات وتداركها لا يسمح للسائقين بالانتظار

نزلت عند الفندق ورقيت الى غرفتي بالمصعد وتمطيت بفراشي اقرأُ تاريخ لندن لبدكر واقتطفت منهُ الافادات التالية للغريب

اولاً انَّ لكل شراكة سكة حديديّة في لندن فندقًا كبيرًا بجانب المحطة تابعًا للشراكة نفسها وكلها من الفنادق المعتبرة وبُنيت تسهيلاً للمسافرين فيصعد المسافر منها الى الفندق ولا يحتاج الى حمّال او مركبات او دليل وتشرين كروس واحد منها وينصح الزائر ان لا يرتبط بالاكل بها لان مطبخها انكليزي صرف واثمان المآكل غالية ومن ثمَّ لندن بعيدة الارجاء لا تجيز لهُ زياراتهُ العود الى الفندق وان الاولى الاكل في المطاهي (رستوران) القريبة من محل زياراتهِ وان اكثرها تطبخ على النسق الفرنسوي وها اسماءُ احسنها

في شارع ستراند (Strand St.) غايتي رستوران (Gaety rest) بجانب غايتي ثياتر نمرة ۳٤۳ و۳٤٤ والعشاءُ ۲/۱ ۳ شلينات وادلفي

رستوران (Adelphi rest.) نمرة ٦٩ ازاء ادلفي تياتر – سمرسيت هوتل (Somerset Hôtel) نمرة ١٦٢ – غالي رستوران بجوار ادلفي تياتر على الشارع واجرة المأكل بحسب عدد الصحاف وجنسها حسب رغبة الآكل واثمان المآكل معتدلة

وفي فسحة ليستر (Licester Square) وهي بقعة محبوبة من الفرنسويين رستوران شيال (Chiale's rest.) نمرة ٢٠ بالفسحة المذكورة اثمان معتدلة واوتل ده باري بذات الفسحة نمرة ٥ و٧ و٩ وليستر رستوران بالفسحة على زاوية كوفنتري ستريت .

ايفانس رستوران (Evan's rest) بزاوية كوفنت غاردن

اوتل ده روم وفنيز (Hotel de Rome et Venise) مطبخ ايطالي بشارع برنس ستريت نمرة ٥٦ (Prince's St.)

الباني (Albany) نمرة ١٩٠ بشارع بيكاديلي (Piccadily) رخيص ونفيس سن جمس هوتل بشارع بيكاديلي

برلنتون (Burlinghton) نمرة ١٦٩ بشارع رجنت ستريت (Regent Street)

كوهن (Kuhn) نمرة ٢١ هنوفر ستريت

بلانشادر رستوران نمرة ٥ و٧ رجنت ستريت

ذي بمفيلون (the Pamphilon) نمرة ١٧ أرغيل ستريت ضمن اكسفورد ستريت

هلبورن رستوران نمرة ٢١٨ بشارع هي هلبرن (High Holborn)

ذي لندن (The London) نمرة ١٩١ فليت ستريت (Fleet Street)

ذي كاتدرا هوتل نمرة ٤٨ بفسحة كنيسة مار بولص (48 Street Paul Chrurch yard)

غران كافه رستوران ده باري نمرة ٧٤ لدغيت هل (74 ludgate hill)

ذي بُمرْستون بر يع بِمرْستن بشارع أُلْدْ بُرودْ ستريت (Palmerston Building)

كِنس هِدْ تِفِرْنْ نمرة ٥٣ فِنْشُرش ستريت (King's head Tavern 53 Fen church St.)

وغيرها مطاعم كثيرة يدلُّ منظارها عن مخبرها واكثرها (A la carte) اي يأكل الانسان ما يختار من الالوان وسعر الالوان مرقوم على كاغد التسعير وعادة الانكليز ان يدفع الآكل للخادم بنساً واحداً عن كل شلين لقاء خدمتهِ

اما الفنادق الاولية فهي نيو هوتل (Grand new Hotel) وهوتل مترو بول (Metropole) ورويال هوتل المذكور سابقًا وكلاريدج هوتل نمرة ٤٩ و٥٥ برُوك ستريت بفسحة غروسفنر (Grosnenor Square) وفنادق المحطات

وكلفة الاكلة بهذه الفنادق خمسة شلينات كل مرة

ومن الفنادق المعتبرة الكزاندرا هوتل نمرة ١٦ و ٢١ سِنْ جُرْجْ بْلَيْث بزاوية هَيْدْ بَرْكْ (Alexandra Hotel16/21 St. George Place,) Hyde park Corner)

ولَنْغهام هوتل بفسحة بُرْتْلَنْدْ (Langham Hotel, Portland place)

ووستمينستر بَالِيْثْ هوتل بشارع فِكتوريا ستريت وستمينستر (Victoria Street)

ومن الفنادق الثانوية المأمونة

بريتِش هوتل نمرة ٨٢ جِرْمِنْ ستريت بيكادلي (British Hôtel 28 Germyn Street)

واترلو هوتل نمرة ٨٥ جرمن ستريت بيكادلي (Waterloo Hôtel 58 Germyn Street)

أَنْدَرْتِنْ هوتل نمرة ١٦٢ فليت ستريت (Anderton's Hôtel 162) Fleet Street

كَاتِدْرَلْ هوتل نمرة ٤٨ بفسحة كنيسة بولص وجوارها

اوتل ده باري اه دروب نمرة ٩ بفسحة ليستر مطروق من الفرنسويين (Hôtel de Paris et de l' Europe 9. Leicester Square)

اوتل ده نيو يورك نمرة ١ و٢ ليستر ستريت (Hôtel de New york Leicester Street 1.2)

جِرْمَنْ هوتل نمرة ١٢ غِريقْ ستريت بفسحة صوهو (German Hôtel 12 Creek Street Soho)

غُلْدِن كَروسْ هوتل نمرة ٤٥٢ سْتْرَنْدْ ستريت (Golden crass Hôtel 452 Strand Street)

كاليدونيان هوتل نمرة ١ و٢ روبرت ستريت . ادلفي . بجانب تشرين كروس مشرف على نهر التيمس

مُرْلي هوتل بفسحة ترا فلغار (حسن المطل ومطروق من الاميركان) (Morley's Hôtel Trafalgar Square)

ومن الفخر قهاويها (وهي لا تذكر بالنسبة الى قهاوي باريس الظريفة)

سِمْبسَنْ سيغار دِفان نمرة ١٠١ و١٠٢ ستراند ستريت (Simpson's Cigar Divan 103 - 101) وتشتمل على جرائد عديدة انكليزيّة واجنبية ويجتمع بها لاعبو الشطرنج

غاتي كافه أدْلايدْ ستريت (ستراند) قهوة فرنسوية وبها بوظة Gatti's café Adelaide Street, Strand (ice. اي glace)

غران كافه رو يال نمرة ٦٨ رجنت ستريت (Grand café royal)

كوهن ٢١ هنوبار ستريت (Kuhn 21 Hanover Street.)

بعد ان آثرت عن كتاب بذكر هذه الافادات اللازمة لقادم لندن رمقت ساعتي فوجدت حان وقت قدوم الاكسبرس من باريس فاستصوبت انتظار اخي بنفسي في حوش رو يال هوتل فانحدرت وسرت بالمركبة الى الفندق المذكور ولو كنت خبيرًا باسفار لندن لعرفت ان محطة تشرين كروس هي محطة اكسبرس باريس ولكنت انتظرت اخي وامرأته بالمحطة وللفندق باب عليها وكان المحطة فسحة الفندق

الساعة ٥ ونصف رأيت اخي وامرأتهِ داخلين بمركبتهما الى حوش رويال هوتل فاستصحبتُهما معي الى فندق تشرين كروس وصرفنا ما بقي من النهار بالفندق نحادث وعلمت منهما ان عبور المنش عن طريق كالي والدوفر مريح لقصر الطريق فالمسافة بين البلدين زهاء الساعة ولما يكون صفوٌ تنظر شطوط انكلترا من كالي والاجرة من باريس الى لندن ذهاباً وإياباً درجة اولى ١١٩ افرنك ودرجة ثانية ٩٤ افرنك ولهُ حق الاياب عن طريق دوفر وكالي ام فكستون و بولونيه حسب رغبتهِ

رقدنا باكراً التماساً للراحة ونهضنا صباح الغد افطرنا قهوة ولبناً وزبدة وثمن هذا الفطور شلين ونصف عن الفرد وإذا قُرِنَ ببيض وصحفة لحم دُعي بركفست (كسر الصفراء) وصار ثمنهُ اربعة شلينات واوردت هذا الشرح بياناً لغلاء هذه الفنادق وتنبيهاً للمسافر فانهُ يستطيع ان ياكل مثل ذلك في المطاهي المجاورة (رستوران) والطعام متعادل اتقاناً وثمنهُ نصف المدفوع بالفندق

لمّا دقّت الساعة ٩ ونصف ركبنا الامنيبوس مارّين في شوارع ستْرَانْدْ وفليتْ ولَدْغِتْ هِلْ وفسحة كنيسة مار بولص وشارع تشبسيد وفسحة البنك وإمامها البورص الملكي وتمثال ولنكتون وبجانبها المانشن هَوْس (مجلس البلديّة) ثم نصف شارع ثِرِدْ نيدل (خيط الابرة) عاطفين عند مفرقهِ على أُلْدْبُرُدْ ستريت ورقينا بالمصعد الى مكتب الخواجا انطون صيفي وكان منتظرنا وبعد ترحّبهِ باخي وامرأتهِ وانقضاء واجبات السلام اخبرناهُ ان الوقت ضيق معنا ولا نقدر ان نصرف في لندن اكثر من ثمانية ايام نروم ان نزور بخلالها مفترجات لندن واستأذنا بالانصراف فأبى الاّ مرافقتنا بنفسهِ رغماً عن رجائنا ببقائهِ في مكتبهِ حرصاً على راحة شيخوختهِ فانحدرنا سويةً الى المفترجات الشهيرة القريبة من مكتبهِ وبدأنا في (البورص الملكي)

رُويال إكسشنج

بُني سنة ١٨٤٢ – ١٨٤٤ عوضًا عن سلفهِ المبنيّ سنة ١٥٦٤–١٥٧٠ وهو جميل البناء داخلهُ مربَّع الزوايا و يكتنف عرصتهُ صف اعمدة وبوسط العَرَصة تمثال الملكة فيكتوريا نحت لَوْف وعند مدخلهِ تمثال التجارة ماسكة منشور البورص بيدها وعلى اليمين تماثيل رئيس البلديّة (حاكم لندن) اي لُرْدْ مَيَرْ واعضاء البلديّة وهندي وعربي واغريقي وتركي وعلى اليسار تماثيل تجار انكليز وصيني وفارسي واسود

وعلى جدران الاروقة شارات الممالك وحاصلاتها واهم ساعات الشغل من ٢/١ ٣ الى ١/٢ ٤ بعد الظهر واشغل الايام الثلثا والجمعة

وفي طرف البورص جهة الشرق سلَّم موصل الى محل اكتتاب المومنين على مشحوناتهم (اي كومبانيات اللويد المشهورة بالسيكورتا) فرقينا الى محل الادارة نتفرَّج وما كدنا ننتهي من صعود السلَّم حتَّى سمعنا ضجيجًا وضوضاء ناشئين من صراخ المكتتبين لاسماع الكتبة والمحل غاصٌّ بالمستأمنين (المسوكرين) لان اللويد مجموع شراكات سيكورتا نتوزع التأمينات حِصصًا من كل عمل فلذلك اصبحت قطب التأمين على السفن ولها جريدة خاصة بنشر اسفار السفن واخبار نوائب البحر وبالدهليز تمثال للمرحوم زوج الملكة البرنس البرت

الفسحة ما بين البورص والبنك نقطة حلّ وترحال لمركبات الامنيبوس وبها تمثال ولنتون القائد الشهير قاهر بونابرت ممتطٍ على جوادهِ اشيد لهُ سنة ١٨٤٤ وبجانبهِ سلسبيل

وشاهدنا ايضًا بطريقنا في شارع ثِرِدْ نِيدِلْ تمثالاً للاميركي الغني بِيبُودي نُصِبَ لهُ سنة ١٨٦٩ اكرامًا لذكراهُ ومعرفة لجميلهِ فانهُ وهب مدينة لندن نصف مليون ليرة انكليزيّة لتبنى بها بيوت مريحة الى الفعلة باجور رخيصة جدًّا ويأوي الآن فيها تسع آلاف نسمة وتدفع كل عائلة

منها زهاء اربعة شلينات بالاسبوع اجرة وهكذا ارتاحت عدة عيال لان المباني تشتمل على حمامات وغرف غسيل وسائر وسائل الراحة والهبة لم تنقص في ايدي البلديَّة بل زادت وصار مجموعها ٧٥٠ الف ليرة وأبى المذكور قبول رتبة شرف من الحكومة الانكليزيَّة استمساكًا منهُ بعروة الشرف الحقيقي «كرم الخصال والاعمال» ووهب وطنهُ اميركا مليون ونصف ليرة انكليزيَّة

انتقلنا من البورص الى البنك

بنك أوف انغلاند

مبنيٌّ من طابق واحد فقط ازاء البورص ومجلس البلديَّة خليٌّ الشبابيك حرصًا على ودائعهِ شبيه بالحصون لو كانت جدرانهُ عالية مثلها يتصل اليهِ النور و يخرق فيهِ الهواء من فتحاتهِ الداخلية المكشوفة

أسَّس البنك وليم بَطِرْسِنْ الاسكتلندي سنة ١٦٩١ وهو اول بنك تأسَّس في انكلترا ومنح امتيازات وظلَّ منفردًا بالاعمال حتَّى سنة ١٨٣٤ لما أُنشئ بنك لندن ووستمينستر ولحقت بهذا بنوكة أُخرى ولا يزال البنك الوحيد في انكلترا لاصدار اوراق النقود (بنك نوط) كان راسماله لما انشئ ١٢٠٠٠٠٠ ليرة فتضاعف فيما بعد حتَّى صار اثني عشر ضعفًا و يشتغل بهِ تسعماية شخص مجموع رواتبهم السنويَّة ٢١٠ آلاف ليرة و يشتمل على اقبيةٍ مودع بها على الدوام زهاء عشرين مليون ليرة (سبائك فضية وذهبية) و يتناول البنك من الحكومة مايتي الف ليرة سنويًا لقاء ادارتهِ الدين الوطني البالغ نيف عن سبعماية مليون ليرة و يتعاطى اشغال البنوكة كغيرهِ فيخصم سفاتج و يقبل امانات و يسلف على سندات مالية او بضائع و يدخل اليهِ ويخرج منهُ يوميًا نيف عن مليوني ليرة

وللبنك غرفة مخصوصة لعمل دفاترهِ وتجليدها وغرفة اخرى تحتوي على مطبعة لطبع اوراقهِ وقراطيسهِ وغرفة لطبع اوراق النقود التي تجدَّد

يوميًّا فكلما دخل منها للبنك قُطع وأُلغي وغرفة لوزن النقود وبها آلة ظريفة جدًّا تزن بالدقيقة ٣٢ ليرةً وتلقي الكاملة الوزن في جانب والناقصة في جانبٍ آخر من تلقاء نفسها

والولوج بهذه الغرف محظور عن العموم وغير مباح سوى برخصةٍ من مدير البنك الأكبر وقد استحصلها لنا الخواجا صيفي

غرف الشغل مباحة للعموم وليس بها شيء غير عادي يستحق الوصف

بازاء البنك في كابل كُرتْ بورص السماسرة وهو محظور سوى عن المشتركين بهِ ويدفعون عشر ليرات أنكليزيَّة سنويًّا

انتقلنا من البنك الى مقام رئيس البلديَّة (لُرْدْ ميورْ)

مانشن هوس

المبني باخر شارع بُلْتري المتصل بشارع تِشْبْسَيْدْ ازاء البنك ولم نلجهُ لان غرفهُ الجميلة المعدة للولائم والاحتفالات محظورة عن العموم

سرنا بشارع بُلتري وتشبسيد وعطفنا بشارع الملك (كِنْ ستريت) قاصدين قاعة مدينة لندن المدعوة

غِلْدْ هُلْ

شيدت سنة ١٧٨٩ مكان القديمة سالفتها المبنية سنة ١٤١١-١٤٣١ والمحترقة سنة ١٦٦٦ فنقشت عليها طغراء المدينة مقرونة بهذه الجملة «اللّهمَّ لك الامر والتدبير» داخل القاعة بالغ من الحسن والظرف الغاية القصوى لانها مسقوفة بالخشب الفاخر المحفور والمذهَّب ولذلك دُعيت غِلْدْ هُلْ اي القاعة المذهبة طولها ١٥٢ قدمًا وعرضها ٤٨ وعلوها ٥٥ وتلتئم بها جلسات البلد ويحصل بها انتخاب حاكم البلد (لُرْدْ ميور) واعضاء مجلس النواب . زجاج شبابيكها مدهون ومرسومة عليهِ طغراء المملكة وطغراء المدينة

بالقاعة صورتان جسيمتان من الخشب حفرهما النقاش سُنْدَرْسْ

سنة ١٧٠٨ المدعوتان ياجوج وماجوج وكانتا تحملان في طليعة احتفال دورة اللرد ميور حين انتخابهِ — على حائطها الشمالي تماثيل الى لرْد تشاثام (الشهير في سياستهِ في القرن السابق) وولنتون (قاهر بونابرت) ونِلْسُنْ (اشهر نوخذاة في البحر) وعلى الحائط الجنوبي تمثال لوليم بتّ (اشهر سياسي الانكليز وعدوّ نابوليون الالد وآخر الى بِكْفُرْدْ (حاكم البلد اي لُرْدْ ميور الشهير في مدافعتهِ عن حقوق لندن في زمن الملك جرج الثالث

وقرّاء الجرائد نقرأ عن الخطب السنويّة التي يلقيها رئيس الوزراء بهذه القاعة بدعوة رئيس البلديّة وهي سنّة سنويّة مرعية الاجراء في ٩ نوفمبر ٢ ت ويحضر الوليمة زهاء الف نفس من الوزراء والنواب واعضاء البلديّة وخاصّة المدينة ولخطاب الوزارة اهمية عظمى يتناقلهُ البرق الى الجهات

للقاعة غرف تابعة لها منها غرفة المداولة وغرفة اعضاء البلديّة (أَلْدَرْمَنْ) وغرفة المكتبة وتحتوي على اربعين الف مجلّد وهي ظريفة البناء وجلّ كتبها عن مدينة لندن وخرائطها وغرفة القراءة وفي الطابق السفلي متحف جامع كلما وُجد في لندن من العاديات اكثرها من آثار الرومان وبعض اكؤس بلوريّة لبعض المشاهير منقوشة باسمائهم منها كاس كبير شعراء اوربا شكسبير مكتوباً اسمهُ عليها بخطهِ ومؤرخاً سنة ١٦١٣ وقيمتهُ ١٤٧ ليرة وكأس كرمويل قائد الثورة الانكليزيّة وكأس ولنتون وكأس نلسن واكؤس اخرى مدموغة باختام انكلترا منذ ٧٥٧ حتّى يومنا

الدخول الى الغلدهل ومكتبتهِ ومتحفهِ مباح للجميع

غادرنا الغيلدهل مارّين بشارع غرشمْ (غرشم ستريت) فبلغنا عند طرفهِ دار البريد وواجهنها على شارع مَرْتِنْسْ

دجنرال بُستْ اوفِس

دار البريد مشادة على النسق اليوناني وطولها ٢٩٠ قدمًا وتشتمل على قاعة مركزية فسيحة تحيط بها قاعة للرسائل العامة واخرى لرسائل لندن وثالثة للرسائل المحفوظة (بوست رستانت) ورابعة للرسائل المرتجعة او الهالكة التي لم يعلم مقر اصحابها

ولا يخفى ان ادارة البريد مهمة جدًّا واشغل من ذات النحيين فانها تنقل سنويًّا زهاء الف وخمساية مليون رسالة من مكاتيب وجرائد وزهاء ثلاثين مليون ليرة انكليزيّة من حوالات البريد التي لا تزيد قيمة عن عشر ليرات وتربح سنويًّا مليونين وربع مليون ليرة انكليزيّة ولها بنك اقتصادي لاستيداع الفائض من اقتصاد الفعلة والمستخدمين واغناء المستودع بفائدة سنويّة وبلغ المستودع زهاء خمسة وثلاثين مليون ليرة انكليزيّة وبذلك فائدة حسنة للمقلين فتصان اقتصاداتهم وتنمو مع الزمان فتصير درعًا واقيًا لهم حين النوائب

رسوم البريد في انكلترا تضاهي الرسوم المصرية وتتوزع الرسائل يوميًّا في لندن من ست مرات الى اثني عشرة حسب بعد المحلات او قربها من مركز الادارة ويوم الاحد خلوٌ من الاشغال عند الجميع حتَّى ادارة البوسطة

وتقسم لندن الى ثماني محلات المحلة الشرقية والشمالية والشمالية الغربية والغربية والغربية الجنوبية والشرقية الجنوبية والغربية المتوسطة والشرقية المتوسطة ولكل من هذه المحلات ادارة فرعية لتوزيع رسائل المحلة وقضاء اشغال بريدها فمن رام زيادة سرعة في وصول رسائلهِ ليكتب على العنوان بجانب لفظة لندن الاحرف الاولى من المحلة كحرف E للشرقية وW للغربية وما اشبه وهذه من الزوائد التي يُستغنى عنها انما اسم الشارع وعدد المحل المقصود لابدَّ منهُ على العنوان في مدينة لندن البحر الزاخر بالعمران والسكان

يخدم ادارة البريد في لندن نحو احد عشر الف عامل وعدد الصناديق (شبه الاعمدة) المعدّة لقبول الرسائل ينوف عن ١٩٠٠ وتعطي الادارة تحاويل نقود لا تزيد عن عشر ليرات الى سائر الاقطار المنتظم بريدها

بازاء ادارة البريد ادارة التلغراف او

دِ جنرال تَلِغرَف أُفِسْ

وهي بناء عظيم انفق على تشييدهِ سنة ١٨٧٠ – ١٨٧٣ اربعماية وخمسين الف ليرة يشتمل على قاعةٍ طولها ثلاثماية قدم وعرضها تسعون حاوية خمسماية آلة تلغرافية مع خدمتها وعدد الرسائل البرقية يقرب من ٢٥ مليون سنويًّا واجرة الرسالة البرقية بداخل انكلترا شلين واحد لغاية عشرين كلمة ويعفى من الكلم اسما المخاطِب والمخاطَب وان زاد التلغراف عن عشرين فكل خمس كلم بربع شلين اما الاجرة لخارج انكلترا فبحسب الابعاد

خرجنا من صرح التلغراف الى كنيسة مار بولص المجاورة له وهناك مصلَّبة قائم بها تمثال السياسي روبرت بيل الوزير الشهير بزمانهِ ثم ولجنا كنيسة مار بولص

سن پُلْسْ كاثدْرَل

شيدت هذه الكنيسة الفاخرة سنة ١٦٧٥ و١٧١٠ مكان القديمة التي احترقت مرارًا وقد انيط بناؤها بالمهندس رِنْ والبناء استْرُن وانفق عليها ٧٤٧٩٥٤ ليرة انكيزيّة فبرزت جليلة الشان شامخة البنيان مقلّدة كنيسة مار بطرس برومة في نسق البناء وعلو القبة ولكن شتان بين زخرفة تلك وظرف ساحتها وبهرجة داخلها وضياء خارجها وبين قتام هذه داخلاً وخارجًا

بنيت الكنيسة على شكل صليب لاتيني فطول هامة الصليب ٥٠٠

قدم مضاعف عرض ذراعيهِ وعلو قبتهِ الخارجية ٤٠٤ اقدام

تمشينا في حديقتها الضيقة المحيطة بها حتى ولجناها من باب واجهتها المبنية من طابقين والمرفوعة على عمد جميلة علوّ عمد الطابق الاول خمسون قدمًا قطعةً واحدة وعلوّ عمد الطابق الثاني اربعون قدمًا وتعلو العمد العالية صورة ماربولص متنصرًا وفوقها تمثالهُ محفوفًا بتمثالي مار بطرس ومار يعقوب يمنةً ويسرةً وعلى زاويتي قمة الواجهة برجان علوهما ٢٢٢ قدمًا تحيط بهما تماثيل الانجيليين الاربعة والبرجان يشتملان على جرسين يدقان في مواقيت الصلوة وامام باب الواجهة تمثال للملكة حنه نصب لها سنة ١٧١٢ واقفة وتحت اقدامها انكلترا وفرنسا وارلاندا واميركا

للذراعين واجهتان مزخرفتان ايضًا تعلوهما تماثيل باقي الحواريين

ولجنا الكنيسة فوجدنا داخلها فسيحًا مهيبًا لكنهُ عارٍ من كساء الزينة وقد ادرك الانكليز موخرًا هذا الخلل وجمعوا اموالاً طائلةً بهمة القس ملمان وشُرع في زخرفتها بادئين بالهيكل فتراهُ مرصعًا بالمرمر مذهبًا جميلاً وعزمت اللجنة الموكلة في زينة الكنيسة ان تكسو جدرانها العالية بالفسيفساء والنقوش الجميلة

قلت جدرانها العالية لان مذهب البروتستانت يحظر على اربابهِ كرامة الايقونات فيعليها حتى لا تمسها شفاه اللاثمين وتبقى بالكنيسة تذكارًا لاهل الصلاح وزينة لها

وللكنيسة ارغن عظيم من اكبر الآلات الموسيقية يعزف وقت الصلوة وهي ملأى بقبور مشاهير رجال الحرب الذين يدفنون بها بموجب قرار من مجلس النواب

عدنا من الكنيسة بشارع كنن ستريت ثم فكتوريا ستريت ثم ثِرْد نيدل ستريت وأُلد برد ستريت حيث تغذينا برفقة الخواجه صيفي في

رستوران بِرْستن حيثما يتغذى كبار تجار شارع ألد برد ستريت وهنالك طباخ سوري مستخدم بالمحل ويطبخ الالوان الاغريقية والتركية والسورية فترى النادي حافلاً باليونانيين والعثمانيين ،

صعدنا بعد الغذاء الى مكتب الخواجا صيفي ثم غادرناهُ شاكرين قاصدين برج لندن فركبنا مركبةً امام البنك اجتازت بنا شارع كِنْسْ وليم وبهِ تمثال الملك وليم الرابع والمسلة المرفوعة سنة ١٦٧١ تذكارًا للحريقة الهائلة التي سنة ١٦٦٦ دمرت ٤٦٠ شارعا و٨٩ كنيسة و١٣٢٠٠ بيتًا وارزأَت الاهلين بخسارة ٧٢ مليون ليرة والمسلّة عالية شماء مذهبة الذروة يشرف الراقي الى قمتها على نهر التمز وجواري تجارتهِ وهي مجوّفة وعدد درجات سلمها مايتا قدمٍ ويقال انها بنيت مكان البيت الذي انطلق منهُ اللهيب .

عطفنا بعدها بشارع لَوَرْ تمز ستريت (اي تمز السفلي) و بلغنا عند غايتهِ فسحة البرج وفتحة سلم السرداب المخترق اعماق الارض تحت قاع النهر موصلة السائر بها من ضفة النهر الى الضفة الاخرى

سرداب المشاة او (سبوي)

فتح السرداب برلو سنة ١٨٧٠ وانفق عليهِ عشرون الف ليرة تنحدر اليهِ بالسلم ٩٦ درجة ونسير بهِ حتَّى تصعد بالسلم الموازية على الضفة الاخرى والسرداب مبنيٌّ على منهج مزورٍّ ومورروب ورسم المرور بهِ نصف بنس وهممت بمرورهِ فانحدرت بهِ كم درجة فضاق صدري منهُ ولم اجد فائدة باجتيازهِ فعدلتُ وسرنا الى مدخل البرج او

ذي تَوَرْ

وهو مفتوحٌ يوميًا للعموم من الساعة العاشرة حتى الرابعة لهُ اربعة ابواب والباب المعوَّل عليهِ هو المعاكس لرصيف النهر واسمهُ باب الاسود (لَيِنسْ غَيْتْ) بحيث كان هناك مقام الاسود قبل انتقالها الى جنة

النباتات – على يمين المدخل غرفة التذاكر تباع بها اوراق الفرجة على محتويات البرج فيدفع الوالج شلينًا واحدًا ثمن تذكرتين الواحدة للفرجة على محل السلاح والثانية لمشاهدة جواهر الملك والدخول مجاني يومي الاثنين والسبت وينتظر الراغبون في غرفة التذاكر حتى يصير عددهم اثني عشر فحينئذٍ يسير بهم الدليل في معارج البرج ومخارقهِ والادلاء واقفون بامر الحكومة هناك وهم من الجنود المسنّين المحمودة سيرتهم

البرج حصن قديم حافظ هيئة البناء الاصلي وقد اشتهر قديمًا في سجنهِ المظلم وظلّ مئات من السنين حبس المجرمين بناؤهُ غير منتظم كسائر ابنية اعصر الظلام ومحاط بالاسوار والخنادق – يذهب بعض المؤرخين انهُ بني في زمن الرومان لكنّ المحققين يؤكدون انهُ شُيّد في عهد الملك وليم الغازي الذي اتخذهُ قصرًا لهُ وحصنًا منيعًا لمقامهِ وكان مبنيًا خارج سور البلدة

البرج فسيح الجوانب وهو مؤلف من ابراج مسوّرة تحيط بالحصن الابيض الاوسط المشتمل على ستين الف بندقية من الطرز الجديد شاهدناها مصفوفة بترتيب واتقان وشاهدنا رواق السلاح القديم المحتوي على مجموعٍ ثمين من الدروع والزرد والخوذ وعدد الكفاح في الاجيال الاولى من التاريخ المسيحي والجدران ملوّاة باسلاب الانكليز في المعامع وفي وسط الرواق اثنان وعشرون فارسًا متقلّدين عدد الجلاد تشير تواريخهم عن كيفية الكفاح في ازمنتهم

وشاهدنا غرفة لسلاح اليونان القدماء وغرفة لاسلحة الشرقيين صينيين وهنود ويابانيين وافريقيين وهنود اميركا غنمها الانكليز في فتوحاتهم

ثم صعدنا الى غرفة سلاح الملكة اليصابات وقد جمع بها انواع الاسلحة المستعملة في عهدها لاسيما آلات وادوات العذاب والفأس الذي

كانت تقطع الرؤوس بهِ وبطرف الغرفة تمثال تلك الملكه السفّاكة وهناك باب سجن مظلم

وشاهدنا عِدَد كفاح الفرنسويين والبندقيين لاسيما زرد الملك الباسل فرنسيس الاول وزرد الامير البندقي أدّي دي بادوا وهو من النحاس المذهّب

ثم انحدرنا الى البرج المستودع بهِ جواهر المُلك فالجواهر مجموعة ضمن خزينة بلوريّة كبيرة مدوّرة مسطّحة يحيط بها سياج حديدي متين فشاهدنا تاج المُلك المصوغ من الجواهر الكريمة للملك تشارلس الثاني ومن اعقبهُ من ملوك الانكليز وتاج الملكة فكتوريا المصوغ سنة ١٨٣٨ وهو تحفة من ابهى التحف منضّد من ٢١٨٢ ماسةً ومسبوك بقالب من الحسن بديع وبهِ ياقوتة كبيرة كانت في سالف الازمان منضّدة في خوذة الملك هنري الخامس وزبرجدة نفيسة في صليبه

ويردف التاج قدرًا وقيمةً صولجان الملك فانهُ مرصّع بالاحجار الكريمة

وهنالك تيجان وصوالجة اخرى بعضها مرصّع وبعضها من الذهب الابريز وسيوف واسورة ومهامز من الذهب الخالص ايضًا وجرن الفضة لعمادة اولاد الملوك وحليٌ اخرى — توازي قيمة مجموع هذا المتحف ٣ ملايين ليرة انكليزيّة

ونظرت مثال الماسة الشهيرة قوه النور (جبل النور) من اعظم جواهر الارض وانفسها وزنها ١٦٢ قيراطًا والماسة الحقيقية موجودة عند الملكة بقصر وِنْذزُرْ

داخل البرج اثنا عشر حصنًا ذات ذكرى محزنة بما جرى بها في الاحقاب السالفة من اعمال الجور والاستبداد فكم سمعت حيطانها انين الابرياء المتهمين بجريمة سياسية وكم تلطّخت ارضها بدماء المسجونين وكم

ابتلّت غرفها بدموع الباكين وكم تصعّدت بها زفرات البائسين المغضوب عليهم وكم زهقت بها ارواح ابناء ملوك وكبراء وامراء مخافة بأسهم او اتقاء دسائسهم او اغتصاب حقوقهم ولا يزال احدها مدعوًّا برج الدم

هذه الحصون خلا واحدًا منها محجوبة عن اعين الزائرين فولجنا الحصن المباح المدعو بُشان فوجدنا جدرانهُ مكسوَّة بنقش المسجونين السالفين من مشاهير العيال وعباراتهم المسطرة تستمطر العبرات وتذيب القلوب اسًى

بجانب البرج دار الضرب حيثما تسك العملة المتداولة ولا يؤذن الدخول اليهِ سوى برخصة من حاكم البلد او مدبر الدار وقد اخطأنا بالتقاعد عن السعي للفرجة عليهِ لانهُ يستحق العناء لمشاهدتهِ

ركبنا المركبة قاصدين سرداب سكة الحديد تحت النهر واجتزنا ببعض الحياض المعمولة لايواء السفن وحياض السفن عديدة على نهر التمز وتأوي آلافًا من البواخر والسفن فلله درّ العلم كيف جعل النهر اهمّ فرضة تجاريّة فغلب فرض البحار

مينا لندن او (بُرْتْ أُف لندن)

تمتدُّ مينا لندن التجارية من الجسر المدعو لندن برِدِجْ حَتَّى دَبتفُرْدْ على بعد اربعة اميال منهُ فترسو بينهما السفن الواسقة مشحونات من سائر الاقطار فتتفرغ البضائع في المخازن المسماة (دوك) معفاة من الرسوم وكل دوك مؤلف من ثلاثة طوابق ارضي على موازاة الرصيف للبضائع الجامدة وسفلي كالاقبية للسائلات من زيوت وخمور وما اشبه وعلوي مشتمل على ادوات الرفع والحطّ والحزم والنكّ وكلما يلزم للشحن والتفريغ

وراء برج لندن حوض القديسة كاترينا ويتصل بينهما شارع ضيق والحوض فسيح جدًّا انشئ سنة ١١٢٨ وجعل مكان ١٢٥٠ بيتًا كان يسكن بها ١١٢٠٠ شخص وترسو بهِ السفن التي محمولها لا يزيد عن ٧٠٠ طن وتسع مخازنهُ نيّف ماية الف طن من البضائع وامام المخازن رصيف

لنزول الركبان القادمين بحرًا من اوربا

يتلو هذا الحوض احواض لندن (لندن دَكسْ) فتمتدُّ شرقًا خمسة اضعاف مسافة الاولى ونسع ثلاثماية سفينة كبيرة عدا عن المواعين ونسع مخازنها ٢٢٠ الف طن من البضائع الجامدة واقبيتها ثمانية ملايين غلون (مكيال انكليزي) من الخمور ويشتغل بها ثلاثة آلاف فاعل ايام ازدحام السفن وتراهم وافقين آلافًا صباحًا من الساعة ٦ بازياء مختلفة لان بينهم اجانب كثيرين وكل من رغب الشغل وكان ذا بنيةٍ سليمة يجد قبولاً عند مديري الدوكات

ومن المفيد لزائر لندن مشاهدة الاحواض والدوكات فيرى عظمة لندن وثروتها ونشاطها هنالك الاصناف الثمينة كالحرير والشاي والتبغ والبن والسكر مكردسة ربى وآكامًا والبضائع محشورة حتَّى ليس ثمة قيد شبر خِلْوًا

تنال الرخصة من سكرتير شراكة لندن دكس

يوجد في لندن حياض عديدة غير هذه كحياض الصادرات والواردات والهند وكنادا وروسيا والكرة والبين اضرب صفحًا عن تعدادها ووصفها ففي وصف القليل بيان عن الكثير والحياض باسرها مقفولة ولها سدود واغلاق تُفتح وتغلق حين دخول السفن وخروجها

الى جنوب حياض لندن على امد قريب منها محطة وَبنْ التي ينتقل منها القطار الحديدي تحت النهر الى الضفة الثانية لمحطة رَزَرْهَيرْ

سرداب القطار تحت النهر او (تَمزْ طنِلْ)

بوشر بهِ سنة ١٨٢٥ تحت ملاحظة المهندس السر برونِل وانجز عملهُ سنة ١٨٤٢ بعد ان استنزف راسمال الشراكة واجهد قوى الفعلة ونكب بهم عدة مرارٍ لان مياه النهر كانت تفجر الصخور المنحوت تحتها وتندفق في السرداب وهلك مرةً سبعة فعلة والبناء قائم من عقد مقبوّ تحت قعر النهر

على خطة موروبة وعلو العقد ١٦ قدماً وعرضهُ ١٤ وطولهُ ١٢٠٠ وقد أُنفق عليهِ ٤٦٨ الف ليرة وخسرت شراكتهُ اموالاً طائلة لان مدخولهُ غير وافٍ بمصروفهِ فباعتهُ الى الشراكة الحديدية الشرقية بمايتي الف ليرة وهذه سيّرت بهِ قطاراتها ويمرُّ بهِ يومياً اربعون قطاراً

ركبنا بهِ الى الضفة الثانية للفرجة وعدنا بذات القطار والاجرة زهيدة ذهاباً واياباً

عدنا بالمركبة الى فندقنا ارتحنا قليلاً ثم نزلنا الى رستوران ادلفي المجاور نتعشى بهِ وبعد العشاء رجعنا للفندق التماساً للراحة من عناء النهار

نهضنا يوم الخميس في ١١ تموز صباحاً وافطرنا في رستوران غاتي المجاور وهو ايطالياني — المطبخ والوانهُ طيبة وثمن المأكل بغاية الاعتدال والنظافة تامة ثم تمشينا الى ساحة ترافلغار القريبة منهُ ومن فندقنا

ترافلغرْ إسكوَرْ

هذه الساحة تُعَدُّ في الطبقة الاولى بين ساحات لندن بالنظر الى طلاقتها وعمود نلسُنْ المنصوب بها والعمود حسن القوام من قطعة واحدة من حجر الصوان مرتكز على قاعدة نحاسية منقوشة برسوم الوقائع التي ظفر بها هذا البطل وعلى ذروة العمود تمثالهُ وعلو الجميع ١٤٥ قدماً فيسترقُّ العمود النظر عن بعدٍ ويروق لهُ عن قرب وتؤثر رسومهُ في عواطف الزائر لانهُ يرى على القاعدة معمعة ابي قير سنة ١٧٩٨ التي جرح بها نلسن وأبى على الجرّاح ان يضمد لهُ جرحهُ الاّ بالدور ولم يأذن لهُ مغادرة النوتي الجريح تفضيلاً لنفسهِ عليهِ ويرى بالرسم الآخر نلسن قتيلاً في موقعة ترافلغار سنة ١٨٠٥ وقد ادركتهُ المنية بعد ظفرهِ بسفن الاعداء وملاشاته قوة بونابرت البحريَّة ونقشت بجانب صورتهِ عبارتهُ الاخيرة التي لفظها وهو يتنفّس الصعداء « نتوقّع انكلترا من كل فردٍ من بنيها ان يقوم بالمفروض عليهِ » ولا غرو اذا صارت انكلترا الى حالتها الراهنة من

العزّة والمنعة والسؤدد فبمثل هولاء تتأيد الامم وقد شيد لهُ هذا التمثال سنة ١٨٤٢ وأُنفق عليهِ ٤٥ الف ليرة وهذا يسير بجانب الفضل الكبير الذي أتى بهِ هذا المقدام فانهُ وقى بلادهُ من شرّ خصومها بظفرهِ على العمارة الفرنسوية التي بناها بونابرت بقصد الغارة على انكلترا وانفق عليها الاموال الطائلة

بجانب العمود سلسبيلان متدفقان بمياه غزيرة وحواليهما ثلاثة تماثيل الواحد الى هَبْلُكْ بطل لقنو والثاني الى نَبْيَرْ غازي الحبشان والثالث الى الملك جرج الرابع ممتطيًا على جوادهِ وهنالك بالصدر رواق الصور

نَشْنِل غَلري

رواق عظيم مؤلف من ثماني عشرة غرفة وواجهتهُ على النسق اليوناني معقودة على عمد عالية من قطعة واحدة الغرف مملوءة صورًا تنوف عن الالف عدًّا لمشاهير المصوّرين الايطاليان والانكليز وغيرهم من الاوربيين وقد سُطِّر على كل صورة اسم المصوّر وسنة ولادتهِ ووفاتهِ

وأُنفق على البناء وحدهُ زهاء مايتي الف ليرة ولا تسل عن قيمة الصور فانها ثمينة ونفيسة بعضها هبات من اعاظم الانكليز كفرنون وونس وبعضها مشترى من تركة عظمائهم كتركة بيل النفيسة وبعضها مبتاع من اوربا وأفراد الانكليز باثمان باهظة وقد ولجناه باليوم التالي يوم الجمعة لان يوم الخميس محفوظ لطلبة فنّ التصوير

سرنا من ترافلغار سكور في شارع سن مَرْتِينْس ثم عطفنا بشارع نيو ستريت فشارع كنس ستريت وافضى بنا الى اهمّ سوق للبقول والخضر والفاكهة والازهار

كُفِنْت غَرْدِنْ ماركِت

سوق طويل عريض ملك الدوق بَدْفُرْدْ تباع بهِ الازهار والاثمار والبقول والخضر تزدحم بهِ الاقدام وتصطدم بهِ المناكب من احتشاد

القصّاد لا بأس من المرور بهِ لرؤْيا الاثمار والازهار التي ترد الى لندن من سائر الاقطار

مررنا بشارع رَسِلْ ستريت وبهِ مرسح دُروري لَيْنْ ثم برِنسْ ستريت ثم ديوُقْ ستريت المؤدي الى خميلة لينكولن

اِنكلانسْ إن فيلدِسْ

خميلة غياض نضيرة مجاورة لقاعة لينكُلْنْ ومكتبة لينكلن وهي اقدم مكاتب لندن والروض محفوف بغرف المتشرعين والمحامين لجوارهِ من مجلس الحقانية انحدرنا منهُ الى مجلس الحقانية

كتْسْ أُف دِجستِسْ

مقام القضاء والمرجع في حسم كل خلاف مدني او جنائي او تجاري والقصر وافر الاتساع فسيح الجنبات حسن البناء لائق بجلال القضاءِ أُنفق على بنائهِ زهاء مليون ليرة ويمتدُّ من تشانثري لانس الى شارع ستراند وواجهتهُ على الشارع المذكور مزخرفة طلية المنظر

تلجهُ مجتازًا قاعة كبرى حسنة الهندام هي اكبر قاعة شاهدناها في سياحتنا ثم تصعد السلالم الى غرف الطابق الاول وكل غرفة منها تابعة لمجلس من المجالس مثلاً لمجلس الجنايات ثماني غرف ولكل غرفة قضاة ورئيس يسمعون الدعاوي ويقضون بها وقد دخلنا غرفة من غرف مجلس الجنايات وشاهدنا موقف الجاني والشهود بزاوية والرئيس والقضاة بالصدر وارباب الدعاوي بجانب المحامين عنهم ومحامي المدعي متذمل بوشاح الافوكاتية الاسود ومنتصب على قدميهِ يستنطق المدعى عليهِ والناس وقوف في فسحة الغرفة يسمعون الاستنطاق وانتقلنا الى غرفة ثانية لمسائل التجارة وشاهدنا النمط واحدًا فسررنا بمشاهدة القصر وهيئة المحاكمة وانحدرنا منهُ بشارع إسكْسْ ستريت قاصدين مقام وكنيسة الهيكليين السالفين

ذي تمپل

من تصفّح تاريخ الصليبيين علم منزلة هاته العصبة الدينية الجهادية ووقائعها في الجيل الثاني عشر من التاريخ المسيحي وكان رواقها مضروب الاطناب في بلاد الفرنجة وكلمتها نافذة في البلاد المقدسة حيثما تأسّست مملكة اورشليم وتبوأ سدّتها الملك غود فري بليون وخلفاؤهُ من بعدهِ ودُعوا هيكليين لانهم تجنّدوا لوقاية هيكل سليمان والقبر المقدس وكان لهم في اوربا املاك واوقاف وكنائس فلمّا انحلّت عروتهم سنة ١٣١٢ وانفرطت سبحتهم عادت املاكهم بانكلترا الى الحكومة ولا يزال ديرهم وكنيستهم محفوظي الاثر في لندن لاسيما الكنيسة لان الدير تحوّل الى مدرسة لتعليم الحقوق واضحى فناؤهُ حديقة نضيرة ممتدة حتّى رصيف التمز المدعو فكتوريا إمبكمنتْ

وبناء الهيكليين في لندن مشطور ثلاثة اقسام الداخلي والخارجي والاوسط فالداخلي قريب من شارعي ستراند وفليت والخارجي من ضفة التمز (وتحوّل الآن الى قاعة فسيحة تدعى إكستَرْهُلّ نسع خمسة آلاف شخص وتصدح بها الموسيقى الدينية وتلقى بها الخطب الخيرية والمواعظ الدينية والادبية) والقسم الاوسط بينهما وبين القسم الداخلي وبالقسم الاوسط كنيسة التمپل القديمة العهد

كنيسة التمپل او (تمپلْ تِشِرْتْشْ)

مقسومة شطرين الشطر المدوّر ودائرتهِ ٥٨ قدمًا بني سنة ١١٨٥ على نسق ابنية النورمانديين وتزخرف زخرفة نفيسة والشطر المقدّس (خورس) بني سنة ١٢٤٠ على نسق ابنية الانكليز

تلجُ الكنيسة مارًّا تحت عقد ظريف وهي اوطى ثلاث درجات عن ارض الخارج فتجد السقف مدهونًا دهانًا جميلاً عربي الذوق شبيهًا بالفسيفساء والبلاط من الطوب المرسوم بطابع الهيكليين اي الحمل معانق

الصليب – زجاج الشبابيك منقوش ومدهون دهانًا حديث العهد

بفسحة القسم المدوَّر تسعة هياكل انسانية مدرعة من بقايا الهيكليين وهي من المرمر الاسود احدها تمثال إرل بمبُرُك ختَن الملك يوحنا وكان من عصبة الهيكليين توفي سنة ١٢١٩ وهذه التماثيل القديمة حسنة النقش وسليمة من طوارق الحدثان – الكنيسة معدة لقبول الزائرين من الساعة ١٠ صباحًا الى الساعة ٤ مساء ويدفع الزائر نصف شلين الى البوّاب الحارس المقيم بها فان كان الباب مقفولاً فيُطرق يُفتح

قد سررت جدًّا برؤيا هذه الكنيسة الصغيرة نظرًا لآثارها واتصال اصحابها الاقدمين بتاريخ الوطن

خرجنا منها وقد أزف وقتُ الغذاء فاكلنا برستوران غماتي وسرنا بمركبة الامنبوس لمكتب الخواجا صيفي بحيث عاهدنا للسير برفقتهِ الى قصر البلور في سِدِنهام احدى ضواحي لندن فان يوم الخميس مخصَّص للالعاب الناريَّة

فانحدرنا صحبة الخواجا حنا صيفي اخ الخواجا انطون الى محطة لَدْغِيتْ هِلْ وقطع تذاكر ذهاب واياب بما فيها رسم الدخول الى قصر البلور شلينين ونصفًا درجة اولى

كِرِسْتَلْ بَالِثْ

المحطة بالطابق السفلي بجانب كنيسة مار بولص وجسر بلاك فريار انما رصيف المحطة بالطابق العلوي منها فتصعد اليهِ بسلم ووجدنا الازدحام شديدًا والرصيف غاصًّا بالمتنزهين ولما قدم القطار تجمهروا على ابوابهِ واندفعوا عليها يلتمسون محلاً مع ان القطار متعاقب السير كل ربع ساعة فدلّنا الاحتشاد عن وفرة المتنزهين ولما لم نجد محلاً بالغرف المحظور بها التدخين اضطررنا على دخول احدى غرف التدخين ومنذ وطئناها ورأى الجلوس امرأة اخي معنا وفهموا اننا دخلناها اضطرارًا من

ضيق القطار بركبهِ الفي المدخنون سيكاراتهم من النافذة تأدُّبًا ومراعاةً لعادة المتمدنين فشكرناهم على لطفهم وادبهم ورجوناهم ان لا ينقطعوا عن حريتهم بالتدخين فابوا الّا اللطف والرقة والادب فحققتُ عيانًا وخبرةً ما اعلمهُ من تأدُّب الانكليز وحشمتهم فليت من برميهم بخشونة الطباع يتمكَّن من معاشرتهم اولاً ليختبر آدابهم وحشمتهم . قصر البلور بعيد عن لندن بُعد الرمل عن اسكندرية والقطار الى سِدنْهام (محطة القصر) مستمر الذهاب والاياب وللقصر محطتان عليا وسفلى فسرنا بواحدة وعدنا باخرى

وصلنا القصر فادهش نواظرنا مرآهُ الجميل وبناؤهُ البديع ومطلّه الرائع فقد جمع اشتات الحسن الباهر وأُفرغ في قالبٍ زاهٍ زاهر وتبرَّج من الزخرفة في انور طلاء ولبس من الظرف اجمل كساء وقام على رابية عالية وسط بقعة خضراء تشرق عليها الغزالة من خلال سحاب السماء فتكسو بعضها حلة صفراء وتسحب على بعضها ذيل الافياء وتتدفق الحياض من صبيب الماء بين غياض زانتها الازهار ورياض نمَّقتها الاشجار وخمائل رقيقة الشمائل تترنَّح فيها اغصان البان عطفًا على قدود الظباء الحسان فيالهُ من مطلٍ اذكرهُ ولا انساه واحنُّ الى عود لقياه

اشغلني حسن المطل عن وصف المحل وليس هذا بمنحطٍّ رتبةً عن ذاك بل هما في الحسن سيَّان وفي استمالة الفؤاد صنوان فالقصر مبني من الحديد والبلور ومهندم ابدع هندام يخلد ذكر مهندسهِ يوسف بكستُن الذي شرع في تشييدهِ سنة ١٨٥١ وفتح للعموم سنة ١٨٥٤ وأُنفق عليهِ مليون ونصف ليرة انكليزية

داخل القصر مرتَّب بذوق حلو وظرف انيق فترى خضرة النبات مردفة ببياض التماثيل المرمرية وخلف صفوف التماثيل قاعات فسيحة مدهونة بسائر الالوان والمياه مندفعة من الانابيب في الاحواض بيضاء

صافية متموّجة بصفاء باور القصر كأنّ لون البلور ينعكس على صفحات الماء او انّ تكسر الماء مرتسم على الواح الباور . للقصر باحة فسيحة وذراعان وجناحان و برجان عدا عن القاعات العديدة التي خُصّصت للدول في المعرض الانكليزي وتشتمل الباحة الوسطى على دائرة خطٍّ تسع اربعة آلاف شخص و بها ارغن عظيم ذو ٤٥٦٨ انبوبًا وتعزف الموسيقى يوميًا بعد الظهر -بازاء دائرة الخط مرسح وبجانب المرسح مجلس أُنس يسع ايضًا اربعة آلاف شخص

على جانبي الباحة الوسطى قاعات حسنة البناء والزخرفة ممثلة احاسن ابنية الاقدمين اولها بالصف القاعة المصرية مبنية على نسق قصر كرناك وامامها غرفة منقولة على رسم احد الهياكل المصرية بزمن البطالسة وعلى جدارها الايسر رسم هيكل رعمسيس الثالث في طيبة

يتلو قاعة المصريين قاعة اليونان وتشتمل على نموذجات من ابنية قدماء اليونان ونسخٍ من احسن تماثيلهم مسبوكة على القوالب الاصلية في الفاتيكان واللوفر

يداني هذه قاعة الرومان وتشتمل ايضًا على نسخ آثارهم في البناء والنقش كتماثيل ابولون وديانا والزهرة ورسوم الكولوسيوم والبانثيون والفوروم برومة

يتلوها قصر الحمراء نسخة الاصل في غرناطة وهو غاية في الحسن ويشتمل على ثلاث قاعات قاعة الاسود وقاعة العدل وقاعة ابن سراج والزخرفة جميلة جدًا يتخللها الايات الكريمة مكتوبة بخط واضح جليّ مذهّب

عطفنا بالقسم الشرقي وشاهدنا قاعات ممثلة البناء البزنطي والاوربي بين الجيل السادس والثالث عشر ثم غيرها للقرون التالية حتّى السابع عشر ثم غيرها لقرون النهضة الاوربية حتّى يومنا

بالشقة الجنوبية حوض كبير زرعت به النباتات المائية وبجانبه

هياكل انسانية تمثّل انواع البشر واخرى حيوانية تُري الزائر اجناس الحيوانات الكاسرة والعظيمة ثم تشاهد بيتًا روميًا بسائر غرفهِ منقولاً رسمهُ على بيوت بومبي وقد سبق الكلام عنها فلا فائدة بالاعادة

بين الدار البومبية والباحة الوسطى معرض صنائع من اقمشة وكشاكش وخزف و بلور وكتب وصور لكل منها غرفة مخصوصة وغرفة واسعة تشتمل على العوبات للاطفال والاولاد

و بالقصر سائر ما يحتاج اليهِ الزائر مطاعمٍ ليأكل بها ومتوضاءات ليغتسل بها وقهاوٍ ليرتاح بها و يتناول ما شاء من المرطبات ومحلات نظيفة لازاحة الضرورة فيستطيع المتنزه ان يسير من الصباح الى الغسق بدون ان يحتاج الى شيء من الخارج

تنحدر الى الحديقة من السلَّم الكبيرة عند الباحة الوسطى ام من السلالم العديدة الصغيرة والحديقة فسيحة الجنبات نضيرة النبات بديعة التنسيق ذات منظر انيق وارج عبيق تتخللها الماشي الظريفة والحياض اللطيفة تندفع من نوفراتها المياه لعلوّ ٢٨٠ قدمًا

بالحديقة قسم جيولوجي مجموع بهِ بعض الحيوانات المتحجرة السابقة لعهد الطوفان و بقع اخرى لالعاب الرياضة

البرج الشمالي (وهو من الحديد والبلور) مجوَّف وذو معراجٍ يرقى بهِ الزائر لقمتهِ (علوها ٢٨٢ قدمًا) و يشرف منها على بطاح مقاطعة كنت ومجرى نهر التمز والمنظر بديع

تناولنا العشاء في مطهى القصر والمآكل نفيسة وغالية ولما ارخى الليل ذوائبهُ واسدل الظلام حجابهُ بدأت السهام الناريَّة تشق كبد الافق وشهبها تومض في الجوّ كالنيازك وتنفجر كراتها الذهبية عن نجوم وضيَّة ودراري بهيَّة يمتد أجلها امتداد البرق اللامع واعقبها رسم بديع من الانوار ممثل في بداءة الاشتعال غصنين من الازهار ثم خمد اللهيب واسفرت

الانوار عن رسم ممثل شاه العجم وولي عهد انكلترا والاول معلّق على صدر الثاني وسام الاسد السامي ومن الغرابة ان الرسم شديد المطابقة كأنهُ تصوير فوتغراف فاندهشنا من هذا المرأى الجميل وافعم صدورنا بسطةً وقلوبنا حبورًا

وما كاد ينطفئ النور حتّى شاهدنا المتفرجين متسارعين الى محطة الاياب وهي المحطة السفلية غير المحطة الاولى فانحدرنا معهم اليها ووجدنا الازدحام شديدًا بحيث كان بالقصر لا اقل من ثلاثين الف نسمة ولما حضر القطار هرولنا واسعدنا الحظ بولوج حجرةٍ قبل سوانا فابنا الى لندن منتقلين بالطريق مع سائر الركبان الى قطارٍ ثاني لان القطار الذي ركبناهُ يسير توًّا الى شاثام ودوفر

وصلنا الى محطة لندن شاكرين الخواجا صيفي وفارقناهُ عائدين الى فندقنا

نهضنا يوم الجمعة في ١٢ تموز ونزلنا بعد الفطور الى رواق الصور بساحة ترافلغار فوجدناه كسائر المحلات العمومية بلندن لا يفتح ابوابهُ قبل الساعة ١٠ صباحًا فعطفنا خلفهُ في غرين ستريت (الشارع الاخضر) وافضى بنا لساحة ليستتر

ليستتر اسكوير

هذه الساحة والحي المجاور لها منزل الفرنسيس الوافدين الى لندن او المقيمين بها يتوسط الساحة حديقة منعشة وتمثال شكسبير منقوش عليهِ «لا ظلام بالوجود بل جهل» والتمثال قائم على اربعة حيتان تدفق ماء ويزين زوايا الحديقة اربعة تماثيل (انصاف اي بوست) لاربعة مشاهير قطنوا وهم احياء في هذا الحي منهم الفيلسوف نيوتن

عدنا الى رواق الصور (ناشينال غلري) وشاهدنا صورهُ العديدة لمامًا بحيث اعترانا الملل من وفرة صور المتاحف وقد تقدم وصفهُ آنفًا

وانحدرنا منهُ قاصدين المتحف الانكليزي مجتازين بالشوارع الآتية سن مَرْتِنس وسن أَنْدْرُو وفسحة بُرُدْ ستريت ثم شارع بلومس بري المؤدي الى شارع غرَيْت رَسِلْ وهناك المتحف الانكليزي

برِتِشْ ميوزِيوم

او دار العجائب والغرائب وخزينة آثار الادهار وحافظة تاريخ الاعصار والامصار مفتوح الابواب للقصاد كل يوم من الساعة ١٠ صباحًا حتَّى الساعة ٦/٤ بعد الظهر ولا يغلق منهُ سوى قاعات التاريخ الطبيعي بومي الثلاثاء والخميس وقاعات المنحوتات اليونانية والرومانية يومي الاربعا والجمعة لانها مختصة بطلبة العلم — واجهة المتحف على الشارع الذي قدمنا منهُ وهي مبنية على اعمدة جسيمة على نسق البناء اليوناني وعدد الاعمدة ٤٤ وعرض الواجهة ٢٧٠ قدمًا وهي مزخرفة بالنقوش والتخاريم

ولجنا الباب واستودعنا المظلات والعصي عند الحاجب وشاهدنا امام المدخل تمثال شكسبير وبالصدر ازاء الباب الممرُّ الموصل لقاعة القراءة التي أُنفق على بنائها سنة ١٨٥٥ و١٨٥٧ ماية وخمسون الف ليرة وهي قاعة فسيحة مدورة مقبوة بالحديد والبلور تسع ثلاثماية قارىء او كاتب بكل راحة ولكل قارىء مقعد وطاولة وعلبة معلقة للكتب والاقلام والحبر ومَناط لتعليق القبعة ومجلس الملاحظ على مقعد عالٍ بوسط القاعة محفوف بموائد عليها فهارس المكتبة وتبلغ الالف مجلد وعلى الموائد ايضًا كواغد مطبوعة يكتب عليها الطالب اسم الكتاب وعنوانهُ وعدد مقعدهِ لان المقاعد مرقومة العدد وان كان مطلوبهُ كتابًا مطبوعًا كتب على كاغدٍ ابيض او على ملوَّن اذا كان كتابًا منسوخًا ثم يطوي الكاغد ويلقيهِ في وعاء معدٍّ لهذه الغاية امام مائدة الملاحظ فيحضر احد الخدمة ويسعى بالكتاب المطلوب الى مقعد الطالب

ومن رام المطالعة بهذه الغرفة يجب عليهِ ان يلتمس ذلك خطًّا من

مدبر المكتبة ويذكر اسمهُ ولقبهُ ومهنتهُ وعنوان منزلهِ بلندن ويرافق ذلك بتوصيةٍ من رجل معروف في لندن ويشترط عليهِ ان لا يكون عمرهُ اقل من ٢١ سنة فتصدر لهُ الرخصة ذاتية لهُ غير قابلة التعدي والانتقال اما الزائرون للفرجة فمسموح لهم الولوج بمجرد استئذان شفاهي من موزع التذاكر ومقامهُ في غرفة على يمين باب المدخل والمكتبة معدودة في الطبقة الاولى بين مكاتب الارض لا توازيها سوى مكتبة باريس الكبرى الوطنية وتشتمل على مليون مجلد من المطبوعات

ويقسم المتحف الى اثني عشر قسماً ولكل قسم حارس مخصوص مسئول بوقايتهِ والاقسام هي - الكتب المطبوعة - الكتب المنسوخة الرسوم والتصاوير - الخرائط والتخطيطات - العاديات الشرقية - العاديات الانكليزيَّة والاثنوغرافية - العاديات اليونانية والرومانية - النقود والمسكوكات - النباتات - المعادن - الجيولوجيا - الحيوانات

شاهدنا هذه الاقسام كلها ويتعذر عليَّ وصفها لاحتياجها لحسابها الخاص الى كتاب اوفر اتساعاً من هذا واكبر حجماً لان المتحف الانكليزي اغنى متاحف الدنيا بسائر موجوداتهِ ولا يفوق عليهِ سوى متحفي رومة وباريس في عاديات الصور والتماثيل ومكتبة باريس في عدد الكتب وهو اغنى الجميع في باقي الاقسام ويستطيع الزائر ان يبتاع كتاباً شارحاً متن الموجودات بالمتحف ويباع هناك انما اوجِّهُ انظار الزائر العربي الى قاعة الكتب المنسوخة فيجد في احدى خزائنهِ كتباً عربية ثمينة لمشاهير مؤلفي العرب ونسخة قديمة من القرآن الشريف ونسخاً من الكتب المقدسة عند الصينيين والهنود والفرس القدماء والخزينة المذكورة ممتدة في وسط القاعة وبالقاعة المذكورة خزينة جامعة خطوط الملوك واخرى خطوط مشاهير العلماء والكتبة والسياسيين منذ أربعة اجيال فاقدم وخزينة بها سفر التكوين باللغة السريانية منسوخ في سنة ٤٦٤ بعد المسيح

ويقال انهُ اقدم نسخة من اسفار التوراة وبغرفة مكتبة الملك (اهداها جرج الرابع الى الامة) نسخ من اوائل المطبوعات كتوراة غتنبرج مخترع المطبعة المطبوعة سنة ١٤٥٥ واول مزمور مطبوع على الرقّ سنة ١٤٥٩ وديوان الشاعر دانتي سنة ١٤٧٢ وديوان ازوب اليونانيِ سنة ١٤٨٠ وخُطب سيشرون سنة ١٤٦٩ وديوان فرجيل سنة ١٥٠١ وقس عليهِ

على يسار فسحة المدخل رواق المنحوتات والمنقوشات ويشتمل على غرف عديدة واحدة منها لآثار الرومان واثنتين لآثار اليونان واربع مشتركة للرومان واليونان وواحدة لعاديات قبورهم وغرفة لآثار برثنون أثينا المشهور وهي فلز مرمرية منحوتة بمنقاش الشهير فدياس اليوناني وتعدُّ أفخر الآثار كما ان فدياس المذكور امهر النحاتين اشتراها اللرْدْ الجين سنة ١٨٠١ من الحكومة العثمانية وكان سفيرًا لديها بمبلغ سبعين الف ليرة انكليزيَّة ثم بيعت الى الحكومة الانكليزيَّة بنصف القيمة تكرمًا من صاحبها لوطنهِ فكافأتهُ الحكومة بان نسبت الغرفة أليهِ تخليدًا لذكرهِ وما ادراك ما البرثنون هو الهيكل المشيد لبلاَّس او آثينا الهة الحكمة على رابية الاكروبول بمدينة اثينا وبني بعهد بريكلس اجل وانور عصر لليونان سنة ٤٤ قبل المسيح ولا اجمل وابدع من اللوح المنقوش عليهِ ولادة الهة الحكمة من رأس زيوس (جوبيتر) كبير الالهة في معتقد قدماء اليونان

يتلو آثار اليونان والرومان عاديات الاشوريين والمصريين وهي وفيرة ومهمة حازت انكلترا بها قصب السبق على متحف سائر الدول

رواق الاشوريين مؤلف من اربع غرف — كويونجق (نينوى القديمة) — ورواق نمرود — (قلعة نمرود) — وقاعة نمرود — وبقية الآثار الاشورية — والفضل في جمع موجوداتها عائد الى السِرْ لايارد والمستر جرج سمث اللذين صرفا ثمين الوقت في التنقيب بين انقاض نينوى وقلعة

نمرود فشاهدنا في قاعة كويونجق نقوش قصر الملك سنحاريب في نينوى سنة ٧١٠ قبل المسيح ونقوشًا اخرى منحوتة بعهد حفيدهِ سردنابال واحجارها من الجصّ وهنالك نقوش راسمة غزوة سنحاريب بابل وفتحهُ اياها وعودتهُ منها بالاسرى والاسلاب وفوز سردنابال على العيلاميين وخلافها كثيرة وشاهدنا بقاعة قلعة نمرود منقوشات قصر اسرحدون (خلف سنحاريب) على نهر الدجلة بقلعة نمرود ورأينا بها ايضًا مسلّة الملك شالمناصر وآثارًا اخرى عنهُ تاريخها طاعن في القدم سنة ٨٨٠ قبل المسيح

وشاهدنا برواق نمرود رسم الملك اشور اسربال متردياً بثوب مزركش ومعتقلاً الحسام والصولجان وصورة مَلَكٍ برفٌ حولهُ بجناحيهِ ولديهِ الخدم والحشم حاملين تقدمات دينية رمزيّة وصورة مالكٍ قابض على رمز الصاعقة يخزي بها ابليس وشاهدنا قطع عاجٍ منقوش برسوم مصريّة

وشاهدنا بغرفة بقية الآثار الاشوريّة -كثيرًا من آثار بابل: كؤوسًا وخزفًا وطوبًا منقوشًا ومسلات مكتوبة ودروجًا ملفوفة وآنية نحاسية

قسم العاديات المصريّة مؤلف من خمس قاعات محتوية على آثار مصريّة من ثلاثة آلاف عام قبل المسيح حتَّى سنة ٦٤٠ مسيحية ومن القاعات ثلاث في الطابق السفلي واثنتان في العلوي وشاهدنا بها الحجر الاسود الشهير بحجر رشيد الذي وجدهُ الفرنسويون بقرب رشيد وحلّ بواسطتهِ شمبوليون عقدة اللغة الهيروغليفية – والحجر مكتوب بثلاث لغات اللغة المصرية القديمة (هيروغليفية) واللغة المصرية الدارجة بعهد البطالسة (اللغة القبطية) واللغة اليونانية واستولت انكلترا على هذا الحجر لما قهرت الفرنسيس في موقعة ابي قير وأجلتهم عن القطر المصري وشاهدنا تماثيل رعمسيس وطوطمس ومنفتاح وامنوفيس وغيرهم من فراعنة مصر ونواويس

وتوابيت واوراق البابيروس مسطرة مكتوبًا عليهـا واصنام حيوانات ومعبودات وعِدَد كفاح وجلاد وآنية ورياشًا ومقاعد وكراسي منصّصة وخزفًا وطوبًا مدهونًا وآنية باورية وادوات زراعة واجسامًا محنطة وآنية من الفخار والجص والزجاج واقتصرت عن الاطالة لوجود امثال ذلك في متحف بولاق بمصر

غرفة البرونز (النحاس الممزوج بالقصدير وتسكب منهُ التماثيل الكبيرة التي دعوناها نحاسية اقتداء بالعرب الذين لم يضعوا لفظة الى كلمة برونز) تشتمل على عاديات يونانية واتروسكانية ورومانية من تماثيل معبودات وافراد مشاهير وآنية ومرايا واسلحة ومصاغ ومفاتيح واغلاق وشاهدنا بها اسطر لابات عربية متقنة صنع الاندلس

قاعة العاديات الانكليزيّة تشتمل على العاديات الانكليزية قبل المسيح وبعدهُ والآثار الرومانية التي اكتشف عليها في خرائب انكلترا واهمّ قسم بها غرفة الحلي وهي مقفولة تُفتح لطارق بابها فولجناها وشاهدنا بها من ذخائر الحلي والنقود والمسكوكات والخرز جمعًا وفيرًا يفوق مجموعات سواه من المتاحف وعاينت في خزينة النقود عملة مضروبة في زمن الفينيقيين بصيدا وصور وبيروت وجبيل وطرابلس وارواد

القاعة الاثنوغرافية فريدة في بابها وجوهرة في عقد المتحف يفضل بها عن متاحف الدنيا اجمع ولا تستطيع جمع شمل موجوداتها سوى الدولة الانكليزيّة الممتد جناحها على اصقاع الارض والمستديم ظلها لان الشمس لا تغيب عن املاكها وقد ضمّت بهذا المحل ملابس الامم (غير الاوربية) وانواع اثاثهم واسلحتهم واوانيهم وادواتهم وعددهم وآلاتهم وكلما يشير عن العوائد والمشارب والمعايش فهي تاريخ حيٌّ بآثار القبائل والشعوب وترجمان معرب بافصح بيان عن عوائد القبائل المندثرة والحاضرة الذين عاشوا او لا يزالون قاطنين في افريقيا والصين واليابان والهند وجزائرها

وبرما وجاوه وشمال اميركا وجنوبيها والمكسيك والبيرو وجزائر الاوقيانوس المحيط وجزائر بحر الظلمات (الاوقيانوس الاتلنتيكي) واستراليا وبلاد الاسكيمو وقطب الشمال

قاعات الحيوانات والنباتات تشتمل على موجودات ثمينة لا يعلو عنها سوى متحف الحيوانات والنباتات في جنة النباتات بباريس وبحيث سبق وصف ذلك المتحف فالاقتصار اولى وكذلك اضرب صفحًا عن وصف قاعة المعادن لذات السبب

واعلم ان غرف المتاحف يطرأُ عليها التغيير والتبديل لا من حيث موجوداتها فهذه تزيد ولا تنقص لكن من حيث تناسقها وترتيبها فربَّ موجودٍ الآن بالطابق السفلي يرتفع في العام المقبل الى الطابق العلوي والعكس بالعكس

غادرنا هذا المتحف النفيس والنفس تودُّ البقاء بهِ اياماً لو تستطيع اليهِ سبيلاً وشرَّدنا غذاء العقل عن غذاء الجسم فولجنا بيت طعامٍ بشارع اكسفورد القريب من المتحف واكلنا ما حضر وطاب وارتحنا نصف ساعة ثم استأجرنا مركبة قاصدين معرض مدام توسو فاجتزنا اكسفرد ستريت وعطفنا عند آخرهِ في أُزْخَرْدِسْ ستريت ووقفنا عند ساحة بُتمان (Portman squ.) وهي ساحة جميلة تكثر بينها وبين ساحة غُرُسڤنر قصور الامراء ومنازل الاشراف ثم مررنا في باكر ستريت حيثما حللنا في دار تحف مدام توسو نمرة ٥٧ (Madame Tussaud's exibition)

ولجنا الدار دافعين شليناً عن كل منا وصعدنا بسلمها الى الطابق العلوي المعروضة بهِ تماثيل مشاهير الناس الاحياء مسبوكة من شمع ويوجد بينهم بعض مشاهير الاموات ايضاً والتماثيل لطيفة جدًا وشديدة المطابقة لصور اصحابها فشاهدنا الملوك واعاظم القوَّاد والسياسيين والعلماء والبابا ورتشيلد والجنرال بولانجه وشاه العجم محفوفاً بالاسرة المالكة وقد

زار هذه الدار قبلنا باسبوع وشاهدنا رسم مدام توسو واقفة بباب القاعة تستقبل الضيوف كأنها حيّة ولا بأس من تعريف هذه الامرأة الفاضلة .
كانت من حشم البلاط الملوكي الفرنسوي على عهد الثورة الفرنسوية فلما هبّت ثورة الفرنسويين ونكبوا بالعائلة المالكة وعيال الامراء هاجر كثيرون من هولاء واتباعهم وكانت مدام توسو ورعة في مذهبها وفيةً في صداقتها محبةً للحزب الملكي فاكتأبت من رزية العائلة التي كانت تودّها وشُقَّ عليها البقاء بارض سقيت من دم لويس السادس عشر وعائلته وهان عليها كل عزيز بعدها فهاجرت المقام ونزحت الى لندن وكانت مهنة زوجها صبّ تماثيل الشمع وصبَّ فيما مضى تماثيل العائلة المالكة الفرنسوية فعرضتها في دارها وصارت الناس تتوارد لمشاهدة صور العائلة المنكوبة المنكودة الحظ فربحت من ذلك وفطنت بتوسيع دائرة التماثيل فاعقبتها بتماثيل مشاهير الثورة وزاد ربحها واقبال الناس عليها واستمرّت في الزياده والناس في الاقبال حتّى بلغ متحفها منزلتهُ من الشهرة والاستحقاق
وبالمتحف غرفة جامعة شتاتًا من آثار بونابرت منها مركبتهُ التي غنمها البروسيون في جنّاب واشترتها مدام توسو بمبلغ ٢٥٠٠ ليرة وغرفة اخرى مدعوة غرفة الاهوال مشتملة على جماجم ورسوم المجرمين المحكوم عليهم بالقتل وعلى آلة الغيلوتين الشهيرة التي قطع بها رأسا لويس السادس عشر وماري انطوانت وتمثال رأس هذه الملكة الفتّانة بالحسن مقطوعًا بالآلة المذكورة والدم راعف من انفها ومتدفق من شرايين العنق .
ويدفع الداخل علاوة نصف شلين رسم الفرجة على هاتين الغرفتين
عدنا الى الاوتل وقد ارخى الليل ستارهُ فتعشينا ورقدنا ونهضنا صباح السبت في ١٢ تموز قاصدين مشاهدة قصر وستمينستر اي البرلمنت الانكليزي والولوج بهِ مباح يوم السبت فقط وبما ان ابوابهُ تفتح الساعة ١٠ وكان الجوّ صافيًا كيوم الخميس (باقي الايام التي صرفناها في انكلترا

كانت غائمة وممطرة) فطرنا ونزلنا نتمشى على رصيف التمز القريب من فندقنا المدعو رصيف فيكتوريا ويمتدُّ من جسر بلاك فرايَرْسْ حتّى مجلس البرلمنت

رصيف فكتوريا او (فكموريا مبانكمنت)

تمهّد سنة ١٨٦٤ – ١٨٧٠ وانفق عليهِ مليونا ليرة طولهُ ٢٣٠٠ بردًا وعرضهُ ٢٢ يصونهُ من النهر سور متين ثخانتهُ ثلاثة امتار ونظلِّلهُ اشجار باسقة على نسق بولفارات باريس ولهُ فتحات سلالم على النهر ذات مواقف حديدية فارغة الاجواف ترتفع وتنخفض مع تيار الماء وفعل المد والجزر وينار الرصيف ليلاً بالنور الكهربائي بين جسر وستمينستر وجسر واترلو وهناك ايضًا المسلّة المصريّة المعروفة بمسلّة كليوباترا التي اهداها رأس العائلة الخديويّة المغفور لهُ محمّد علي باشا الى الحكومة الانكليزيّة وظلّت ٥٩ سنة بعد الهبة ملقاةً على شاطئ بحر اسكندرية مضطجعة بجانب شقيقتها الواقفة الى ان تكرّم الانكليزي ارسموس ولسن بنقلها لوطنهِ على نفقتهِ ونقلت سنة ١٨٧٧ بعد أن عانوا لاجلها الاهوال وذهب فريسة البحر بضعة شجعان تفانوا في سبيل انقاذها وانقاذ الموجين بنقلها – علو المسلة ٦٨ قدمًا وهي من الحجر الصوان الاحمر المقطوع في سَين والمُسوَّى مسلة بامر طوطمس الثالث سنة ١٥٠٠ قبل المسيح ونصبت في مدينة آن (هليوبوليس اليونانية ومطريّة اليوم) وعليها كتابة اخرى هيروغليفية منقوشة عليها بعد جيلين من الكتابة الاولى بعد رعمسيس الكبير ونقلت المسلة من هليوبوليس الى اسكندرية بعهد الحكومة اليونانية في السنة الثامنة لملك اوغسطوس قيصر سنة ٢٣ قبل المسيح

مسلّة باريس اعلى من هذه واجمل منظرًا

بجانب الرصيف ايضًا بضعة حدائق صغيرة نضيرة ظريفة معدّة لراحة المشاة المتنزهين على الرصيف

دقّت الساعة العاشرة من الصباح فكنّا امام مدخل قصر وستمينستر

وستمينستر بالث

للقصر ثلاثة ابراج برج الساعة (كلك تور) علوهُ ٣٠٠ قدم والبرج الاوسط (مدل تور) علوهُ ٢١٨ قدمًا و برج فكتوريا (فكتوريا تور) علوهُ ٣٤٠ وهو اكبر الثلاثة واعظمهم شأنًا تلج منهُ الملكة الى قاعة البرلمنت حين فتوحهِ السنوي — بجانبهِ غرفة رئيس الحجاب (لُرْد تشمبرلين أُفِس) تؤخذ منها اوراق الزيارة مجانًا يوم السبت و يولج منها الى القصر و يسير مع كل سرب من الزائرين جندي يريهم غرف القصر وقاعات المجلس شارحًا لهم بعض المسائل و يرافقهم حتّى باب الخروج فدخلنا مع نحو من ثلاثين زائرًا مجتازين فسحة مربعة قائمة على اعمدة ظريفة ومقبوة على النسق الغوطي واخترقنا منها الى غرفة انشاح الملكة حيثما تتشح الملكة بمطرف السؤدد تهيؤًا للدخول الى قاعة البرلمنت وهذه الغرفة مزخرفة زخرفة بديعة وخشبها محفور بصناعةٍ دقيقة وتشتمل على كرسي السلطة المذهّب — انتقلنا منها الى الرواق الملكي الذي تصدر منهُ الملكة محفوفة بالحشمة والاحتفاء مرافقة بابهة المُلْك لقاعة مجلس الاعيان حين فتوح البرلمنت او اطالة أمدهِ — بلاط الرواق من الفسيفساء وسقفهُ محفور باتقان ومذهّب ببذخ وعلى جداري اليمين واليسار رسمان حسنان ممثل احدهما مقتل نلسن في معمعة ترافلغار والآخر اجتماع ولنتن في بلوخر بعد ظفرهما بموقعة واترلو

عجبنا منهُ بغرفة الامير (برنس تشمبر) غرفة صغيرة لكن في غاية الحسن والزخرفة مكسوة بالخشب الاسود الثمين المحفور على ذوق القرون الوسطى — ازاء بابها سرب تماثيل من المرمر ممثلة تتوّج الملكة فيكتوريا يرفّ فوقها ملكا العدل والرحمة وعلى دائرها العالي صف صور ملوك الانكليز وذوي قرباهم من سنة ١٥٨٥ الى ١٦٠٣

لهذه الغرفة بابان مؤديان الى قاعة مجلس الاعيان فوجناها والفيناها فسيحة البنيان نفيسة الزخرفة والدهان طلية النوافذ والجدران مزينة اكلف زينة مذهبة اثمن تذهيب طولها ٩٠ قدماً وعرضها نصف ذلك وعلوها بمقدار عرضها بصدرها الجنوبي عرش الملكة مصنوع من الخشب النفيس المحفور المذهّب يحفّهُ عن اليمين واليسار مقعدان من الخشب المحفور المطرز المذهب الواحد لولي العهد والثاني لامرأة الملك او زوج الملكة - بازاء العرش رواق من الخشب المطرّز المذهب موصل مجلس النواب بمجلس الاعيان وتحتهُ رواق معدٌّ لجلوس المرخّص لهم بحضور جلسات المجلس من وكلاء الجرائد او الغرباء عن المجلس سواء كانوا انكليز ام اجانب - بجدران القاعة اثنا عشر شباكاً مدهونة برسوم ملوك الانكليز وينبعث منها النور ليلاً الى القاعة فينيرها - فسحة القاعة مفعمة بمقاعد اعضاء مجلس الاعيان البالغ عددهم ٤٢٤ عضواً منضدة فوق بعضها ومكسوة بالجلد الاحمر - السقف نفيس الزخرفة والزينة

بجانب القاعة رواق الاعيان مبلط بالطوب الفاخر والمخرمة بالوسط فهناك دائرة شبيهة بمينا الساعات مدبّجة مقلّمة بالنحاس المنقوش بين بلاط الطوب وبالرواق مَناط لكل عضوٍ يعلِّق عليهِ قبعتهُ وبُرنُسهُ واسم العضو مكتوب على المَناط

دخلنا من رواق الاعيان بدهليز موصل الى القاعة الوسطى لا مشاحة ان هذه بالغة غاية الابداع والانقان مثمّنة الشكل ثمينة الكلفة مزينة بانفس الزخارف مبلطة بالفسيفساء ومسقوفة بخشب محفور حفراً جميلاً مفصّصاً ومرصّعاً برسومٍ من الفسيفساء ولها اربعة ابواب مؤدية الى اربعة دهاليز موصلة لقاعة الاعيان وقاعة النواب وقاعة الانتظار وقاعة مار ستفنس وبجانب الابواب حنايا موضوع بها تماثيل بعض ملوك الانكليز - خرجنا من الباب النافذ بدهليز قاعة النواب والدهليز مدهون ومرسوم

ثم برواق النواب المائل لرواق الاعيان الآنف ذكرهُ ثم بقاعة النواب فوجدناها شبيهة قاعة الاعيان في شكل تكوينها لكنَّها اقلُّ طولاً وزخرفةً وبهاء وكلفةً وخالية من عرش ملوكي فمخرها في خطبائها لا في جلائها — مقعد الرئيس بالصدر ويدعى سبيكر ويجلس عن يمينهِ حزب الحكومة وعن يسارهِ الحزب المضاد فالوزراء وزعماء الاضداد يجلسون في المقدمة بازاء الرئيس — فوق مقعد الرئيس رواق كتاب الجرائد وفوقهُ رواق السيدات وبالواجهة المقابلة لهُ رواق الغرباء والاجانب المسموح لهم بسماع جدال الجلسات اذا نالوا تذكرة من احد اعضاء المجلس — اما السفراء وعظماء الاجانب فيضافون الى مقاعد مخصوصة بنفس القاعة يفصلها شبك حديدي عن مقاعد الاعضاء

على جانبي قاعة العموم غرفتان مدعوتان رواقا الاقتراع وذلك انهُ اذا حصل خلاف في قرار واقتضى حسمهُ باغلبية الآراء فالمصادقون على الرأي ينسحبون الى غرفة الغرب والمخالفون لهُ الى غرفة الشرق ثم يلجون بالترتيب وتؤخذ اعدادهم

عدنا الى القاعة الوسطى وانحدرنا منها الى قاعة ماراسطفان الفسيحة وتشتمل على تماثيل عظماء سياسيي الانكليز من المرمر الصقيل وبالحنايا تماثيل بعض ملوكهم وبجانبها بالطرف كنيسة ماراسطفان التي انحدرنا منها الى قاعة وستمينستر القديم وهي قديمة العهد وسقفها الخشبي مرتكز على الجدران فقط مع انها من اشد ابنية الارض اتساعاً طولها ٢٩٠ قدماً وعرضها ٦٨ وعلوها ٩٢ وهذه القاعة العظيمة شهيرة بحوادثها الماضية فكانت مجمع الناس في ولائم الملوك حين تبوئهم وسجن بها داود ملك اسكوتلاندا وحنا ملك فرنسا وحكم بها بالموت على الملك تشارلس الاول وبويع بها كرمول رئيساً للبلاد وحامياً زمارها يوم توشح بالثوب الارجواني الملكي المخطط وقام خطيباً على الشعب قابضاً بيد على الصولجان

الذهبي وبالاخرى على التوراة ثم قتل بها بعد ثماني سنوات وعلقت جمجمتهُ في السقف وظلت معلقة ثلاثين سنة حتَّى هوت بهبوب عاصفة واشتراها احد سلالتهِ من عائلة رَسِل الشهيرة ثم الدكتور ولكنسن ولا تزال ذخيرة عند نسلهِ — وحكم بها بالموت على كثير من مشاهير الانكليز امراء وعظماء واساقفة وحوكم بها اللرد بيرون عم الشاعر الشهير لقتلهِ خصمهُ في البراز

بالقاعة المذكورة بعض تماثيل لملوك الانكليز وخرجنا من بابها العام الى الشارع

منظر قصر وستمينستر ظريف من الخارج كالداخل واحجارهُ منقوشة ومخرَّمة نطيب لذوق الشرقي وشيد سنة ١٨٤٠ مكان القديم الذي احترق سنة ١٨٣٤ وانفق عليهِ ثلاثة ملايين ليرة انكليزيَّة

انحدرنا منهُ الى كنيسة وستمينستر بجانبهِ

وستمينستر آبي

كنيسة قديمة العهد بُنيت اولاً في الجيل السابع وهُدمت وترممت مرارًا وبناؤها الاخير من صنع الجيل الثالث عشر

شهرة الكنيسة بمن دفن بها من المشاهير حتَّى صارت عنوان الشرف الباذخ والشهير من صادق البرلمان على دفنهِ بها ومن وارتهُ طيَّ ثراها انتشر صيتهُ بين العالمين فيتفانى الانكليزي لبلوغ هذا المقام وبها ازماس عظيمة النقش وفيرة الكلفة واكثر مشاهير الانكليز مدفون بها من سياسيين وقواد ولوردات وعلماء من اسحق نيوتن حتَّى داروِن والتذينا جدًّا بمشهد هذه القبور الثمينة — ركبنا متها قاصدين متحف كنزينتن فمررنا بفكتوريا ستريت ثم غرو سفزستريت على طرف الروض الاخضر (غرين پارك) ثم عطفنا في سكة روتن رو على طرف روض هَيْد (هيد پارك) فسكة برِنْس غَيْتْ على طرف حدائق كسينتن المتصلة بهيد بارك او هي جزء منهُ وترجلنا امام القبة البديعة المشادة تذكارًا لزوج الملكة البرنس البرت

أَلبِرْتْ مِمُورِيَل

شيدت هذه القبة النفيسة المكلفة سنة ١٨٦١ بطرف روض كنسينتن امام معرض سنة ١٨٥١ تذكارًا للبرنس زوج الملكة وانفق عليها ماية وعشرون الف ليرة اكتتب بنصفها الشعب الانكليزي تقديرًا لفضل الفقيد والقبة قائمة على اربعة اعمدة من الصوّان الاحمر تظلل تمثال البرنس من البرونز المذهب تحفُّ بقاعدة القبة تماثيل فاخرة من المرمر ممثلة اوربا وآسيا واميركا وافريقا ونقوش متقنة من المرمر راسمة مشاهير المصوّرين والنقاشين والبنائين والشعراء - علو القبة ١٧٥ قدمًا يتخلل مرمرها الصقيل اللامع ترصيع الفسيفساء والحجارة الملونة والنحاس المجلي وكتب على دائرها العالي باحرف من الفسيفساء الزرقاء على الحجر المذهب « من الملكة فكتوريا وشعبها تذكار للبرنس زوجها الفقيد جزاء لفضلهِ وسعيهِ وراء خير الامة »

رويال البرت هل

قاعة فسيحة بيضية الشكل محيطها ٨١٠ اقدام مبنية على نسق مرسح ايطالياني تسع ٨٠٠٠ جليس انفق على بنائها مايتا الف ليرة تكرّم الشعب بنصفها وبيعت اطنافها باربعين الف ليرة وسدد الباقي من ايراد معرض سنة ١٨٥١ رسمُ الدخول لرؤياها بنس واحد وشاهدنا بها الارغن العظيم ذا الثمانية آلاف انبوبة وهو من اعظم الاراغن المصنوعة خلف القاعة جنائن جمعية الزهور الملكية

رويال هُرتيكلتشورَل سوسيتي

تألفت هذه الجمعية سنة ١٨٠٤ لقصد ترقية زراعة الزهور واشترت ارضًا بقرب جنائن كيو لعرض الزهور والاثمار بها وعينت مكافأة لمن يكون معروضهُ احسن من منافسيهِ تنشيطًا للزارعين فصارت ارضها مطروقة من الناس ومجتمعًا لاهل الفكاهة ثم عدل الناس عنها لبعدها

فاستأجرت الجمعية من شراكة معرض سنة ١٨٥١ الحديقة الحالية وجعلتها معرضًا للزهور واحسنت ترتيبها وزخرفتها بالبرك والحياض والرسوم والتماثيل فصارت محل نزهة ومجمع المتنافسين بزراعة الزهور

رسم الدخول الى الحديقة شلين وتعزف بها الموسيقى العسكرية بعد ظهر السبت

بآخر شارع المعرض (اكزيبيشن رُدْ) متحف كنزنتن

ثوث كنزنتن ميوزيوم

مدخلهُ من شارع برُمتَنْ وهو مجاني يوم الاثنين والثلاثا والسبت وغير مجاني في باقي الايام والرسم نصف شلين فولجناهُ وقد دبَّ بنا الجوع فاجتزنا حالاً دهليزهُ ودخلنا الى قاعة الطعام (رستوران) فاكلنا طعامًا نفيسًا غير غالي الثمن بالنسبة لجودة الطعام وغلاء المقام وبعد الراحة نهضنا لمشاهدة غرائبهِ وقد علمنا ان الحكومة تنفق عليهِ سنويًّا ثلاثماية الف ليرة لقصد ترقية الفنون والصنائع في بلادها ويتدرَّب بهِ الطلبة وارباب وارباب الصنائع على امهر الاساتذة وفحول العلماء فافاد البلاد كثيرًا وتقدمت انكلترا في كثير من الفنون التي كانت مسبوقة بها

ويشتمل المتحف على مدرسة للفنون يعلم بها الرسم والتصوير وعلى مكتبة للفنون ذات ٤٢ الف مجلد و ٥ الف نقش و٤٠ الف رسم وعلى متحفٍ جامع عشرين الف قطعة من بضاعة الزخرفة والزينة وعلى رواق الصور فشاهدنا بهِ معرض بضائع من الفخر معروضات المتاحف والفضل عائد الى الحكومة التي انفقت مليون ليرة في سبيل مشترى بضائعهِ النفيسة والى الافراد الذين تكرموا باعارة المصنوعات الثمينة الى المتحف لتظلَّ بهِ عرضةً لدرس الطلبة وبحث الصنّاع فترى كل صنف مكتوبًا عليهِ اصلهُ وفصلهُ (اسم صانعهِ وقيمتهُ واسم صاحبهِ اذا كان عارية)

اليك اهمّ ما جذب ابصارنا وادهش افكارنا

بقاعة الابنية — نسخة عمود طرايانوس برومة وهيكل من السنديان المحفور اصلة من كنيسة ألمْ بالمانيا صنع سنة ١٤٦٨ وهيكل من المرمر صنع طليطلة في الجيل الخامس عشر ومنبر من الخشب المحفور مكتوب باللغة العربية مأخوذ عن احد جوامع القاهرة في الجيل الخامس عشر وغيرها آثار وافرة

برواق الصور في الطابق العلوي — صور نفيسة منزلة كلها بالفسيفساء صنع مشاهير المصوّرين مثل ميكل انج ورفايل وفنتشي وفلاكوز وبلونديل وهوغارث وملردي وربنلدس يتخللها منحوتات من كبار النحاتين القدماء والاخيرين من فيدياس اليوناني قبل المسيح حتّى غوجن الفرنسوي سنة ١٥٧٢

بقاعة المصنوعات النفيسة — مجموع نفيس من اواني البلور والزجاج قديمة وحديثة صنع اليونان والرومان والامم الاوربية — مجموع من النقود الانكليزيّة والاجنبية واوانٍ وتماثيل واسلحة نحاسية قديمة وحديثة — مجموع آنية من الخزف والفخار والقيشاني صنع اليابانيين والصينيين — اصنام نحاسية صنع اليابان والصين مجموع اختام ونياشين قديمة وحديثة ومصنوعات العاج — مجموع منسوجات واسلحة وآنية خزفية صنع الشرق أثاث مكتب لويس السادس عشر — آثار طروادة التي اكتشفها الاثري الشهير شليمن على نفقة الحكومة الانكليزيّة في جبل قيصرلك باسيا الصغرى بعد عناء عظيم لانها كانت مطمورة نحو عشرين قدماً تحت الارض فاثبت بعلمهِ وجهدهِ ودرايتهِ صحة شعر هوميرس وهناك نيف عن الف قطعة من الاسلحة والآنية الخزفية والباوريّة والنحاسية والعجلات والمحاريث

بالقاعة الشمالية — مجموع منحوتات بعصر النهضة صنع مشاهير

النحاتين — منسوجات وطنافس اوربية قديمة وحديثة — مجموع آلات وادوات الموسيقى قديمة وحديثة — مجموع اثاث ورياش نفيسة واعجبنا منها طرابيزة جميلة الحفر مذهبة ومرصّعة بقطع الخزف صنعها غراهام لمعرض باريس سنة ١٨٥٥ - مجموع مركبات قديمة - مجموع مصنوعات فارسية من آنية الفخار والخزف والقيشاني والطوب والاسلحة والطنافس

اما القسم المخصص لعرض الصور ففيهِ آلاف من الصور النفيسة الثمينة هبة اغنياء الانكليز وسراتهم

الخلاصة ان متحف سَوْث كنزينتن من افخر المتاحف واطلاها لنظر المتفرّج

عدنا منهُ بالمركبة الى حديقة هيد بارك لنشاهدها ونرى هيئة اجتماع الانكليز لان يوم السبت بعد الظهر مخصّص لتنزه الانكليز فتقفل الاشغال ويركب الاغنياء مركباتهم الفاخرة الى سكة روتن رو بروض هيد بارك وهو بمنزلةِ لنشان في غاب بولونيا (باريس) او سكة الجزيرة (القاهرة) او سكة ترعة المحمودية (اسكندرية)

روض هيد بارك

روض فسيح يضلُّ بهِ السائر ومرج انيق دائم الخضرة ناضر تجري بهِ بحيرة صافية الماء وتينع بهِ اشجار ذات افياء يختلف اليهِ الناس التماساً للتنزه والصفاء فتراهم بهِ زرافات ووحدانًا مشاة وركبانًا هذا فقير الحال يركب قدميهِ ويسرج نعالهُ ويفترش العشب الاخضر وذاك وافر المال يمتطي الجياد المطهمة او يتمطى بالمركبات المفخمة يجرُّها سائق رافل حلة نفيسة املس الشعر مستور اليدين بقفَّازٍ جديد متعمّم الرأس بقبعة حريرية ذات ريشة والمركبة مدموغة بطغراء مخصوصة اشارة الى ان راكبها من الامراء والسادات

لله ما اعظم ركب روتن رو فلا مثيل لهم في الثروة ومظهرها ولا اجمل

منظرًا من الجياد الانكليزيّة فلها من الغزلان اعناقها وجلدها اللامع الوضي ويعتني امراء الانكليز جدًّا في تربيتها وخدمتها ولذلك صارت خير الخيول وسلبوا منا بشطارتهم وعنايتهم حتى شهرة الجياد العربية

اذا اكتفيت من منظر الركبان في سكة روتن رو وسربينتن وُك دائر الروض وداخله فاصعد لجانب بحيرة سربينتن القائمة في قلب الروض والمستوردة ماءها من نهر التمز تعاين قيمات نظيفات اللباس حاملات ولدانًا بيض الوجوه من الطراز الاول ويدهنّ زوارق صغيرة طول قدم او قدمين فيلقين الزوارق في البحيرة وينشرنَ شراعها فتسير الزوارق في البحيرة جريًا على صفحات الماء ويعدو الولدان على الشاطىء مسرعين لسبقها الى الشاطىء المقابل وهناك الضحك وافترار الثغور لاسيما اذا اقبلت الريح الزورق الصغير في وسط البحيرة

انما حذار من التوغل في ربوة المرج البعيد عن مماشي الناس لئلاّ تنكشف اسرار العشاق من خلف سجوف العشب — بجانب روض هيد بارك حديقة كنزينتن

كِنْزِنْتُنْ غارْدِنْ

جنينة متصلة بروض هيد بارك يفصلها عنهُ خندق ناضب الماء والجنينة نضيرة يتخللها مماش ظريفة بين اشجار كبيرة يانعة وتماثيل بديعة بين النجم انيقة تعزف بها الموسيقى يومي الثلاثا والجمعة

عدنا الى فندقنا باحسن شوارع لندن الجديدة اعني كوينس غيت ثم بُرُنْتُنْ رُدْ ثم بيكادلي على حد الروض الاخضر (غرين بارك) وعطفنا بكوينس وُك ثم بشارع بُلْ مُلْ مارين امام قصر سن جمس احد منازل الملكة بلندن المحظور ولوجه عن الناس الاّ برخصة يصعب نوالها — ينتهي شارع بُلْ مُل بساحة ترافلغار فعطفنا منها الى فندقنا وقد شفّنا العناء فارتحنا الى صباح اليوم التالي

نهضنا صباح الاحد في ١٤ تموز فوجدنا تحريرًا من الخواجه انطون صيفي متضمنًا ثلاث رقاع دخول لجنينة الحيوانات المباحة للعموم كل يوم والرسم شلين سوى الاحد فانهُ مختص باعضاء الشراكة واصحابهم ووعدنا الخواجه حنا بان يحضر الينا الساعه ٢/١ ٢ بعد الظهر ويرافقنا الى الجنة المذكورة

سمعنا ان انكلترا تحفظ الاحد للراحة والعبادة ولكن جهلنا ان تحفظها عليهِ شديد الى حدٍ انك لا ترى حانوتًا مفتوحًا ولا قهوة ولا بيت طعام ولا ملهًى من الملاهي ولا محلاً عموميًا الاَّ الكنائس فعلى الغريب ان يأخذ حيطتهُ وإن كان نازلاً في غير فندق ان يتدبر من البارحة لفطور غدهِ والاَّ يبيت حتَّى الساعة ٢ بعد الظهر على الطوى فان بيوت الطعام لا تفتح قبل هذا الوقت—نزلنا الاسواق فما سمعنا حركةً ولا لغطًا كان لندن مدينة الاموات وليس بها الاَّ ذاهبًا لكنيسة متأبطًا كتاب الصلوة فاستأجرنا مركبة وبدأنا نطوّف في الشوارع المشهورة والمطر دائم الانسجام غزير الصبيب لا نرى مثلهُ في بلادنا سوى بشهري كانون— انحدرنا بشارع انشربن كروس ثم هُوَ يَتْهُلْ ثم البارليامنت وهناك

فسحة البارليامنت

بجوار قصر وستمينستر وهي حديقة خضراء انتصبت بها تماثيل نحاسية لخمسة مشاهير من كبار الساسة—ارل دربي – سِرْ روبرت بيل – كَنِنْ – بُمِرستن – دبزرائلي – قريب منها الاكواريوم وكان مقفولاً فعطفنا من الفسحة بشارع سن جرج ثم بِرْدْ كاج وُكْ المؤدي الى قصر بكنهام

بكنهام بلاث

قصر بديع تحفهُ الرياض والحدائق من سائر جهاتهِ لانهُ بُني بين الروض الاخضر (غرين بارك) وحديقة بكنهام وروض سن جمس وهو منزل الملكة ومحظور الولوج اليهِ – عرض واجهتهِ بازاء روض

سن جمس ٤٦٠ قدمًا ونمي الينا ان داخلهُ مزخرف جدًّا ونفيس الزينة لاسيما قاعة الرقص وغرفة العرش

عطفنا بسكة مُلْ وهي لا مشاحة اظرف سكك لندن هندسةً واقومها سبيلاً واوفرها اتساعًا وابنعها شجرًا وانحدرنا منها الى شارع واترلو وهناك عمود يُرْك

يُرْك كلمن

قطعة من حجر الصوان يعلوها تمثال الدبوق اف يورك (ابن الملك جرج الثالث) نصب لهُ سنة ١٨٣٣ – علو العمود ١٢٤ قدمًا ولهُ معراج لولبي موصل لقمتهِ فيصعد بهِ المتفرج (دافعًا ٤ بنسات) ويطلُّ على غربي لندن ورياضها الانيقة

سرْنا بشارع وترلو فالفينا بفسحة تذكار حرب القرم – تمثال الهة الفوز محفوفة بثلاثة جنود واقفين على قاعدة من الصوان منقوشة باسماء المواقع آلما وانكرمن وسباستابول وخلف التمثال المدافع التي غنمها الانكليز من الروس في تلك المعامع

وبآخر الفسحة ثلاثة تماثيل الى لرْد كليد (الظافر بموقعة لكنو) وسِرْ فرنكلين النوتي الشهير بسفراتهِ القطبية والثالث لرفقائهِ الذين هلكوا في سبيل الاكتشافات الجغرافية

اجتزنا شارع رجنت ستريت المتصل بفسحة واترلو والمنتهي بفسحة بُرتلاند وهو من اهم شوارع لندن حركةً وابهجها زينةً وأحسنها حوانيت واغلاها قيمةً واطولها امدًا وأوفرها اتساعًا . على جانبهِ القريب من فسحة واترلو شارع هنوفر وهناك فسحة هنوفر الجميلة وتمثال وليم بت وعلى الجانب الاقصى منهُ فسحة كفنديش وبها تمثال الدبوق كمبرلاند

أُبنا الى فندقنا عن طريق فسحة واترلو وفسحة ترافلغار وحضر الينا الساعة ٢ بعد الظهر الخواجا حناصيفي متكرمًا بمرافقتنا الى جنة الحيوانات

فعدنا بنفس طريق الصباح الى فسحة برتلاند المنتهية عند فاتحة رجنت بارك فاجتزنا هذا الروض الفسيح اليانع

رجنت بارك

انشأ هذا الروض ولي عهد الملك جرج الثالث وكان يلقب في عهد ابيهِ البرنس رجنت اي القائم بشؤون الملك وتلقب الروض بهِ ويشتمل الروض اليانع النضير الفسيح الانيق على عدة اقسام لشراكات مختلفة – قسم لشراكة حدائق الحيوانات وآخر لشراكة حدائق النباتات وآخر لشراكة طوكسو فوليت وقد اجتزنا بهِ عقيب براحنا جنة الحيوانات فوجدناهُ قريب الشبه بروض هيدبارك والفينا الناس مجتمعين بهِ آلافًا حلقات حلقات ولكل حلقة خطيب او واعظ يؤيد دينهُ او رأيهُ فوقفنا في حلقة مع الواقفين وشاهدنا الخطيب مسندًا الى شجرة واقفًا على كرسي والناس حولهُ وقوف يلتقطون مقالهُ وموضوعهُ تأييد الدين المسيحي ثم انتقلنا الى حلقة ثانية بجانب الاولى شبيهةً بها وموضوع الخطيب عكس الاول اي نقض الدين المسيحي لان الخطيب فيلسوف ماديٌّ فتعجبنا لا من حريَّة هذا الخطيب فان انكلترا لا تعارض حريَّة الفكر والدين وهي جديرة بكل ثناء انما ذهولنا حصل من هيئة الحلقات فان السامع كان متنقلاً من خطيب الى خطيب معتمدًا على فهمهِ في ادراك اقوالهم وتمييز الغث من السمين غير مضغوطٍ عليهِ ولا رقًّا اسيرًا لفكر او رأي لا يحول عنهُ بل مستعدًّا لتلقي البرهان واعتماد القياس الصحيح من مقال الخطباء.

وصلنا الى باب حدائق شراكة الحيوانات فانحدرنا اليها

زولو جيكل غردنس

لهذه الجنة عدة ابواب اهمها الباب النافذ على الشارع الدائري المدعو أوْترْسِرْكِلْ وكان ولوجنا من باب الممشى الفسيح (بُرُدْوُك) المخترق روض رجنت واحسن اوقات الزيارة ساعات بعد الظهر لان بها نُطعم

الحيوانات فيتفرّج الزائر على حالة تهيج الجوع ونهم الاكل وحينئذٍ تخرج لمرأى الناس طلبًا للغذاء لكنها تتوارى وتحتجب عن العيان قبل الظهر فينفي الاسد في عرينهِ والظبي في كناسهِ والنسناس في كنّهِ والطير في وجرهِ والحوت في حوضهِ وتطعم الضواري والكواسر والاسود والنسور بين الساعة ٢½ والساعة ٤½ اما الحيات فتتناول طعامها مرّة بالاسبوع يوم الجمعة الساعة ٣ بعد الظهر

هذه الجنة تجمع شتات الحيوانات المعروفة بالارض وهي الاولى في نوعها بين عواصم الممالك واقتصر عن تعداد حيواناتها فقد سبق ذكرها في جنة حيوانات باريس وهذه تفوق جنتي باريس المخصوصتين لهذا الشان (جاردن ده بلانت وجاردن دكليماتاسيون) بكثرة الضواري والكواسر والحيات فيوجد في باريس ظرافة واحدة وهنا اثنتان وهناك اربعة اسود وهنا ثمانية وهناك فيلان وهنا اربعة وهناك ثلاثة اسود بحريّة وهنا ستة وهناك كركدن واحد وهنا اثنان وهنا من سائر انواع النسانيس واضحكنا منظر الغوريلا فلا ينقصهُ سوى النطق اما الاسود فزرناها في حالة جوعها قبل قدوم طعامها وسمعنا زئيرها عن بعد وشاهدناها تحتفز وتشرئبُّ في عرينها وتنشبُ مخالبها على الحديد المانع من افتراسها الناس وعيونها تقدح الشرر فياعطشها والماء يجري ويا جوعها والطعام حاضر والذُّ منظرٍ تطيب لهُ النفس منظرها ساعة يقدم حارسها حاملاً ملقط الحديد ووعاء اللحم فتكاد تحطم الشبك الحديدي استعجالاً لالتهام اللحم فيمد الحارس الملقط الحامل قطعة اللحم من خلال الشبك فيختطفها المزبر بمخلبهِ و ينفي ثم يبتدئ بنهش اللحم وتجريدهِ عن العظم وفتحة فكيهِ مرعبة مقدار زمجرتهِ

تمتاز جنة الحيوانات في لندن عن سواها ليس فقط في وفرة حيواناتها وتعداد اجناسها بل ايضًا في جمال منازلها وحسن ترتيبها وتشتمل على دائرة خشبية تعزف بها الموسيقى العسكريّة وعلى غرفة للقراءة وعلى بيت

طعام وقهوة ولما انتهينا من الفرجة تناولنا العشاء في بيت طعامها والطبخ جيد ومعتدل الثمن ثم ولجنا روض رجنت السابق ذكرهُ ووصفهُ واخترقناهُ وخرجنا بشارع الأونرسركل وهناك امنيبوسات عديدة تسير بالناس الى احياء لندن المتعددة فركبنا امنبوس تشرن كروس وعدنا الى الفندق

سرنا صباح الاثنين في ١٥ تموز قاصدين مكتب صاحبنا الخواجا صيفي لنبلّغهُ عن عزمنا على السفر الى ليفربول في اليوم التالي وانحدرنا معهُ نزور الخواجا جبران صوراتي من معارف اخوتي ومكتبهُ في فِنشرش ستريت ثم الخواجا خليل بولاد نزيل لندن موقتًا وقابلنا عندهُ الصديق اللبيب بطرس بك مشاقة ثم جلنا باسواق المدينة نبتاع بعض اللوازم وتغذينا في بمرستن بِلدِن رستوران وسرنا بعد الظهر الى حديقة كيو البعيدة عن البلد فرافقنا اليها احد مستخدمي الخواجا صيفي المقيم في ارباض لندن بمجيّ كيو

كيو غاردن

طريقها بالسكة الحديدية ومحطتها في بُرُدْ ستريت ستاشِنْ Broad Street Station بجوار محل الخواجا انطون صيفي والاجرة طفيفة نحو شلينان ذهابًا وايابًا

سار بنا القطار فوقفنا على محطات كننبَري وهَيبري و بنسبري وكمدِن تَوْن وكنتِشْ تَوْن وهمبستِدْ وو يلسدن دِجنكِشن واكتن وهَمَر سمث ونزلنا عند محطة كيو وكل هذه محطات احياء من لندن

الطريق من محطة كيو الى كيو غاردن فسيحة ومظللة بالاشجار اليانعة

الحديقة مفتوحة للعموم كل يوم من الساعة ١ حتّى الغروب وهي من افسح وابنع واتقن الرياض مزروعة اشجارًا باسقة واعشابًا نضيرة مونقة

وتخترقها الماشي الجميلة السهلة وتخللها بعض المباني اللطيفة الحسنة مثل معبد يوناني (بنثيون) يضمّ تماثيل ولنتن وجرج الثالث وغيرها وهيكل مَنْدِن تذكار ظفر الديوق برنسويك بعمعة مندن ومعبد هتدي شاهق البنيان يشرف على الروض البهج والحيّ المعتل الهواء الظريف البناء وقاعات فسيحة تشتمل على انواع الاخشاب و بعض الآثار

ومن اجمل بقع الحديقة بقعة الورد ودار النخل (هذه من البلور تمتد بين تراب النخل اقنية حديدية تجري بها المياه السخنة لتسخين المكان ووقاية النخل من برد الجوّ) ودار الزنبق المائي ودار كزبرة البئر

النباتات عديدة وغضّة بهذه الجنة الخضراء و يقصدها طلبة النبات ليقرنوا العلم النظري بالعلم العملي

عدنا من كيو بالسكة الحديدية الى الفندق وطلبنا من مدبرتهِ علم الحساب لندفعهُ صباح غد قبل السفر

وقد جاء لوداعنا الخواجات صيفي وصوراتي و بولاد وكنا غيابًا بالحديقة المذكورة

نهضنا فجر الثلاثا في ١٦ تموز ورتّبنا عفشنا بالاجربة ودفعنا الحساب وركبنا المركبة الساعة ٦ صباحًا قاصدين يوستُنْ سكوير Euston squire محطة سكة حديدية ليفربول ومنشستر وهي الى شرقي رجنت بارك · والمحطة فسيحة ومنتظمة وبها فندق جميل تابع للشراكة وفقاعي يبيع المرطبات والمشروبات و بقّال يبيع لوازم السفر فقطعنا التذاكر بثمن ٢١ ٣/٤ شلن التذكرة فجاء الحمّال خادم السكة ونقل الامتعة الى حجرتنا وكان الوقت باكرًا والقطار يسافر الساعة ٧ فاغتنمنا الفرصة وفطرنا بالمحطة ثم سافر بنا القطار يشقّ بطون البطاح والوهاد وكان معنا رفيق انكليزي انيس فتطارحنا معهُ الحديث اثناء السفر وكنا نتمتع بمنظر الرياض الانيقة التي كانت تمرّ علينا مرّ السحاب ووقفنا قليلاً

ببعض المحطات الى ان بلغنا محطة كرو وهي عظيمة لانها اداة وصل بين شُعَب الخطوط الحديديّة وهي الفاصلة بين لندن ومنشستر ولندن وليفربول فارتحنا بها عشر دقائق وعدنا نطير الى ليفربول التي بلغناها عند منتصف النهار بعد خمس ساعات من مسيرنا ونزلنا من القطار الى فندق المحطة وحمل لنا حمّال الفندق امتعتنا فوجدنا الفندقَ باجورهِ وعوائدهِ على نسق فندق تشرين كروس والفندق عظيم ويُعدُّ من الرتبة الاولى في ليفربول ويوازيه قيمةً فندق ادلفي وواشنطون وكلها بفسحة لَيمْ ستريت بجوار بعضها واسم محطة ليفربول ليمْ ستريت ستاشن

اغتسلنا وارتحنا وتغذينا وسرنا الى ستانلي ستريت نمرة ٢٤ محل الخواجات شيزبرو وشميل وشركاهم فقابلونا بكل ترحاب وانس وعرضوا علينا قضاء كل غرض لازم لنا فشكرناهم ثم رافقنا خادمهم لمحل اصدقائنا الخواجات باسيلي وحنا خوري وشركاهم بجوار البورص فلم نجد الخواجا باسيلي هناك ولا كاتبهم الخواجا ديدبان فوضعنا تذاكر اسمائنا لهم عند خدمة المحل واستأجرنا مركبة وجلنا في شوارع ليفربول ثم عطفنا على دوكاتها الشهيرة ومرفإها الفسيح الامين الممتاز بحسن انتظامهِ واتساعهِ وعمقهِ وطولهِ وقلَّ مثيلهُ بين مرافئ الارض

ليفربول مبنية عند مصبّ نهر مرجي الذي يخترقها ويفصلها عن حيّ بركنهدْ على الضفة الثانية منهُ وقد توسّع النهر وتعمّق حتَّى دخلت اليهِ مياه البحر وامسى هو المرفأ الشهير الذي ينوف طولهُ عن ستة اميال والعرض عن ميلين وشيدت على ضفاتهِ الدوكات فترسو السفن العظيمة على ارصفتهِ تشحن البضائع وتفرغها وهنالك احواض متشعبة من المرفإ مخترقة منازل ليفربول تأوي اليها السفن فتراها قصورًا عائمة بجانب القصور الراسية ويسع المرفأ خمسة آلاف سفينة وتلصق السفن بجانب الدوكات المقبوة والمسقوفة فتشحن وتفرغ بمأمن من بلل الامطار وارصفة

المرفإ متينة البناء وعالية والجزر والمدّ قويٌّ بهِ مثل الهافر فيصعد ماء الفرضة ويهبط نحو ثلاث قامات ومن اجمل ما شاهدت بهِ موقف المسافرين والقادمين فانهُ رصيف طويل عريض مبنيٌّ من خشب متين كالحديد فوق كرات حديديَّة مجوَّفة ومحكمة السدّ ترتفع وتنزل بارتفاع ونزول ماء المينا فيرتفع الرصيف وينزل بحسب المدّ والجزر ويكون دائمًا عائمًا على وجه الماء فينتقل منهُ الركبان الى السفن او منها اليهِ بدون احتياج الى قارب او زورق

عدنا الى الفندق فوجدنا الصديق الانيس الخواجا باسيلي خوري منتظرنا بالفندق برفقة الخواجا ديدبان والحّ علينا بالعشاء سوية والسهرة عندهُ فاطعنا وسرنا برفقتهِ لفندق واشنطن تعشينا بهِ ثم ركبنا الامنيوس الى روض سفتن بارك القريب من منزلهِ وتمشينا بذاك الروض انما ما استطعنا التمتع بالمشاهد وقد حجبها عنا الغسق فقضينا السهرة عندهُ مشمولين بلطفهِ وبالانس المعهود بهِ وبسائر اخوتهِ . ثم استأجرنا مركبة وعدنا الى فندقنا

نهضنا صباح الاربعا في ١٧ تموز وفطرنا ونزلنا للساحة امام الفندق وهي ساحة فسيحة يتوسطها مجلس أنس فسيح مدعوٌّ باسم مارجرجس ويحيط بهذه القاعة الفسيحة تماثيل الى الملكة وزوجها والدوك ولنتون ويكونسفيلد وتعزف بها الموسيقى مساء فتجتمع المئات والالوف من الناس لسماع الحانها

ثم زرنا بعض المخازن نبتاع بعض الحاجيات حتَّى وصلنا الى محل الخواجات شيزبر وشميل فرافقنا الخواجا بشاره شميل وهو على جانب عظيم من الذكاء والانس وقد خصَّ الله هذه العائلة بالذكاء فكل ابنائها اذكياء ونبهاء وسرنا برفقتهِ الى البورص وهو فسيح الجوانب حسن الاتقان والترتيب ترد اليهِ سائر الاخبار البرقية السياسية والتجاريَّة من اهم المراكز

التجاريّة ونقيد على الواحهِ المبيعات اليومية واسعار الاصناف وتجتمع بها السماسرة فيحصل الاخذ والعطاء ولهُ فسحة كبيرة خارجية تلتئم بها سماسرة القطن و يتعاقدون اشغالهُ الحاضرة وعلى التسليم و يوجد بورص اخر صغير بجوار هذا لاشغال الاغلال فقط ونعلّق على جدرانهِ اسعار الحبوب واخبارها اليومية وقريب منهُ بناء بسيط تؤمّهُ سماسرة الحبوب بايام معينة بالاسبوع و يباشرون الاخذ والعطاء بها ولكل سمسار دكّة يجلس خلفها وعليها نموذجات الحبوب فيأتي المشتري ويختار ما يلائمهُ و يعقد المبيع سواء كانت البضاعة حاضرة ام على التسليم وهذا السوق حقير في هيئتهِ لكنهُ عظيم بمفعولهِ فتعقد بهِ الآلاف والملاوين من القناطير وجلُّ السماسرة من كبار الاغنياء البالغة ثروتهم زهاء ماية الف ليرة

بفسحة البورص قصر مجلس البلديّة ومنظرهُ مليح من الخارج وما والجناهُ لقلّة اهمية المباني العمومية في ليفربول

عاد اخي وامرأتهُ الى الفندق للراحة وسار بي الخواجا شميل راكبين الى سفتُنْ بارك وهو روض اريض غض النبات واسع الامتداد تحيط بهِ منازل السكن لان بيوت المدينة حوالي البورص والمينا مخصّصة لمكاتب التجار تسهيلاً للاشغال والشوارع المحيطة بسفتن بارك فسيحة ومزروعة بالاشجار شهية للنظر بخلاف شوارع المدينة المسوّدة من دخان المداخن وللروم الارثوذكس كنيسة في ليفربول قريبة من مساكن اليونان بجوار سفتن بارك

عدنا الى المدينة متواعداً مع الخواجا شميل بالذهاب معهُ بعد الظهر الى حيّ كارستن بضاحية ليفربول للفرجة على معمل نحاس الخواجات بيبي واولادهُ الذي أذن للخواجا شميل باستصحابنا معهُ الى المعمل

فسرنا الساعة ٤ بعد الظهر بسكة الحديد حتّى بلغنا محطة كارستن ونقابلنا بها مع وكيل المعمل فسرنا جميعًا سوية وطاف معنا مديرُ المحل

بر ينا بالنظر والعمل كيف يصبُّ النحاس قطعًا محمية و يُنقَّى من شوائب
الصدإ ثم تُدخل القطَع بين محاول دائرة ترققهُ وهو سخن و ينتقل من
محاول الى اخرى اشدَّ ضيقًا حتَّى يصير صفائح رقيقة بالسمك المرغوب ثم
أُلقيت الصفائح تحت آلة الخرط والتدوير فبرزت في القياس المطلوب
ومن الغرائب ان النحاس بعد احمائهِ يصبح مسودَّ اللون فتلقى الالواح في
حوض ممزوج ماء و بولاً فيرجع النحاس الى لونهِ الاحمر

ما اجمل الصنائع واجذبها لنظر المتفرج فتطيب النفس بهذا المقام
الجهنَّمي بحرارتهِ مقدار انشراحها من الرياض الانيقة والسبب ان العيون
تقرُّ بالرياض والعقل يلتذُّ بالصناعة فالنفس على الحالين منشرحة ولله
درّ الانكليز ما ابرعهم في الصنائع وما اشدَّ انصبابهم على اتقانها

عدنا من المعمل شاكرين مدبر المحل الانيس وممتنّين من صاحبنا
الخواجا شميل على العناء المبذول منهُ في سبيل ارتياحنا وانشراحنا

نهضنا يوم الخميس في ١٨ تموز واستأجرنا مركبة نطوف ما بقي من
شوارع ليفربول وزرنا محل الخواجات شميل وشركاه نحادث في اشغال
تجاريَّة واهدانا دراقتين كبيرتين قدر الكمثراة من افخر انواع الدرَّاق وثمن
الكمثراتين شلينان ونصف وودعناهم ثم عدنا الى الفندق وسرنا بعد الظهر
نوع الخواجا خوري فتمشينا معهُ نحو ساعتين نستأنس بحديثهِ ثم افترقنا
على امل اللقاء مساء السبت في مانشستر وقد ارسل توصية بنا لمحل
الخواجات طاسو اخوان

سافرنا الساعة ١٠ صباح الجمعة في ١٩ تموز الى مانشستر وتزوَّدنا
بتوصية من مدبر الفندق الذي كنا بهِ الى مدبر فندق فيكتوريا في مانشستر
وكان مسيرنا بالاكسبرس السريع فبلغناها الساعة ١٠ ¼ فالمسافة بين
البلدين ثلاثة ارباع الساعة وكان الاحرى ان يدعيا بلدًا واحدًا فالبناء
يكاد ان يكون متصلاً بينهما

فندق فيكتوريا قريب من المحطة وهو احسن فنادق مانشستر منار بالنور الكهربائي ومشتمل على اسباب الراحة واجوره موازية للفندقين اللذين نزلنا بهما في لندن وليفربول لكنهُ اوفر اتقانًا واكمل معدَّات وجار البورص

زارنا بعد مدة وجيزة من وصولنا الخواجا طاسو فشاهدنا من انسهِ ولطفهِ ما آنسنا من وحشة الغربة وانسانا اننا في ديار اجنبية وسار بنا الى محلهِ و بعد الراحة استأجر مركبة وانطلق بنا يرينا شوارع مانشستر داخل المدينة وخارجها ثم عطفنا على رياضها اليانعة ونهر الارول وعدنا الى فندقنا شاكرين لطفهُ

يوم الجمعة في ١٩ تموز فطرنا ونزلنا نمشي في الاسواق والشوارع واعجبنا اتساعها واعتناء البلديَّة بنظافتها انما الامطار حرمتنا من مداومة السير فمررنا بساحة الانفرمري (بيت المرضى) وهناك المستشفى الكبير وبسحنه تماثيل لكبار السياسيين من حزب الاحرار مثل بيل وخلافه ومن شوارعها المعتبرة ماركِتْ ستريت و برتلند بلاث ومن ابنيتها العمومية المدرسة الكبرى لتعليم الفنون والمِهَن ومدرسة الصم والبكم وكنيسة المسيح

مانشستر ولا ازيدك علمًا بها اول مدينة في الارض لنسج الاقطان وترسل منسوجاتها الى سائر الاقطار فكأنها بصناعتها امتلكت ناصية العالم وضربت الجزية على الخلق طرًّا يؤدونها لها صاغرين وتاقت نفوسنا لمشهد معاملها فاعربنا عن امانينا للخواجا طاسو الذي اكرم علينا بتذكرة من صاحب معمل مكلور الشهير الى وكيلهِ بالمعمل ان يقبلنا بهِ و يرينا الالات دائرة والادوات شاغلة فسرنا بعد الظهر الى محطة سكة الحديد قاصدين هيتون هذريس من ضواحي مانشستر فوصلنا اليهِ بعد عشرين دقيقة وهذا الحيُّ غاصٌّ بالمعامل فركبنا مركبة الى معمل مكلور ولما وصلنا اليهِ سلمنا تذكرة الرخصة فقابلنا مدبر المحل بوجه باش انيس

وطفق يدور معنا في طبقات هذا المعمل المشهور بربنا كيف ينظف القطن ويمشط وكيف يغزل ويحاك وارانا قوة آلات المعمل التي انقصت عدد النعلة الى الف ولولاها لاحتاج المعمل الى آلاف من النعلة وتفرجنا على طريقة القصر (التبييض) وسائر ما تنشرح النفس بمرآه حتى لم نبق بالنفس شيئًا فعلى قاصد مانشستر ان لا يتوانى عن رؤية احد معاملها الكبيرة

يوم السبت في ٢ تموز نهضنا بعد الفطور لمحل الخواجا طاسو شكرناه على سعيهِ لنا برخصة الفرجة على معمل مكلور ونزلنا برفقتهِ الى البورص وبورص مانشستر ولامراء غرة البورصات وشمس دراريها فسيحة الارجاء واسعة القاعات مخرقة الاروقة حسنة الهندام مكلفة الخدمة معتنى بها جدًّا وهي مصدر اشغال القطن ترد اليها الرسائل البرقية من جهات الارض وتصدر منها اليها فترى التلغرافات العديدة من تجارية وسياسية مناطة على الواحٍ مخصوصة وترى الجرائد مفترشة على موائد البورص لمحبي القراءة والاخبار وترى حركة الاعمال قائمة على قدم وساق تكاد لا تفرغ فترةً من الزمان

عدنا منها الى مكتب الخواجات طاسو اخوان ننتظر قدوم الخواجا باسيلي خوري حسب وعدهِ وما قرَّ بنا المقام حتى بدت طلعتهُ الانيسة فجلسنا قليلاً وبعد هنيهة حتم علينا الخواجات طاسو بمرافقتهم للغذاء سوية وقدم صهرهم الخواجا ضاني ومدامتهُ ابنة شقيقتهم وانسنا بمعرفة حضراتهم فاكلنا جميعًا سوية ببيت طعام حسن الطبخ والترتيب وانحدرنا منهُ راكبين بسكة الحديد لبيت الخواجات طاسو اخوان بضاحية المدينة ومررنا بطريقنا على روض بلفيو وهو بستان شاسع ظريف ومتنزه حسن كثير الزحام يختلف اليهِ طالبو الانس واللهو والنكاهة ويحصل بهِ رقص وغناء وطرب وتمنيت النزول اليهِ ولكن وجود سيدتين معنا حال دون

المرام فانَّ هذا الروض الفسيح يغصُّ بسكان ما نشستر مساء السبت فيتعذَّر على السيدات الحصول على الراحة اللازمة لهنَّ

وبلغني ان بالروض قاعات ظريفة ودوائر جميلة وخميلة ازهار وغدير ماء وجنّة اطيار واكنان حماوات وبحيرة محيطة بجزيرة صغيرة تحصل بها الالعاب النارية ليلة الاحد وحبذا لو انفردتُ لرؤياها لكن انس الرفاق ولطفهم تغلَّب على ميلي لرؤيا. هذا الروض الانيق الزاهر

صرفنا السهرة بدار الخواجات طاسو ثم ودعناهم شاكرين الطافهم ولطف الخواجا خوري وكان بنيّتنا العود الى لندن في الغد لنصرف النهار بالطريق ونتملَّص من سئامة الغريب بانكلترا يوم الاحد

نهضنا صباح الاحد في ٢١ تموز ورتبنا الاجربة وفطرنا وتهيئنا للسفر فجاء لوداعنا الخواجا نحاس (من محل الخواجات دقي ونحاس وشركاهم) وقد زارهُ اخي وكذلك الخواجات طاسو وضاني فكررنا الشكر لفضلهم

وسرنا الساعة ١١ الى محطة السكة الحديدية (لندن رود) قطعنا تذاكر السفر ١ ليرة عن الفرد وسافر بنا القطار الساعة ١١ و٤٥ دقيقة بعد الظهر وكان المطر منهلاً شآبيب فسرنا بالمركبة الى فندق نشرن كرس ونزلنا بهِ ورمنا ان نسير المساء لمرسح غفنت غردن الشهير فوجدناهُ مقتولاً

الاثنين في ٢٢ تموز ركبنا الامنبوس لمحل الخواجا صيفي وزرناهُ زيارة السلام والوداع معًا بحيث كنا عازمين على السفر في اليوم التالي الى باريس ثم قضينا بعض الاغراض وعدنا الى الفندق وسرنا بعد الظهر الى محطة واترلو قاصدين قصر وندزر مقام الملكة للفرجة عليهِ بحيث بلغنا من الخواجا حنا صيفي ان الملكة بارحتهُ ومباح زيارتهُ اثناء غيابها عنهُ

اجرة الطريق من محطة واترلو الى محطة وندزر ٤/٣ ٤ شلينات ذهابًا وايابًا ويمرّ القطار بين بساتين ومروج انيقة ومسافة البعد ساعة وربع ولما وصلنا الى وندزر بلغنا ان الملكة لم تخرج منهُ بل طلعت الى التنزه في مرج الغزلان المجاور لقصر وندزر فتأسفنا على خيبة امانينا

ولم نشاهد من هذا القصر المنيف المعدود في الطبقة الاولى بين قصور الملوك سوى خارجهِ المبني على نسق حصن فوق رابية مشرفة على رياض انيقة ومطلَّة على مجرى التمز الملتف كالحية بهذا القرب . عدنا الى لندن والنهار يكاد يولّي فتمشينا على مهلٍ وتعشينا باحد مطاهي ستراند ستريت ثم عدنا الى الفندق لنرتاح وننهض باكر الغد ونعود الى باريس

الثلاثا في ٢٣ تموز أفقنا باكرًا جدًّا ورتبنا العفش وحاسبنا الفندق ونزلنا من سلّم الفندق الى محطة القطار فقطعتُ تذكرةً الى باريس عن طريق فكستُنْ و بولونيا والاجرة ٤٢ شلينًا ودخلنا حجرتنا ونهض بنا القطار الساعة ٨ و٤٠ دقيقة صباحًا فاستنشقنا النسيم العايل — ومتعنا الطرف بكل منظر جميل فكانت الرياض تمرّ لدينا كالطنافس الخضراء جالسة عليها الاشجار كالاجسام مكللة بالاغصان والسهول يانعة الزرع زاهية خصبًا تتمايل بها سنابل القمح تيهًا وعجبًا واجتزنا غرينونيش وسفن أُكس وطنبريدج واشفُرْدْ وبلغنا فكستن الساعة ١١ و٣٠ دقيقة

فكستن مدينة صغيرة على شاطىء البحر ذات حمامات وافرة يقصدها اهل لندن للاستحمام في زمن الصيف ولم نلجها لان القطار يقف عند طرفها بجانب البحر فيصعد الركبان توًّا من القطار الى السفينة المنتظرة على الرصيف والساعة ١٢ مخرت بنا ووصلنا بولونيا الساعة ١ و١٠ دقائق

بارحنا السفينة بين صفين من الحبال لا يتعداها الركبان الى قاعة التفتيش حيثما كشفوا على العفش وانتقلنا الى حجرتنا بالقطار الفرنساوي الذي موقف بضع دقائق اشترينا باثنائها لوازمنا من الغذاء عند بقال

بالمحطة وتزودنا بنظرةٍ من المدينة

بولونيا مبنية على شاطىء البحر وضفة نهر ليان وهي مشطورة قسمين علوي وسفلي فالعلوي قديم العهد ضيق الشوارع يتصل تاريخه بعهد الرومان والسفلي على شاطىء البحر حديث البناء واسع الشوارع منتظمها وافر السكان والحركة التجارية ولها مينا امين بين رصيفين يتصل البحر في حوضها فترسو السفن على الرصيف والفضل في انشائهِ لبونابرت ثم توسع بعده - اهلها مشهورون بصيد الحيتان فيقطعون خضمّ الاتلانتيك توصلاً اليها والتماسًا للكسب منها واكثر الصيد بجهة الارض المدعوة نيوفوندلاند (الارض الجديدة) باميركا ولها حصن منيع وابراج حصينة بناها بونابرت حينما انشا البوارج وحشد الجنود بها لفتح انكلترا وربما كان الجنود محشودين بها نصبوا حيثما حلّوا عمودًا من المرمر عاليًا تذكارًا لسلطانهم ولا يزال العمود منتصبًا يسترقّ الانظار عن بعدٍ و يدعى عمود الجيش العظيم - بالمدينة معامل وفيرة لنسج الكتان وصنع الاقلام المعدنية وعمل الجبس

سار بنا القطار الساعة ١ و٣٠ دقيقة بعد الظهر فمررنا باراض مخصبة بيضاء التربة (طباشيرية) تكثر على جوانبها معامل الجبس واجتزنا احراشًا باسقة الاشجار وحقولاً يانعة الزرع وترعة من نهر السوم ثم وقفنا عند آبفئيل التي يخترقها نهر السوم المذكور و يستدلّ من مداخنها العديدة انها مدينة صناعية وقرأت عنها ان لها مينا تجري بها السفن الصغيرة حين المدّ وان بها معامل جوخ وطنافس ومخمل واشرعة وامراس وعدد سكانها زهاء ٢٥ الفًا

على بعد كم مرحلةٍ مدينة آمينسْ فوقف بمحطتها القطار عشر دقائق والمحطة فسيحة لكن مظلمة لانها تحت القسم العالي من المدينة المشطورة قسمين علوي وسفلي فالعلوي حديث وحسن والسفلي قديم وضيق ووسخ

ممتد على ضفة نهر السوم المتجزئ عندها الى احدى عشرة ترعة تروي الاراضي وتخصبها . مدينة امينس كانت في عهد الملوك الاولين الفرنسويين حاضرة مملكة الافرنك ولا تزال من اهمّ مدن فرنسا صناعةً وعلمًا وهي شهيرة بمنسوجاتها الصوفية والقطنية ومدرستها العليا وجمعياتها العلمية والادبية و يبلغ عدد سكانها زهاء سبعين الفًا — منظرها من المحطة حقير عن منزلتها

سرنا من امينس نجتاز سهولاً ذهبية فقد نضج القمح واصفرَّت سنابلهُ ووقفنا على محطات صغيرة اضرب صفحًا عن ذكرها و بلغنا باريس الساعة ٥ ونصف بعد الظهر فدخلنا قاعة التفتيش ولم تفتح اجربتنا بل اعتمد الكشّاف على صدق جوابنا فركبنا مركبة الى فندقنا السابق الذي هيّأ لنا غرفنا اعتمادًا على كتابتنا لهُ من مانشستر بان يهيّئ لنا الغرف و بربطها لحسابنا في ٢٣ تموز

بعد الراحة والاكل نزلنا نرتاح في قهاوي البولفارات الجميلة انس الغريب فقابلنا الخواجا يوسف سياج و بطرس بك مشاقه فسررنا بالاجتماع بهما و بلغنا بان صديقنا الخواجا جرج كرم نزيل في غران اوتل فولجناهُ لانهُ بجانب القهاوي ووضعنا تذاكرنا لهُ مكتوب عليها اسم فندقنا وشارعهُ

عدنا الى الفندق رقدنا ونهضنا صباح الاربعا في ٢٤ نجول في شوارع باريس قاصدين حوانيتها الفاخرة ومخازنها الشهيرة لنبتاع بعض اللوازم فسرنا الى مخازن البرنتان واللوفر والبن مارشه وهي عبارة عن معرض يجد بهِ المرء سائر ما يلزمهُ من الاثاث والثياب فيؤمّها مالئ الجيب فيبارحها مستنزفهُ معتاضًا عن النقود بامتعة تصرُّ وترسل الى محل الشاري بمجرّد إعطائهِ اسمهُ واسم الشارع وعدد المنزل وعدد المستخدمين في احد هذه المحلات المعتبرة ينوف عن الالف — الاسعار بها محدودة وليس على

الشاري سوى التنقية والخيار

تغذينا وانحدرنا بعد الظهر نطرق الشوارع والساحات التي ما شاهدناها قبل واهمها ساحة الشاتلي وبها الينبوع الظريف ثم عدنا الى البولفارات فتقابلنا مع الخواجا كرم فتعشينا سويةً ومضينا السهرة في ملعب الهيبودروم

شيد هذا الملعب الفسيح من الحديد الصرف على دائرة ٢٥٠ مترًا وعمل لهُ سقف دوّارٌ على قضبانٍ حديديّة علوّهُ ٢٥ مترًا فيحصل بهِ مضمار خيول والعاب رياضة وفروسيّة يتخللها فصول هزل مضحكة ومظاهر حيوانات داجنة كالليث راكب فرسًا او واثب ضمن إطار ملتهب وما اشبه

الهيبودروم مبنيٌ بشارع الما ورسم الدخول اليهِ من افرنك واحد الى خمسة حسب رغبة القاصد ومنزلته

يوم الخميس في ٢٥ تموز صرفنا صباحهُ بالتنزُّه ومساءهُ بالمعرض برفق الخواجا كرم وقصدت بالليل منفردًا مرسح النولي برجر

قلت منفردًا لان السيدات المصونات يمتنعنَ عن التردد لهذا المرسح صونًا لماء الوجه من مخالطة بنات الهوى اللواتي يزدحمنَ عليهِ فتخلّف اخي عن الرواح اليهِ مرافقة لامرأتهِ — رسم الدخول من افرنكين الى ثلاثة .

للمرسح المذكور حديقة مقبوة بوسطها حوض ماءٍ محيط بصخرة تعزف على مصطبتها الموسيقى لتطرب الحاضرين وكان اللحن سربيًّا والحديقة ذات اشجارٍ ينفرد على موائدها اهل اللهو والزهو فجلت الحديقة متفرجًا وندمت على انفرادي لان هنالك بنات باذلات ماء الحياء يُسمِعْنك ما تعفُّ عنهُ او يهزأْن بك وكان نصيبي هزء واحدة منهنَّ اذ دعتني لشرب الكأْس فشكرت تطفلها على الدعوة متأدبًا معها وغضضت الطرف موليًا عنها فاسمعتني كلمةً لا تخرج عن حدّ الاستهزاء

ولجت المرسح وأُميط الستار بعد هنيهةٍ عن العاب شطارة ومهارة

وتدريب حيوانات كالقطط والجرذان والنسناس على مشي الحبال وتنقلها عليها اعقبتها العاب شبيهة بلعب الكركوز الشرقي يتقمص بها اللاعبون باثواب الحيوانات او المردة و يتشبهون بها و باعمالها ثم ختمت الالعاب بحركات ووثبات هوائية اجراها جوق اميركي خلب الابصار بغرائب بدائعهِ فكان الواحد منهم يتعلّق بحبل وآخر في الطرف الثاني والبعد بينهما لا اقل من عشرين مترًا فيترجّحان كراكب الارجوحة حتَّى يتقرّبا على قيد اربعة امتار فيثب كل منهما الى حبل رفيقهِ منطلقًا بالفضاء ويستمسك بالحبل المفلوت و يترجّح بهِ حتَّى يبلغ موقف الآخر . واشتركت بنات عذارى معهم في هذه الالعاب المدهشة التي سرّت جميع الحضور

الجمعة في ٢٦ تموز نهضنا باكرًا جدًّا حاسبنا الفندق ورتبنا الاجربة وركبنا المركبة مجتازين ساحة الكونكورد وارصفة السين حتَّى رصيف هنري الرابع ثم فسحة ديدرو وبها تمثال هذا الفيلسوف وعطفنا في البولفار المدعو باسمهِ وهناك محطة سكة حديد ليون فقطعنا تذاكر السفر ٦٢ فرنك عن الفرد مع الرابيد وهذا القطار الفخر قطار ركبنا بهِ في اوربا فانهُ مستوفٍ شروط الراحة جامع اسباب الرفاه ولهُ رواق دائري امام الحجرات وحجرة خاصة للمائدة يأكل بها من شاء بدفع ثمن الطعام

طار بنا القطار ينهب الارض نهبًا حتَّى لا تكاد ترسو العين على شجر وظللنا نجتاز السهول والرياض والبطاح حتَّى وقفنا بمحطة ديجون فارتحنا بها بضع دقائق اشترينا من محطتها بعض اللوازم وعند ما شارفنا هذه المدينة تناسقت لدى الابصار زروع الكروم تنبئ عن اهتمام هذه المدينة ببنت العنب ومدينة ديجون مبنية في سهل مخصب حسن البقعة بهيج المنظر تحيط بهِ الآكام المزروعة والروابي الانيقة المخضرة الدالة عن اهتمام الاهلين بالزراعة وكنت اودّ لو سمح لي الوقت بزيارتها فقد قرأت عنها انها ظريفة الداخل فسيحة الشوارع وفيرة الساحات الجميلة ذات قلعة

قديمة من عهد امراء بورغونيا ومتحف ومكتبة ومرصد وكنيسة كبيرة قديمة علو منارتها ماية متر ومنتزه جميل محفوف بالاشجار اليانعة والازهار الفائحة ومدارس عليا وجمعيات ادبية وعلمية وجنة نباتات وهي مسقط رأس كثير من مشاهير فرنسا مثل بوسيه و بيرون وكر بيليون واشتهر اهلها بالذكاء واللطف والبشاشة

مررنا بعدها في ماكون ووقفنا بها بضع دقائق ايضًا محطتها مهمة لانها اداة الوصل بين باريس وليون و باريس وجنيفا (سويسرا) وكان معنا رفاق انكليز قاصدون جنيف فنزلوا بالمحطة منتقلين الى القطار الذاهب بخط جنيف والمدينة غير كبيرة ولا مهمة لكنها مشهورة بخمرها ومناسبة سهولها لزراعة الكرم واشتهرت بمقام الشاعر الشهير لامرتين بها حيثما ينصب الشعب الفرنسوي تمثالاً له

الساعة ٥ و٥٥ دقيقة مساء وصلنا الى محطة ليون بعد ان اجتزنا سهولاً زمردية ومروجًا سندسية تدبجت بالاشجار المتنوعة الحاملة اثمارًا تحلو نظارًا وطعمًا فقد اشتهرت فرنسا بفاكهتها الطيبة

لمدينة ليون محطتان فسار بنا القطار الى المحطة الجنوبية بعد ان وقف بمحطة الشمال ونزلنا بمركبة غران اوتل الواقفة مع مركبات عديدة امام باب المحطة فسرنا بشوارع فسيحة مبلط اكثرها على نسق مدن ايطاليا حتّى بلغنا شارع الربوبليك اهمّ واحسن شوارع ليون وهناك الغران اوتل امام فسحة البورص فحللنا بالفندق بعد ان قاولنا صاحبهُ عن الاجرة اثني عشر افرنكًا يوميًا اكلاً وشرابًا ومنامةً وخدمةً وتقابلنا بالفندق مع الخواجا جمال من بيروت

ابدلنا ثياب السفر وهيئتهُ (اي الحلاقة التي لا بدَّ منها يومًا بعد يوم مراعاة للنظافة وحسن المقابلة) وتعشينا والتمسنا من الرقاد راحةً عن عناء السفر ونهضنا باليوم التالي في ٢٧ تموز فطرنا واخذنا علمًا من غرفة

الاستعلام عن اشهر المفترجات ثم انحدرنا نقصدها بادئين بالبورص امام الفندق

شيد البورص سنة ١٨٦٠ على نسق جميل تلج بابهُ فتجد بازائك قاعة البورص دعائمها من الخشب المحفور وسقفها من البلور وعلى يمينك سلمًا مؤديًا للطابق العلوي المملوة غرفهُ من انواع الاقمشة الحريرية وآلات النسج فهو معرض لصناعة الحرير يفيد ارباب الفن

ثم استأجرنا مركبة بالساعة واجور المركبات معتدلة وشاهدنا فسحة بلكور الجميلة وبها حديقة يانعة يتوسطها تمثال لويس الرابع عشر تحاكي فسحة المنشية باسكندرية وفسحة سلستين وبها ينبوع ظريف وفسحة الربوبليك ذات حديقة صغيرة لكن انيقة وفسحة الجاكوبن وبها حوض بديع الحفر ممثل بعض مشاهير نواب ليون في غضون الثورة الفرنسوية وفسحة ساطوني وبها تمثال جاكار مخترع المنوال الدقيق البديع المعول عليهِ في صناعة الحرير بليون وفسحة طولوزان وبها تمثال المرشال سوسه احد مشاهير قواد بونابرت وفسحة لويس السادس عشر وبها حوض حسن النحت يتوسطهُ تمثال مدينة ليون

وشاهدنا بعد الظهر مجلس البلدية بناؤهُ ظريف ويشتمل على تمثال هنري الرابع راكبًا جوادهُ وتمثالي نهر السون والرون نحت الاخوين كستو والمجلس مبنيٌّ بفسحة ترّو وبجانبهِ قصر الفنون الجميلة والقصر فسيح ومنيف يشتمل على مدارس اللاهوت والعلوم والفنون الجميلة ومتحف الصور وشاهدنا صرح الحقانية المشاد على اعمدة حسنة الهندام ظريفة القوام والمستشفى على ضفة السون وهو من اكبر المستشفيات واوفرها اتقانًا ثم جلنا المدينة فوجدناها غزيرة المياه وفيرة الاشجار فسيحة الشوارع يخترقها نهران عظيمان يلتقيان عند طرفها الجنوبي فيتزوجان ويصيران جسمًا واحدًا هما نهرا الرون والسون . معظم المدينة مبني في شبه الجزيرة

بين النهرين و باقيها على يسار الرون و يمين السون ولها خمسة احياء انصلت بها وكانت من ضواحيها وهي غيلوتيار على يسار الرون بسهل فسيح و بروتو على يسار الرون ايضًا حديث البناء والكرواروس على رابية بشمال المدينة بين النهرين والمرتقى اليها صعب والسرين لغربي الكرواروس على ضفة السون والغيز الى الشمال الغربي على يمين السون وبها محطة السكة الحديدية التي وقفنا بها اولاً والمحطة الثانية في شبه الجزيرة بنسحة برأش نسبةً الى هذا المهندس البارع الذي اصلح مجرى الرون ومهد ملتقاه بالسون بمحل ابعد من الاول واعمق من قعرهِ الاول فخففت بلاياه حين فيضانهِ .

للمدينة ثلاثة وعشرون جسرًا متينة البناء توصلها باقسامها عبر النهرين ولها ارصفة جميلة احسنها على ضفاف السون لانهُ النهر الهادي الساكن فتمخر بهِ البواخر والسفن وترسو على ارصفتهِ ناقلة بضائع ليون بالنهر والترع الى جهات فرنسا اما الرون فانهُ نقيض السون عجّاج دائم الاضطراب صعب المراس سريع الجريان تخفّ وطأتهُ و يهدأ نزقهُ بعد امتزاجهِ بنهر السون ولونهُ ضارب الى الصفرة ولون السون مشرب بالخضرة

يوم الاحد في ٢٨ تموز بدأنا بزيارة الكنائس واكثرها قديمة العهد مثل كنيسة ادني شيدت في الجيل الحادي عشر وبها عمودان قديمان نحت الصليبيين وكنيسة سن نيزيه بنيت في الجيل الخامس عشر وكذلك كنيسة سن بونا فنتور لكن واجهتها المزخرفة حديثة العهد واهمّ كنائسها الكنيسة الكاتدرائية (مار يوحنا) شيدت في الجيل الثاني عشر وترمّمت بالخامس عشر ذات واجهة حسنة النقش وشبابيك مدهونة الزجاج برسوم القديسين صنع الجيل الثالث عشر والرابع عشر وساعة كبيرة قديمة العهد كانت تدلّ عن سير الشمس واوجه القمر وعن الاعوام والاشهر والايام والساعات واعياد القديسين على مدار السنة .

سرنا منها الى محطة سكة الفينيكولار قاصدين كنيسة رابية فورڤيار ودفعنا الرسم ربع افرنك ذهابًا وايابًا وهي المرة الاولى ركبنا بها سكة مثل هذه تسير صعدًا على قضبان حديدية تجر مركباتها امراس حديدية متينة مجذوبة بقوة البخار والراكب بالحجرة يتوهم انهُ اتى امرًا فريًّا وخاطر بنفسهِ لكن متى صعدت الآلة يزول الوهم فيجد راحة عظمى ولبثنا بالحجرة نحو خمس دقائق ثم غادرناها اذ بلغنا المحطة العليا

تمشينا من المحطة الى الكنيسة وكان القاصدون عديدين والكنيسة الجديدة بديعة البناء والزخرفة داخلاً وخارجًا تفوق سائر كنائس فرنسا ظرفًا وزخرفةً وتفضل عن سائر معابد الارض بحسن موقعها البهيج

انفق على بنائها ما ينوف عن سبعة ملاوين افرنك اكتتب بها اهل ليون قيامًا بنذر تعهدوا بوفائهِ اذا حماهم المولى من غارة الاعداء سنة ١٨٧٠ ولما عقد الصلح ووقيت المدينة من شر الحصار واذى الحرب نهض الاهلون باداء المفروض وعينوا لجنة عاملة لبناء الكنيسة وبوشر بها سنة ١٨٧٢ وكاد يتمُّ جلاؤُها وزينتها يوم زرناها

للكنيسة باب عظيم قائم على اربعة اعمدة عظيمة من الصوان الاحمر الصقيل زنة الواحد منها ستة عشر طنًّا وداخلها مبلط ومزخرف بالفسيفساء والرسوم الجميلة والنقوش المذهبة والعمد النفيسة ولها اربعة ابراج مذهبة القباب تشرف عليها الغزالة فتسطع بالسنا الوهاج

وراء الهيكل سلم خارجية عدد درجاتها ٢١٦ توصل الراقي الى سطح الابراج فرقينا بها ووقفنا على سطح البرج الاول (الشمالي الشرقي) المباح للعموم مشرفين على مطل ليون وما ادراك ماهو — مطل بديع ياخذ بمجامع القلوب ومنظر بهيٌّ تنفرج بهِ الكروب ومقام فرد ندر شبيههُ وامتنع مثيلهُ وثبت فضلهُ بالبرهان وحبور النفس بهِ دليلهُ تشرف على الطفِ حلةٍ كستها الطبيعة الفخر حلة وصاغت لها الصناعة ابهى حلية احسن بها

من بقعة لبست من الزبرجد جلبابًا وتفننت في وَشي رداءها ابداعًا واغرابًا فدبجتهُ من الوان الازهار واشكال الاشجار بعقيق وزمرد و ياقوت وصفير وكل نفيس يجبر القلب الكسير وخططتهُ من نهر الرون المصفر بالذهب الابريز ومن نهر السون المزرق بالفيروزج العزيز ووصلت الرقمين عند ملتقى النهرين بابيض اللجين وطرزت بقعة الزاوية بين النهرين بلآلئ الدر — والقصور البهية للعين ثم ادرنا الطرف الى الوراء فشاهدنا جبال الالب منضدة في طبقات الفضاء تكاد تنطح بهاماتها السماء وقد لبست عمامة من الضباب واعتقلت من السحاب بالقوس والسهام تنذر الجرئ على دوسها بالموت الزؤام فمتعنا الطرف بهذا الظرف واشبعنا النفس بلذة الحسن ثم انتقلنا الى برج المرصد وهناك تلسكوب مهيأ لرصد النجوم والكواكب (ما كان تمّ عملهُ وقتئذٍ) ومنظار جسيم لتقريب الاشباح البعيدة الى نظر الرائي فاطلينا منهُ على بعض القرى وحسبنا اننا زرناها فعلاً

انحدرنا من الكنيسة الى محطة الفينيكولار ونزلنا بها الى المدينة فالفندق تغذينا وارتحنا وركبنا المركبة بعد الظهر قاصدين منتزه روض الرأس الذهبي (بارك تِيتْ دُر) وهو من خيرة المنتزهات وأحسنها اتقانًا وأجملها موقعًا وأينعها رياضًا وأعبقها ارجًا واطيبها ريحًا ازفر فسيح الجنبات يضلُّ بهِ السائر نضير النبات يميل لهُ الناظر فجلناهُ اولاً لآخر ثم جِزْنا بالمركبة رصيف الرُّون حتَّى بلغنا ملتقاهُ بنهر السون وتفرجنا على ملتقى النهرين وعبرنا الجسر الى رصيف السون عائدين منهُ الى الفندق مارّين بحدائق ناضرة وقصور فاخرة

الاثنين في ٢٩ تموز نهضنا صباحًا وأخبرنا صاحب الفندق اننا على عزم السفر مع الرابيد بعد الظهر الى مرسيليا ثم فطرنا واستأجرنا مركبة وسرنا الى رابية كرواروس وهي حي عظيم صعب المرقاة بقطنهُ النعلة وصناع

الحرير وبه معامل الحرير الشهيرة التي يرفل بها كل حسن البذة في اطراف المعمورة والتي نالت قصب السبق في مضمار المنافسة فصار الديباج والخز نفيساً بالانتساب اليها لا بالانتساب الى صنع صنعاء وديباج خوي والاسفاه

ولجنا معامل الحرير فرأينا نسيجها مع بساطتهِ ومحاكاتهِ حياكة انوال سوريا بديع التفنن غريب الصنعة والفضل في ذلك عائد الى اصحاب المعامل وارباب الصنائع الذين لا يقنعون بالسير على نمط الماضي مقتصرين على عقول الاسلاف بل يكبُّون ليلاً ونهاراً لدرس صنعتهم والتغيير والابدال في الاساليب والتجربة والامتحان حتى يصلوا الى بدعة مبتكرة سهلة المأخذ ظريفة الصنع وشاهدنا في معرض الانوال بالبورص ماحقق لنا الجد المبذول من ارباب الصنائع في البحث والتنقيب والاهتمام لتحسين المنوال وما استغربنا بعد ذلك كيف بلغ الصناع من الاتقان انهم ينسجون صورة المرء طبق الاصل على قماش الحرير واشتريت صورة فيكتور هوغو وكانت تنسج امامي على المنوال بعشرة افرنكات وهي مطابقة تماماً بلا فرق لصورتهِ التي شاهدتها بالفونوغراف وتصوير الزيت وسررت من طريقة نسج المخمل (قطيفة) وتفرّستُ بهِ فرأيت الصانع مكبًّا على منوالهِ ينسج المخمل كالحرير البسيط انما الفرق انهُ ينسجهُ على طابقين فطابق القفا واحد انما السطحي يحصل بان يمرّ المكوك ناسجاً لحمة الخيطان على السدية مرّة واخرى على سلك حديدي رفيع وبعد ان يتمكن هذا بضربة مكوك على السدية يقطع الصانع بآلة حادة الخيط الحريري الملتحم فوق السلك ثم يجز المقطوع على نسبة واحدة فيحصل عنهُ المخمل والصنعة بسيطة جدًّا حبذا لو يدرسها صانع من صناع الحرير في بلادنا فيستفيد ويفيد وطنهُ

عدنا من حي الكرواروس الى الفندق تغذينا وارتحنا وحاسبنا

صاحب الفندق ثم ركبنا المركبة الى محطة السكة الحديدية فقطعنا التذاكر عن كل شخص ٤٣ ١/٢ افرنك وانتظرنا قطار الرابيد الذي طار بنا الساعة ٦ من محطة ليون وحطّ بنا عند منتصف الليل بحضرة ملكة البحر المتوسط كما قال ملطبرون او عروس غاليا كما قال شيشرون او اثينا غاليا كما وصفها بلين اعني مرسيليا .

لم نر من الرياض النضيرة والحقول المخصبة والزروع النامية والاراضي المحروسة بين ليون ومرسيليا سوى اشباح فقد غشي الظلام ابصارنا وحال دون مناظرها الجميلة

نزلنا من حجرة القطار الى المحطة وهي فسيحة ومتقنة ومنارة بالنور الكهربائي فالفينا في فسحة المحطة الخارجية مركبات الفنادق فنزلنا في مركبة فندق غران اوتل لوفر ولابي وهو افسح فنادق مرسيليا واولها مبني في احسن شوارعها الكانبيير وقريب من البورص فقاولنا صاحبه اثني عشر افرنكاً عن كل منا يومياً

ونهضنا صباح الثلاثا في ٣٠ تموز فطرنا وسرنا اولاً الى وكالة المساجري ماريتيم نربط على غرف مع السفينة المسافرة في ٢ آب الى اسكندرية فقضينا الوطر وقطعنا تذاكر السفر ثلاثماية افرنك عن الفرد مع خصم المائة عشرة لان عددنا ثلاثة وقررنا بالأ بمعرفة اسم الفابور المسافر فهو نجر من نخبة السفن الماخرة في البحر المتوسط مبني على النسق الحديث الجامع اسباب الراحة

ثم استأجرنا مركبة والتعريفة افرنكان بالساعة او افرنك للسياق (كورس) واممنا مكاتب ابناء الوطن المقيمين بمرسيليا

فسرنا اولاً لمكتب صديقنا وقريبنا الخواجا حبيب صوايا الطرابلسي في شارع سلفابل وما وجدناه وفتئذٍ فكان في طاحونه (فابور دقيق) فغادرنا عند كاتبه رقع الزيارة وعطفنا لشارع سن نقولا قاصدين مكتب

ذوي قربانا الخواجات يعقوب وديمتري صراف وشركاهم فقابلنا الشاب الاديب الخواجا ديمتري مدبر المحل وانسنا بلقياه ثم زرت اصحابنا من التجار والعملاء بمرسيليا الذين استأنست بلطفهم واخص بالشكر الخواجا شكر الله انطون جد حلبي والشيخ الطيب السريرة الخواجا الياس الدحداح الذي اراشهُ الدهر الخؤون بسهام الرزايا في آخر العمر واسقاه كأساً مرّ المذاق لكريم الاخلاق مثلهُ فاسأل الله ان يسبغ عليهِ مننهُ ليعود الى سابق رونقهِ

عدت الى الفندق تغذينا وارتحنا فجاءنا الخواجا حبيب صوايا انيساً متلهفاً للمقابلة فسررنا برؤياه سرور اجتماع الاصحاب بعد طول غياب وتذاكرنا معهُ ملياً عن احوال الوطن والاهل نطمئنهُ ونستعلم منهُ عن صحتهِ الرقيقة المزاج ثم دعانا للتنزه سوية في روض قصر بوربلي فسرنا اليهِ مجتازين بعضاً من اهم واحسن شوارع مرسيليا كشارع كنبيار ونوايل وملهان والبرادو حتّى افضينا بالروض الانيق الآنف ذكرهُ تعبق بهِ ريا الزهور العطرة ويحدق بهِ غاب من الاشجار نضير غضّ النبات — بصدر الروض قصر بوربلي وبهِ متحف للآثار — صرفنا بعد الظهر في الروض بين حديث شائق وارج عابق حتّى اذنت الشمس بالمغيب فعدنا الى الفندق وعاد الخواجا حبيب الى منزلهِ بجانب الطاحون في ضاحية المدينة وافترقنا متواعدين باللقاء في اليوم التالي ثم تعشينا وانحدرنا الى قهاوي الكانبيار القريبة من فندقنا حيثما تجتمع الناس على اختلاف الطبقات في هذا الشارع المانوس المنار بالنور الكهربائي الفسيح الحسن الحوانيت البهي الدساكر فوجدنا بهِ قهوة عربية يؤمها المشارقة وسمعنا حديثاً عربياً لكثرة المغاربة وابناء الجزائر في مدينة مرسيليا وشاهدنا بها رجالاً من الاعراب والافرنج يدخنون بالنارجيلة

عدنا الى الفندق ونهضنا باليوم التالي في ٢١ تموز فطرنا وانحدرنا

الى البورص تفرجنا عليها وهي جميلة البناء حسنة الهندام كثيرة الزحام يعقد بها البيع والشراء على الاصناف التجارية والسندات المالية انما اهميتها باشغالها التجارية لا المالية لان مرسيليا اهم مينا واشغل مدينة على البحر المتوسط

عجنا منها بالمرفإ القديم ثم بشارع الربو بليك وهو شارع مهم متناسق القصور الشاهقة وشاهدنا المرفأ الجديد والدوكات (مخازن الاستيداع) الشهيرة باتساعها وامتدادها ووفرة موجوداتها وعطفنا على فسحة اكس مجتازين تحت قوس النصر المشاد هناك وانحدرنا منهُ لمنشأة بلزنس الاسقف صاحب التمثال القائم برحبتها بين الاشجار اليانعة . وجئنا الفندق فوجدنا الخواجا صوايا بانتظارنا . سرت مع اخي بمركبته الخاصة وغادرنا امرأة اخي بالفندق التماساً لراحتها واجتزنا شوارع مرسيليا وجنائنها خارج البلدة حتّى بلغنا ضاحية سن لويس المشهورة بمعاملها وقريب منها طاحون الخواجا صوايا فظللنا عندهُ نحو ساعتين قضيناها بمناولة طعام شرقي ومطارحة حديث وطني ومشاهدة صناعة فرنسوية مهمة صناعة الدقيق

عدنا بمركبة صديقنا المضيف الى البورص وتعاطى امامنا بعض اشغال تجارية ليرينا كيفية الشغل في مرسيليا فشكرناهُ ثم انفصلنا عنهُ ومررنا بالفندق استصحبنا امرأة اخي الى منتزه لونشان فاستأجرنا مركبة واجتزنا شارع نوايل وسكة ماهان ثم عطفنا على سكة لونشان وهي فسيحة طويلة مستقيمة تظلل رصيفها الاشجار اليانعة امام الصروح الحسنة يقطنها سراة المدينة واغنياء تجارها وعند منتهاها على علوة مشرفة قصر لونشان ذو الواجهة البديعة انشأهُ نابوليون الثالث على شكل هلال تتدفق المياه من التماثيل كالشلال على حوضٍ صافٍ تنمُّ باسرار غورهِ شفافية الماء الرائق فينصب منهُ الى حوض ثان وثالث تتنافس في الصفاء والجمال وتحدق بالحياض طنافس الزهور والقصر شامل لقاعتين فسيحتين جداً خصصت

احداها لتحف الفنون الجميلة والثانية لآثار التاريخ الطبيعي

وراء القصر جنة الحيوانات وهي ظريفة وأنيقة وبها بعض الحيوانات وبالحديقة قهوة ارتحلجها بعد جولان الحديقة اليانعة — عدنا الى الفندق ارتحنا وتلونا جرائد النهار وتعشينا ثم خرجنا لقهاوي الكنبير نقطع هزيعًا من السهرة

الخميس في ١ آب استأجرنا مركبة للفرجة على كنيسة نوتردام ده لاغرد المبنية على ذروة رابية في وسط المدينة تشرف على سائر جوانبها فهي شبيهة بكوم الناضورة الا ان مطلّها اوسع لانها اسمى منهُ ارتفاعًا والرابية صخريّة طبيعية لا رملية اصطناعية والاجرة بالمركبة غالية لا تتبع قانون التعريفة لان الارتقاء اليها صعب المراس لتحدّر شوارعها اضطرارًا بسبب علوها فاجرة المركبة خمس افرنكات علاوة عن مدى الساعات التي يصرفها الزائر في طريقهِ او بالكنيسة او بنادي المطل — الكنيسة صغيرة لكن مطلها بديع فتشرف من فسحتها على سائر مباني مرسيليا واكنافها ورياضها فيسرح الطرف من القصور البيضاء الى الرياض الخضراء الى الروابي الحمراء الى مياه البحر الزرقاء ويأنس الطرف بهذه المشاهد وتنبسط النفس ارتياحًا لها . بالرابية حصن حصين يحمي من عدو مفاجئ يقطنهُ الجنود ويتنزهون بفسحة الرابية فنعم المنزل ونعم المنتزه

انحدرنا من الكنيسة بطريق اخرى غير التي رقينا بها ومررنا بفسحة بيار بوجه وهناك تمثالهُ تظللهُ الاشجار الباسقة وشاهدنا قصر العدلية ثم سرنا الى كنيسة الكاتدرا المبنية على رصيف الجوليت عند المينا الجديدة وما كان تمّ كساؤُها لما زرناها لكن قوامها اهيف جدير بانفس كساء وافخر زينة

عدنا الى الفندق تناولنا الغداء وزارنا بعد الظهر اصدقاؤُنا من التجار فلبثنا حتى المساء حينما خرجنا للنزهة

الجمعة في ٢ آب جلنا الصباح في شوارع مرسيليا نتفقدها ونتزوّد بآخر نظرة منها ونبتاع بعض الحاجات وكان برفقتنا صديقنا الخواجا صوايا ثم عدنا الى الفندق تغذينا ورتّبنا الثياب بالاجربة وحاسبنا الفندق وسرنا الى السفينة بجر الراسية لصق الرصيف فوضعنا العفش في حجراتنا وصعدنا الى قاعة الاستقبال حيثما جاء لوداعنا الخواجات حبيب صوايا وشكرالله جد فشكرنا لطفهم وانسهم والساعة ٤ ونصف صفرت الآلة منذرة بالفراق فتصافحنا اكف الوداع الى حين اللقاء ان شاء الله .

انطلقت السفينة الهوينا في حوض المينا وشاهدنا جزيرة إيف المجرر الصحي حيا لأوالليان الشهير سابقًا كما وصفها اصمعي الافرنج اسكندر دوماس في قصة مونتي كريستو ولما اجتزنا مينا مرسيليا وتزوّدنا باخر نظرة من محياها الوسيم حثّ الربّان المطيّ فشدّدت السفينة سيرها تسير باسم الله مجراها وسكن البحر لهيبتها وقام الانس بحسن طلعتها وطاب الهواء لطيب رائحتها وصفا الجو لنظافتها فانثنى شيطان الدوّار مكبّلاً بحرق الارّم على فقد سؤدده وتميز ضامن الطعام غيظا لان معد الركبان بقيت سليمة لا بل امتدت بامتداد النفس في الانشراح وصفاء الهواء وما كل السفن الفرنسوية (المساجري) نفيسة قيمةً وطبخًا والخدمة بها حسنة والاشربة جيدة و يبذل الربّان والخدمة غاية الجهد في رضى المسافرين والسخاء في كلنا بحناجونة

الساعة ٤ بعد منتصف الليل وقفت السفينة عن سيرها لعطب اصاب آلتها فوقفت بالبحر المحيط كالجبل الراسي وظلّت ثماني ساعات اصلحت بها الخلل الطارئ وعادت عند منتصف النهار يوم السبت في ٣ آب الى سيرها الاول و بعد مسير ثلاث ساعات اطلّت علينا جزيرة كورسيكا الشهيرة بمسقط رأس نابوليون وهي بعيدة عن ساحل فرنسا ١٥٠ كيلومترًا ومساحتها ٨٧٠ كيلومتر وارضها مخصبة وفيرة الكلاء والغاب والاشجار

ويكثر فيها الكرم والزيتون والكستناء والليمون واهلها ذوو بسالة واقدام وحقد وبهم من العرب عادة الاخذ بالثار ويعبرون عنها بلفظة ڤِدِتّا مررنا على ساحلها الغربي والساعة الخامسة اشرفنا على ساحل جزيرة سردينيه الشمالي واجتزنا بين مضيقها وهي اكبر من كورسيكا ثلاثة اضعاف فان مساحتها ٢٤ الف كيلومتر وطولها من الشمال الى الجنوب ضعف عرضها من الشرق الى الغرب مناخها غير صالح لكثرة مستنقعاتها وساحلها مشهور بالسمك المصطاد به المنتسب اليها (سردين)

الاحد مساء اطلّت علينا جزيرة صقلية الشهيرة اكبر جزر ايطاليا والبحر المتوسط مساحتها نحو خمسة وعشرين الف كيلومتر ذات ارض خصيبة جدًّا تينع بها اشجار الكرم والزيتون والفستق والكستنا ويجود بها العسل الطيب ومررنا تحت ذيل الدجى امام جبل آتنا الناري فحجبهُ عنا الظلام الدامس واجتزنا ليلاً مضيق مسينا وشاهدنا المنار على الجانبين فتذكرت بخرافات اليونان القدماء وارتياعهم من هذا المضيق ومن عواء كلاب سيلا وهدير شاربدا وما هما الّا صخورًا مجوفة تدوي بها امواج البحر حين اضطرابهِ فيسمعهُ المسافر في المضيق ثم ظللنا ثلاث ايام في البحر لا نرى غير السماء والماء او بعض السفن الماخرة مثلنا في العباب وفجر الخميس في ٨ آب هبّت علينا صبا مصر فصبا الفؤاد الى الوطن ونهضنا من الحجرة الى ظهر السفينة فاطللنا على بطاح الرمال المنبسطة وشاهدنا بعد قليل منار الاسكندريّة فاشرقت الوجوه حبورًا

فاجتزنا البوغاز ودنونا من الرصيف واعيننا منجذبة انجذاب القوة المغنطيسية الى اوجه الاهل والصحب الوضيّة بعضهم بالزوارق تعجيلاً للمصافحة وبعضهم على الرصيف انتظارًا للسلام فتصافحنا ولسان الحال يقول ما احلى التلاق بعد الفراق والطرف يرمق محيّا الوطن الوسيم فتطرب النفس وبالحب تهيم فتنشد

أيا غائبًا عني ولستَ بغائبٍ   لئن غبت عن عيني فمسكنك القلب

لقد تمّ الفراغ من انشاء هذا السفر في شهر ايلول سنة ١٨٩٠ وشفيعي في الابطاء معرفة حضرات القراء باستبداد التجارة في اوقات نوبها فكانت تنهيني بالقطيعة اياما عن وصال كتابتهِ وهي رقيب شديد الوطأة وكنت اختلس فرص الراحة لانجازهِ فرجائي المعذرة والستر عن معايبهِ ان الله وحدهُ ولي الكمال

الى طيف المرحوم عمي

جاء في الاثر المأثور (حال الجريض دون القريض) فصدق وحالت المنية بين احداقك والكتاب فلئن انطفأ نور عينيك أبى الله ان يطفئ نورهُ فذكرك دائمًا مشعلٌ في الصدور وقد فني جسمك ولكن اسمك خالد في القلوب رحمة الله عليك

٢٢ يناير سنة ١٨٩١